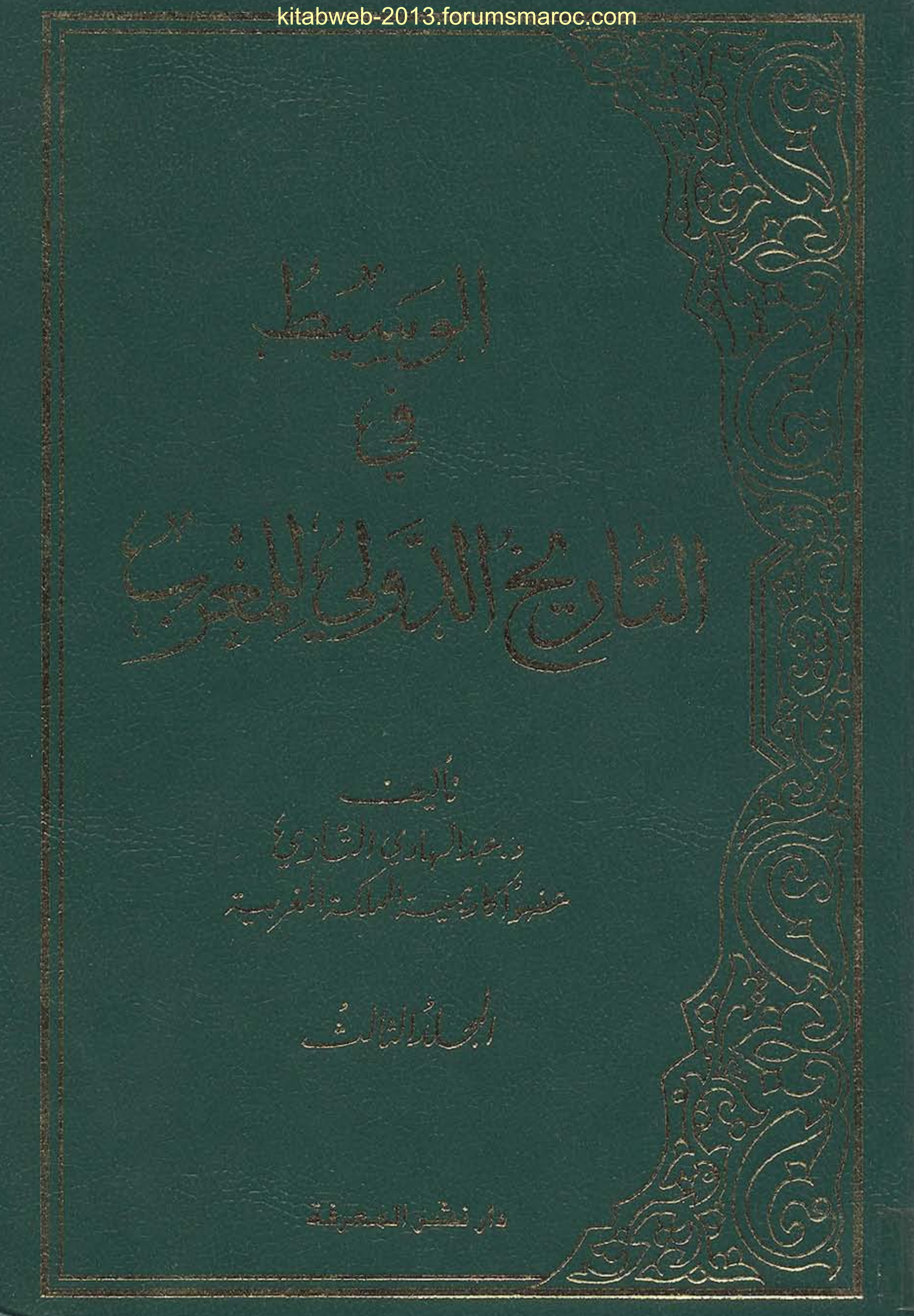

kitabweb-2013.forumsmaroc.com
الوسيط
في
التاريخ الدولي للمغرب
تأليف
د. عبد الهادي التازي
عضو أكاديمية المملكة المغربية
المجلد الثالث
دار نشر المعرفة

الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب

تأليف
د. عبد الهادي التازي
عضو أكاديمية المملكة المغربية

المجلد الثالث



الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب - الجزء الثالث

- تأليف : الدكتور عبد الهادي التازي
- نشر وتوزيع : دار نشر المعرفة - رقم 10. شارع الفضيلة - الحي الصناعي
الهاتف : 02 57 79 037-14 69 79 037 الفاكس : 43 03 79 037 - الرباط - المغرب
- حقوق : © جميع الحقوق محفوظة
- الإيداع القانوني : 2001/1174
- ردمك : 9981-808-79-2
- السحب : مطبعة المعارف الجديدة - الرباط - المغرب 2002
- الطبعة الأولى : 1422هـ / 2001م

بسم الله الرحمن الرحيم

عظمة الميثاق في الإسلام

«وإن استنصروكم في الدّين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق»

الأنفال، الآية 72

الباب السابع

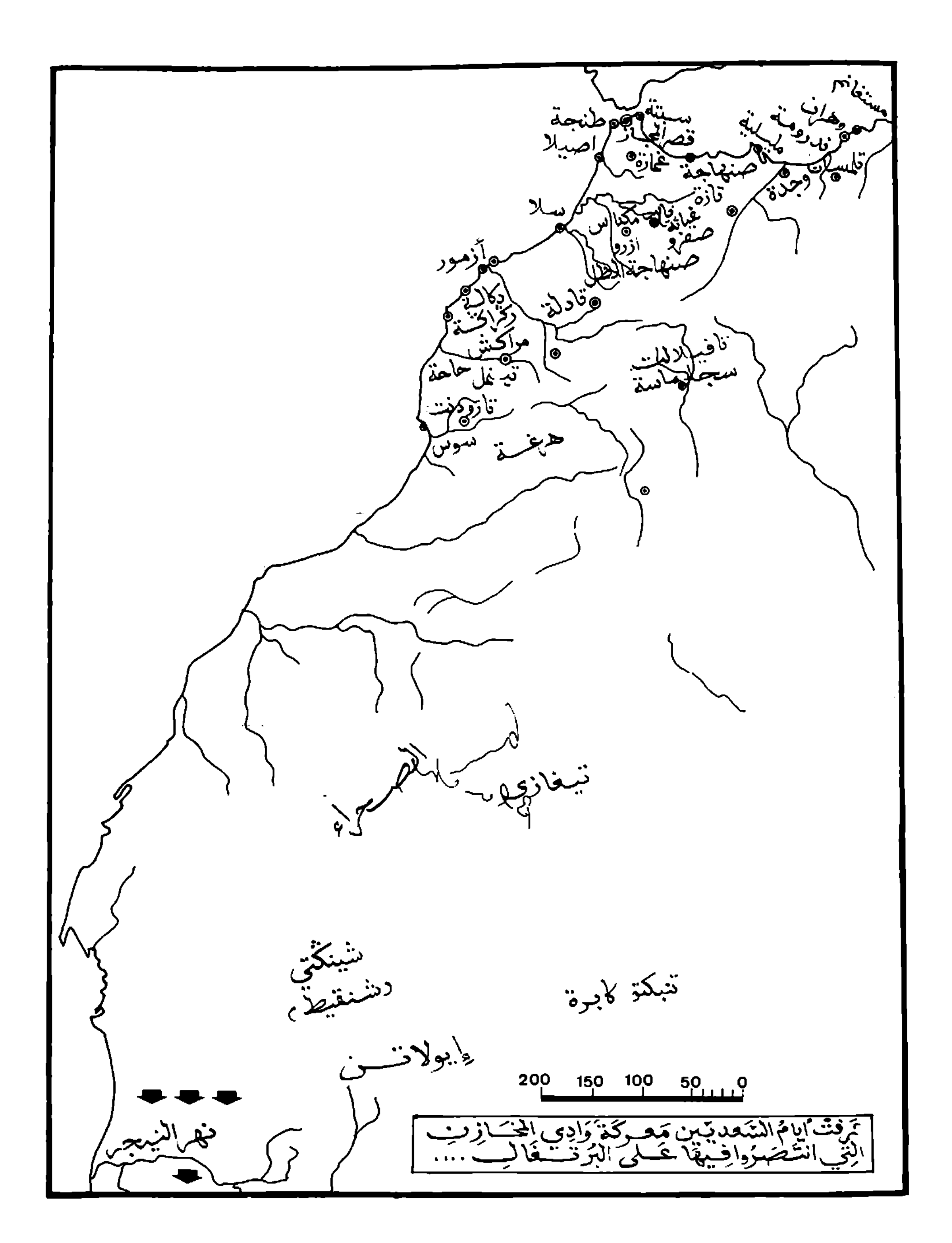
دولة السعديين

- علاقات المغرب بالعثمانيين والمشرق
- علاقات المغرب بالبرتغال
- العلاقات المغربية الإسبانية
- العلاقات المغربية الفرنسية
- علاقات المغرب مع انجلترا وطوسكان
- علاقات المغرب مع باقي ممالك افريقيا الغربية
- العلاقات المغربية مع البلاد المنخفضة

الفصل الأول

علاقات المغرب بالعثمانيين وبلاد المشرق

- العلاقات مع تركيا وتدخل سليمان القانوني
- التحالف العثماني الفرنسي وآثاره على العلاقات المغربية الإسبانية
- اغتيال محمد الشيخ وحمل رأسه إلى اسطامبول !
- محاولة العثمانيين لإصلاح موقفهم مع المغرب
- مساندتهم مولاي عبد الملك
- تغيّر الموقف بعد انتصار وقعة وادي المخازن !
- محاولة انقلاب على أحمد المنصور
- موقف العثمانيين من تحرك المنصور في سُنْغاي
- صلة السعديين بقادة المشرق
- وفادة فارسية على المغرب وعلاقتها بالصراع الفارسي التركي



خريطة دولة السعديين

علاقات المغرب بالعثمانيين وبلاد المشرق

لقد حدث في هذه الأثناء أن كانت تلمسان تلفظ أنفاسها الأخيرة، وهكذا وجدنا بعض أمرائها يستصرخ بالإسبان ضد البعض الآخر الذي يحتمي بالأتراك، ولم يكن غريبا علينا أن نشهد الإسبان يناصرون المستصرخين بهم ضد الأتراك الذين أصبحوا حلفاء لفرنسا كتلةً واحدة، وهكذا أصبح الصراع في الواقع بين قوى خارجة عن المنطقة، تهدف لتحقيق أغراضها السياسية على حساب المواطنين المتنازعين..!! وبمقتضى التقارير التي تحمل تاريخ 28 مارس 1349 [1] فإن العاهل المغربي استقبل عدداً من أشياخ تلمسان يحملون إليه ولاء المدينة مؤكدين انضمامهم إليه ومساعدتهم له على فتحها تخلصاً من أولئك وهؤلاء !!

وهكذا وفي فاتح ربيع الثاني 956= نهاية أبريل 1549 انطلقت القوات المغربية نحو شرقي البلاد حيث تقدمت نحو تلمسان التي دخلتها يوم 23 جمادى الأولى 957=9 يونيه 1550...

ولقد كان رد الفعل عنيفاً حيث شاهدنا معارك داميةً بين الأتراك والمغاربة أسفرت عن انسحاب القوات المغربية عن تلمسان أواخر سنة 1550.

ولا شك أن السلطان سليمان القانوني كان يقدر ما ستخلّفه مثل هذه الاصطدامات من رد فعل، وهكذا نجده يبعث برسالة إلى السلطان محمد الشيخ يخبره فيها بعزل واليه على الجزائر حسن باشا الذي لم يحسن الجوار، ويحيطه علماً بأنه عين صلاح باشا الذي يتمنى أن تكون علاقاته به حسنة... وكانت الرسالة بتاريخ أوائل المحرم 959 = يناير 1552

---

1) Les sources inédites de l'histoire de Maroc, I Serie espagne vol. 1, p : 208.

تحريرا في أوائل محرم سنة تسع وخمسين وتسعمائة بمقام أردنة

وبعث إليه في التاريخ ذاته برسالة أخرى ودية، ولكنها تحمل بين سطورها ما ينم عن أن السلطان سليمان القانوني على عظمته -لم يعرف عن هذا المغرب شيئاً !! فقد كان يعتبر محمد الشيخ أحد ولاته ! ولذلك فقد بعث له على طريق الصلة- بثلاث خلع واحدة له واثنتين لولديه !!


السلطان سليمان القانوني

ولم يكتف السلطان سليمان ببعث الرسائل، ولكنه شفع ذلك بإرسال سفارة هامة إلى سلطان مراكش برئاسة أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي نزيل الجزائر وذلك "سنة تسع بمثناة وخمسين 959=1552 بقصد المهادنة بين السلطانيين وتحديد البلاد بينهما" على حد تعبير صاحب النزهة [1].

وإذا كنا لا نتوفر على المصادر التركية التي تحدثت عما دار من محادثات أثناء هذه السفارة، فإن المصادر المغربية -تساندها المراجع الأوروبية -تذكر أن السفير الخروبي جاء فعلا ليقترح على العاهل المغربي عقد السلام بين البلدين كما يطلب إليه تعيين الحدود بين الإيالة التركية والمملكة المغربية، ولكنه يطلب إلى ملك المغرب أن يعترف بالسيادة العثمانية وأن ينقش اسم السلطان العثماني على قطع العُملة المغربية على نحو ما كان أواخر العهد الوطاسي كما يقول الزياني في كتابه (الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب).

1) اليفرني : نزهة الحادي ص 41-42 الاستقصا5، 27-31. الزاوي : أعلام ليبيا ص 306. المصراتي : لمحات أدبية عن ليبيا. التازي ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقي – طبعة المحمدية 1976 ص : 16 -خليل الساحلي، المجلة التاريخية المغربية (تونس) عدد يوليه 1974.

وقد ورد في تاريخ الدولة السعدية لمؤلف مجهول أن رسول السلطان سليمان أعاد لذاكرة العاهل المغربي ما كان عليه أسلافه في الدولة الوطاسية من تواد ٍ وتحاب وتقارب للباب العالي... وأن ملك المغرب سكت ولم يجب السفير بشيء... بالرغم مما كان يلقاه السفير من تكريم وتقدير...

وعندما عزم السفير على العودة إلى الذين أرسلوه استأذن محمد الشيخ في الإنصراف وطلب إليه هل ما إذا كانت عنده من رسالة يبلغها إلى السلطان سليمان القانوني... وهنا نجد المؤرخين يذكرون أنه أي محمد الشيخ بقدر ما ارتاح من المطلبين التركيين الأولين اشتط غضباً وهو يسمع عن مساومته في السيادة على البلاد..[1].

ولم يهضم بأية حال تقاعس العثمانيين عن تحرير وهران في حين يحاولون فيه التنقيص من سيادته...[2].

وقد قصدت القوات العثمانية فعلا إلى بادس : أقرب ميناء لفاس ... وكانت تلك القوات تتألف من اثنتي عشرة قطعة حسبما ورد في رسالة بتاريخ 23 أبريل من السنة..[3] والتحم الجيشان التركي والمغربي في معركة انتهت بتراجع جيش السعديين. وهكذا تقدمت القوات التركية حتى مدينة تازة عبر تاونات ومنها إلى فاس حيث جرت بظاهر المدينة معركة بالسلاح الأبيض.

واحتلت فاس يوم 3 صفر 961=8 يناير 1554. وتحتفظ حجج الوقف (الحوالات الحبسية) الخاصة بجامع القرويين بوصولات تتحدث عن أخذ قسط من أوقاف القرويين لحساب الأتراك[4].

وهكذا تمكن الأتراك من فرض ذكر السلطان سليمان على منابر فاس وأخذوا ينتظرون ظهور اسمه أيضا على العملة المغربية !

وما لبثت فاس أن ثارت على الأتراك الذين اضطروا لمغادرة المدينة في عاشر ربيع الأول من نفس السنة حيث تبع هذه الأحداث تمكن محمد الشيخ من الإجهاز على عملاء الأتراك واسترجاع العاصمة بصفة نهائية يوم 24 شوال 961=23 شتنبر 1554 أي بعد تسعة أشهر فقط !

---

1) تاريخ الدولة السعدية، ص 27.

2) د. التازي : التاريخ الدبلوماسي ج 8 ص 21-22.

3) Sources inédites. s.I.T.2, Espagne. p :88.

4) التازي : تاريخ جامع القرويين، صفحة 461، طبعة ثانية، 2000، دار نشر المعرفة، الرباط.

ونذكر هنا أن محمد الشيخ لما كان بفاس سمع بخبر فرقة تخلفت من محلة الترك، فجمعها وضمها إلى عسكره، وكلف رحالها بالمسير مع حملة أثقاله، ولما بلغ مراكش أنزلهم بجوار قصره وكلما رأى من أحدهم نباهة قربه إليه حتى كان الكثير منهم في خدمته بداخل قصره.

وقد أخذ محمد الشيخ يتقرب مع هذا إلى الإسبان على نحو ما فعله السلطان سليمان في تقربه إلى فرنسا... وهل يسوغ لسليمان القانوني مالا يسوغ لمحمد الشيخ؟![1]

ونتيجة لهذه الاتصالات فقد وجدنا سفارة إسبانية بالقصر الملكي في فاس 15 مايه 1555= 23 جمادى الثانية 962 تفاوض العاهل المغربي حول مشروع اتفاقية للتعاون...

لقد كان يجلس إلى جانب السلطان كاتبه بوحميدة والمزوار منصور إلى جانب ترجمان يهودي يحمل اسم ليفي الذي قام بترجمة الرسائل المرفوعة إليه من العاهل الإسباني، وكانت البعثة الإسبانية برئاسة ميكيل دو ليزكانو (M. De Lezcno).

وتعرض المتفاوضون لمصير الجزائر بعد إجلاء الأتراك عنها فذكر للعاهل المغربي -على ما يقول المصدر الأوربي=أن الأمر يتعلق بالإجهاز من لدن الإسبان على المدينة لكن سلطان المغرب رفض رفضاً قاطعاً أن يصبح المسلمون عبيداً للمسيحيين ! ولما حاولت السفارة أن تفهم العاهل أن هناك فرقاً بين خصومه الأتراك وبين أصدقائه العرب، أجاب بأن الشريعة لا تميز بين عربي وتركي...! ولذلك فإنه لن يسمح باستعباد المسلمين !!

وغادرت البعثة الإسبانية مدينة فاس يوم 18 يونيه 1555=28 رجب 962 لترفع تقريرها إلى الكونت ألكوديت حاكم وهران [2] الذي وجدناه يرفع تقريراً إلى الأمير فيليب ابن الإمبراطور شارلكان بتاريخ 9 غشت 1555 21 رمضان 962 كان مما ورد فيه :

يجب أن نعتبر أنفسنا سعداء، ففي الوقت الذي يبذل فيه ملك فرنسا عدونا الألد كل جهوده لتسخير الأسطول العثماني، كي يهاجم ممتلكاتنا، وجدنا ملكا عربيا ذا نفوذ كبير يصمم على مهاجمة أتراك الجزائر .

---

1) التازي : تاريخ جامعة القرويين 2، 461-477-618.

2) Sources inédite. I.S.T.II. Espagne p. 270-271.

لقد كانت هذه الأصداء تصل إلى السلطان سليمان القانوني، ولكنه عوض أن يصحح الأخطاء التي أوقعه فيها ولاته الذين يعتمدهم في الجزائر قام بإرسال أربعة آلاف مقاتل لمساندة والي الجزائر على احتلال مملكة المغرب !، وبينما كان الجيش التركي ينتظر الأمر بالتقدم إذا بديوان السلطان سليمان يوحي إليه بنفس الهاجس الأسود الذي كان نفذه الخليفة هارون الرشيد منذ قرون، عندما خطط لاغتيال الإمام إدريس ! ولم يكن هناك فرق بين الخطتين سوى أن هارون اكتفى بالتصفية الجسدية لإدريس، بينما ديوان سليمان طلب أن يحمل إليه رأس محمد الشيخ حتى اسطامبول !!

وهكذا فعوض المغامرة بإرسال كل تلك القطع الذي تتعرض للخطر في البوغاز لا سيما واسبانيا بالمرصاد لتركيا حليفة فرنسا... عوض ذلك أو عزوا لإثني عشر من أخطر فتّاك الترك الأشداء ليدخلوا المغرب مظهرين خدمة محمد الشيخ. وهكذا اقتحموا عليه خيمته واغتالوه يوم 27 ذي الحجة عام 964=23 أكتوبر 1557.

ولعل من المفيد أن نحيل على المقطع الذي أورده الزياني في مخطوطته النادرة (الترجمان المعرب) حول هذه المستجدّات [1].

ولما بلغ خبر مصرع السلطان لولده عبد الله الخليفة بفاس بايعه أهلها وقبائلها وتجهز للترك الذين قتلوا والده الى أن قتلوا عن آخرهم..."!!

وهكذا فلأول مرة في التاريخ سمعنا عن جثة تدفن في مراكش وعن رأس يحمل في مخلاة ويجعل داخل شبكة من نحاس ويعلق فوق قلعة باسطامبول ! لقد كانت الحادثة طليعة شؤم في العلاقات المغربية التركية...

مهما يكن، فإن نتيجة الاغتيال لم تكن على ما كان يتوقع السلطان سليمان، فقد بقي الأمير مولاي عبد الله بن محمد الشيخ يتصور جثة والده في مراكش ورأسه في الآستانة !

ويذكر كتاب تاريخ الدولة السعدية لمؤرخ مجهول أن الأمير مولاي عبد الملك وهو أخ للسلطان مولاي عبد الله كان ينازعه في الحكم سأل ذات يوم السلطان مراد أن يزوده بكتيبة من الجنود الأتراك لمنازعة أخيه عبد الله فرد عليه قائلا : إني لا أعينك على الفتنة، وأخوك قد تولى وبايعه المسلمون من أهل المغرب وهو أكبر منك، ولكن سأرسل إليه.

1) د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 7 ص 3.

وفي هذه الأثناء جاء رسول من اسطانبول من عند السلطان مراد إلى مولاي عبد الله في محاولة المصالحة.. وقد كان يقوم إلى جانب هذا باستخبار الناس قبل أن يبلغ مراكش : هل إن المغاربة راضون على أميرهم مولاي عبد الله ؟ وهل هو عادل في الرعية... ولما وصل العاصمة مراكش أمر العاهل المغربي بإنزاله وإكرامه إلى أن تلقاه بقبول جميل وقد أرسل مولاي عبد الله مع الرسول التركي كاتبه الأديب الفصيح أبا محمد السرغيني، وصاحبه بالهدايا...

ولكن المنطقة الشرقية شهدت صداماً عنيفاً بين القوات المغربية والتركية، دارت فيها الدائرة على القوات العثمانية، حيث نجد العاهل يبعث إلى قواده بالمملكة برسائل البشرى من معسكره بتاريخ 17 جمادى الثانية 965=6 أبريل 1558 !

وبالرغم من أن أيّ معاهدة لم تعقد إلى الآن مع اسبانيا ضد الأتراك، فقد شاهدنا أن السلطان مولاي عبد الله يظهر -اتقاء للخطر التركي -استعداده لإرضاء بعض المطالب التي تقدمت بها بعض الدول الأروبية. وهكذا نجده من ناحية يفاوض سفير ملك نافاره أنطوان دوبوربون (Antoine de Bourbon) سنة 1559=966-967 في شأن "القصر الصغير"[1]، ونجده من ناحية ثانية يرفع حصاره عام 1562=969-970 عن مدينة الحديدة المحتلة من طرف البرتغال حتى يامن حماية ظهره المهدد من قبل الأتراك[2] ونجده من ناحية ثالثة يطلق يد الإسبان في جزيرة بادس التي أصبحت منذ النزول التركي بها مصدر خطر بالنسبة للسعديين...[3].

وقد كان المنتظر أن يعيد السلطان سليم الثاني، النظر في سياسة أسلافه، لكن الذي حصل أن الأتراك دأبوا على إيواء المعارضين لحكم السسلطان مولاي عبد الله وظلوا يحشرون بأنوفهم في الشؤون الداخلية للبلاد. وهكذا نجد السلطان سليم يدشن أيام حكمه بإرسال "مرسوم" إلى مولاي عبد الله[4] بتاريخ أوائل صفر 975=10 شتنبر 1567 حول أحقية أخيه مولاي عبد الملك الحكم !

1) Sources inédite, s.I.T.1, France P : 174
2) Sources inédite, s.I.T.2, France P : 231
3) Sources inédites, S.I. T. 2. France, p. 264, Angleterre, p. 55.
4) إلى عبد الله هذا تنسب العملة العبدلاوية.... D, Eustache : Corpus des Monnais..Rabat, 1984 p. 609.

ولما لم يتوصل السلطان سليم بجواب من السلطان مولاي عبد الله، فقد جدد الاتصال به بتاريخ أواسط جمادى الأولى 976=1-10 أكتوبر 1568 يطلب إليه "أن يتنازل عن نصيب من ممالكه للأمير مولاي عبد الملك" وفي هذه المرة كانت "الرسالة" عوضاً عن المرسوم" (1)

ولقد ظل السلطان مولاي عبد الله غير مكثرت بتوسلات السلطان سليم ضارباً عرض الحائط بخطاباته، وقد كان الملاحظون يتوقعون إنزال العقاب المبكر بهذا العاهل الذي لم يركع أمام الباب العالي، بيد أن انشغال البحرية العثمانية بالكارثة العظمى التي ضربت الأسطول التركي عام 1571=978 في معركة ليبانت (Lépante) كانت وراء العدول عن إنزال ذلك العقاب...

وهكذا لم يتحرك سليم إلا بعد سنتين عندما تناهى إلى سمعه ما قدّمه العاهل المغربي من مساعدات ثمينة للثورات التي شنها الموريسكوس في جبال البوشرات بغرناطة، ويظهر أن السلطان سليم، قد اقتنع بأن التقارب المغربي الإسباني لا يعني العدول عن موقف المغرب إزاء التضامن الإسلامي وأن ذلك التقارب لن ينال من الصلات القوية التي تجمع المغاربة كمسلمين بالأندلسيين المضطهدين، وبهذا نفسر إرسال "أمر" منه إلى "الحاكم بولاية فاس المحميّة بحماية ربّ الناس» ! ينوه فيه بمعاضدة المغرب لأهالي ولاية أندلس المحمية. وكان ذلك بتاريخ جمادى الأولى 981= شتنبر 1573 في نفس السنة التي توفي فيها العاهل المغربي.

وقد كانت وفاة مولاي عبد الله الغالب يوم 28 رمضان 981= 21= يناير 1574 فرصة لتحريك موضوع وراثة العرش من طرف الأمير مولاي عبد الملك الذي نفذ صبره وبخاصة بعد أن سمع بمبايعة ابن أخيه محمد...

وهكذا وجدناه يتوسل هذه المرة بالملك شارل التاسع ملك فرنسا على ما تفيده رسالة منه بتاريخ 3 صفر 982=25 مايه 1574 محررة بجزائر الغرب، تذكر أنه أي المولى عبد الملك يخبر شارل بأنه سيذهب بنفسه للمشاركة في العمليات الحربية ضد الإسبان في تونس، وأنه من هناك سيتوجه إلى اسطانبول، ومعلوم أن شارل التاسع جدد سائر الاتفاقيات التي كانت قد أبرمت في

1) د. التميمي : الخلفية الدينية للصراع الإسباني-العثماني، المجلة التاريخية المغربية، عدد 10-11 يناير 1978..

العهود السابقة بين مملكته وبين الباب العالي بل وحصل على امتيازات أخرى كانت فرنسا فيها مقدَّمة على سائر الدول الأخرى [1].

وتذكر المصادر المغربية وبخاصة الإفراني في النزهة أن الأمير المولى عبد الملك اتجه صحبة شقيقه الأمير مولاي أحمد إلى اسطامبول عبر الجزائر صحبة والدتهما الأميرة سحابة الرحمانية [2] وطلب إلى السلطان مراد الثالث أن يمده بالجيش لانتزاع الملك من ابن أخيه وأن السلطان لم يستجب في البداية لمطلب الأمير الذي لم ينفكّ يلح عليه هو ووالدته سحابة إلى أن أجابهما إلى ذلك.

وإذا ما اعتمدنا على ما يوجد في كتاب النفحة المسكية للتمكروتي فإن المولى عبد الملك كان بالعاصمة التركية عندما تقرر إرسال المدد لإجلاء الإسبان عن تونس، وهكذا رافق الأمير السعدي الجيش التركي الذي أحرز على النصر عام 982=1575 فكان عبد الملك أول من أرسل البشرى مع أصحابه إلى السلطان العثماني فبلغت الرسالة أمه سحابة الرحمانية فأعطت للسلطان المذكور ما كتبه ابنها والتمست منه أن يعطيها في مقابلة "بشارتها" أمر الذهاب مع ابنها للغرب...

وهكذا زود الأتراك مولاي عبد الملك بكل ما كان ينتظره من ذخائر وعتاد وتذكر المصادر الأروبية أن مولاي عبد الملك التزم بأداء تعويض للسلطان مراد الثالث قدره خمسمائة ألف دينار ذهبي، كما التزم بعقد حلف مع الأتراك على مهاجمة مصالح اسبانيا...

وهكذا سهّل اقتحام فاس (983=1576) على المولى عبد الملك الذي دخلها مع شقيقه مولاي أحمد معززاً بالجيش العثماني حيث رأينا محمد المتوكل يخذل من طرف جيشه، وعبثا كانت المعارك التي خاضها ضد عمه طَوال سنتين كاملتين والتي انتهت بالتجائه إلى طنجة ليستنجد من هناك بملك البرتغال على استرجاع عرشه... على ماهو معروف.

1) في عهد هذا الملك تمت المواجهة المسلحة بين العثمانيين وبين الإسبان في أعقاب استنجاد البندقية بهؤلاء حيث حلت الكارثة العظمى بالأسطول العثماني يوم 17 جمادى الأولى 979= 7 أكتوبر 157 الأمر الذي حرك العثمانيين لضرب الإسبان في تونس. تاريخ الدولة العلية العثمانية ص : 111-112-113.

2) هذا ما ينص عليه الإفراني في كتابه النزهة، ومعلوم أن سحابة هي أم عبد الملك وشقيقه أحمد، وتذكر بعض المصادر المخطوطة أن الأميرة المقصودة هي لالة عودة (أو مسعودة) الوزكيتية.

د. التازي، المرأة في تاريخ المغرب الإسلامي، نشر الفنك بمساهمة FRIEDRICH EBERT STIF-TUNG، 1992، ص. 230-232-264-265

خطاب السلطان سليم للعاهل المغربي مولاي عبد الله

بتاريخ جمادى الأولى 981 = شتنبر 1523

وقد سجلنا رسالتين اثنتين من السلطان مراد الثالث تحملان معا تاريخ 28 ربيع الأول 985=9 يونيه 1577 إلى المولى عبد الملك، وفي هاتين الرسالتين نرى السلطان مراد يمن على مولاي عبد المالك بما أسداه إليه ويطلب إليه أن يظل منتسباً إلى الباب العالي[1] وأن يبقى مع والي الجزائر الجديد حسن بشا،[2] على حسن المعاملة والاتفاق، العاري عن سوء الشقاق.

وقد جاءت (معركة وادي المخازن) التي خطط فيها البرتغال لاحتلال المغرب بمساعدة محمد المتوكل الذي استنجد به على ما أسلفنا... جاءت لتفتح صفحة جديدة ولكنها مؤقتة في باب العلاقات المغربية العثمانية، حيث شاهدنا إلى جانب القوات المغربية الهائلة عدداً من الجند النظامي الذي أوعز الصدر الأعظم التركي إلى والي طرابلس بإنجاد سلطان المغرب الشرعي [3].

وكانت الموقعة الظافرة يوم الإثنن 30 جمادى الأولى 986=4 غشت 1578. وقد ذهب ضحيتها دون سباستيان ملك البرتغال ومحمد المتوكل [4] الذي استنجد به بعد أن كان السلطان مولاي عبد الملك قد أسلم الروح صبيحة يوم المعركة متأثرا بأخبار فرحة النصر العارمة !!

ولقد أمسى المولى أحمد المنصور شقيق العاهل الراحل سلطاناً على البلاد وهكذا حصل على بيعة أهل الحل والعقد.

وإذ نقرأ في تاريخ الدولة العلية "أن الجيوش العثمانية عادت إلى اسطانبول تحمل معها ما أغدق به عليها من الهدايا، نجد الفشتالي في كتابه (المناهل) يتحدث عن إيفاد رسائل المنصور إلي القسطنطينية يخبر سلطان الروم والمشرق بما هيأ الله من نصر دينه وإعلاء كلمته والاستيلاء على أحزاب الشرك وطواغيث الكفر...

وقد أجاب السلطان عن هذه السفارة بأخرى في جمادى الأولى 987= يوليه 1579 ضمت عدداً من علية القوم، وقد أوعز إلى مفتي الجزائر الشيخ أبي الطيب البسكري بصحبتهم إلى المغرب كسفير يتحدث باسم السلطان... وقد حمل الوفد هدايا ثمينة إلى المنصور وسيفا مُحلًى بديع الصنعة فاخر الحلي والزينة، وقد توفّق السفير في صياغة التهنئة والإعراب عن مقاصد الرسالة

1) مهمة دفتري رقم 30 ص : 210 حكم ورقة 941. المجلة التاريخية المغربية، عدد يناير 1978.
2) مهمة دفتري رقم 30 ص : 211 رقم 492. المجلة التاريخية المذكورة 1978.
3) د. التازي التاريخ الدبلوماسي 8، 47.
4) آل ابنه مولاي الشيخ الى خدمة البلاط الإسباني، مجلة المناهل 13-14، دجنبر 1978، يناير 1979.

فاهتز لذلك أمير المومنين سروراً ولقّاهم مبرة التكريم حتى انقلبوا إلى مرسلهم محبورين على حد تعبير القشتالي.

وتتحدث المصادر التاريخية المغربية المعاصرة عما سمي "تثاقلاً" من أمير المؤمنين، أرجعه بعضهم إلى انشغاله بتمهيد المملكة وأرجعه البعض الآخر إلى ما بلغ للمنصور بواسطة مخبريه من أن اسطامبول تقصد إلى الاستيلاء على المغرب. ولابدّ أن نشير هنا لمحاولة الانقلاب التي تزعمها الموريسكي سعيد الدغالي ضد المنصور، ونتساءل هل ما إذا كان الدغالي يعمل لحساب بعض الأتراك الذين أصبحوا يرون أن الأمير إسماعيل بن عبد الملك المقيم بالجزائر أولى من عمه المنصور! وهل ما إذا كان لتثاقل المنصور عن مواصلة العثمانيين علاقة بهذه الحركة الخطيرة[1].

وقد رأينا علوج علي باشا (باي لارباي إفريقيا) يجد فرصة للدس أمام السلطان مراد ضد المنصور لاستئصال رحم الدين الجامع بين الأمتين، وهكذا زين للسلطان مراد النزول إلى المغرب في الأسطول حيث حلّ فعلاً بالجزائر، وقد اتصلت هذه الأخبار بأمير المومنين وهو مخيم بجنوده في تانسيفت.

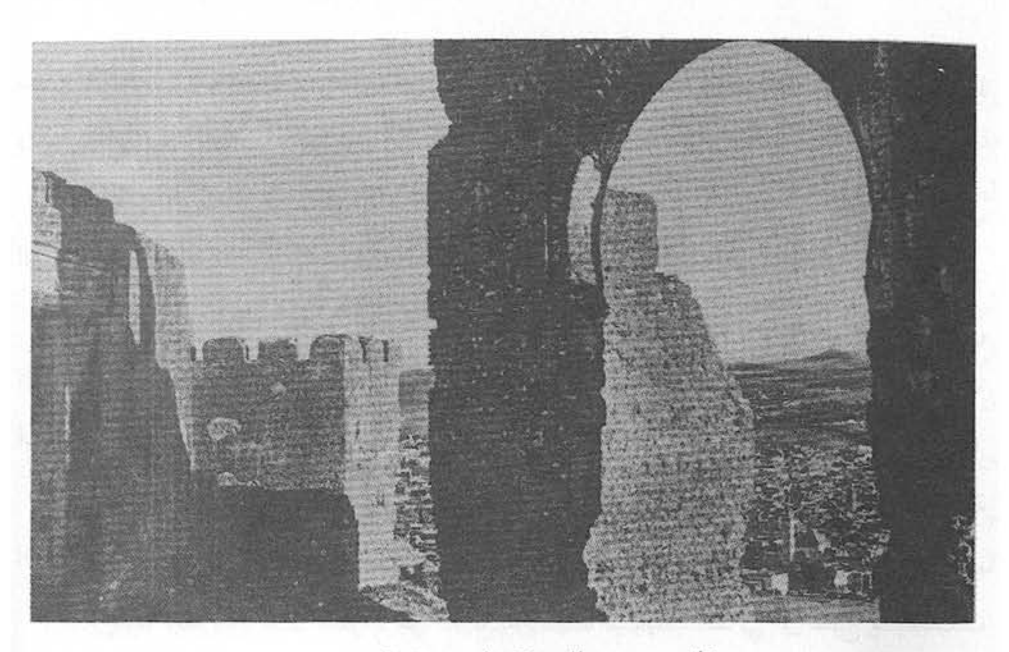
لقد تجلى موقف المنصور من هذه الخروقات العثمانية الجديدة في تحركين اثنين، فقد قبل أولاً الحوار مع اسبانيا حول مشروع اتفاقية تهدف لإقامة هدنة بينه وبين فيليب الثاني لفترة عشرين عاماً.

ورأينا المنصور من جهة أخرى يقوم بعمل دبلوماسي رائد. وهكذا بعث عبر البحر سفارة عاجلةً الى القسطنطينية لمعرفة حقيقة الموقف، تتألف من القائد أبي العباس أحمد بن ودة العمري والكاتب أبي العباس أحمد بن يحيى الهوزالي وكانت تحمل طائفة من الهدايا الفاخرة...

وفي طريق البعثة التقت بعلوج علي باشا في اتجاه المغرب فخاف مغبة وصول البعثة للأبواب العثمانية وكشْف دسائسه أمام السلطان مراد، وقد استمر الهوز إلى في طريقه للقسطنطينية لتبليغ الرسالة، ولقد تأكد للعاهل المغربي أن هناك شيئاً.. وهكذا نجده يقرر إرسال

1) Garcia-Armal (mercedes) : Los andalusies en el ejército sâdi : un intento de golpe de estado contron Ahmad al-mansur al-Dahabi 1578, Al-Qantra, vol. V, 1984 Fascs, 1Y2, p. 169.

د. التازي سعيد الدغالي، بحث قدم لأكاديمية المملكة المغربية في ندوة عن الموريسكيين، شفشاون، شتنبر 2000.



قلة بني مرين المشرفة على مدينة فاس حيث
يرقد السلطان مولاي عبد المالك بطل وقعة وادي المخازن



السلطان أحمد المنصور
الذهبي كما تخيله
رسام مجهول

سفارة ثانية إلى اسطامبول... ويقوم في الوقت ذاته بإرسال رسالة إلى والي الجزائر حسن باشا وأخرى إلى أمير الأسطول علوج سابق الذكر.

وكانت البعثة المغربية هذه المرة 989=1581 برئاسة قاضي القضاة أبي القاسم ابن علي الشاطبي صحبة القائد أبي زيد عبد الرحمن بن منصور بن سعيد الشيظمي المريدي[1].

وكان وجود الوفد المغربي بالقسطنطينية فرصة للاستئذان بإلقاء خطاب من طرف القاضي الشاطبي أمام السلطان مراد ومجلس وزرائه أشاد فيه بالدولتين، وقرر فضل أهل البيت كما دعا فيه إلى اتحاد كلمة الإسلام الأمر الذي كانت له دلالات خاصة.

وحسبما نقله الكاتب القشتالي فإن السلطان مراد حمّل الوفد المغربي جواباً عن رسالة المنصور كتبه بخط يده، ونحن نعلم أن مراد الثالث كان يحسن اللغة العربية...

وهكذا أنقذ الله بلاد المغرب من كارثة بعد أن تأكد للباب العالي أن علوج لا يستهدف فقط الإجهاز على المملكة المغربية، ولكنه كان يمهد لحركة انفصالية شاملة !!

ومرة أخرى وفي بحر سنة (990=1582) أخذ الخطر التركي يهدد البلاد من جديد... حيث أخذ علوج يمهد مرة أخرى للانقضاض على المغرب، وهكذا وجدنا المنصور "يتثاقل" مرة ثانية عن مخاطبة السلطان العثماني، الأمر الذي تفيده قلة المخاطبات فترة من الزمن.

وقد وجد الباب العالي الفرصة مواتية عندما قام -بعد معاهدة الصلح بين العثمانيين وبين بلاد فارس 21 مارس 19 ربيع الأول 993 يعني أيام سلطان محمد بنده 985-996 [2].. فهنا كتب للعاهل المغربي يخبر بالانتصار الذي أحرز عليه هناك... وما كان للمنصور بد من رفع الجواب إلى الخاقان مراد خان حيث أجابه بما يقتضيه المقام.

وتشاء العناية الحافّة بالمملكة المغربية أن يجدّ حدث في المنطقة كان على حد تعبير أوكيست كور (Auguste Cour)، أهمّ من وقعة وادي المخازن بالنسبة لإفريقيا، فقد اتفقت وفاة علوج مع نهاية تطلع الأتراك للمغرب الأقصى فإن إلغاء نظام باي لارباي (Beylerbey) بالجزائر

---

1) المناهل ص. 64-65.

2) تاريخ الدولة العلوية، ص 116. تاريخ إيران بعد الاسلام تأليف عباس اقبال نقله عن الفارسية د. محمد علاء الدين منصور دار الثقافة القاهرة 1989 ص 653-654.

وتعويضه بنظام الباشاوات الذي يقضي بالعودة إلى اسطانبول في كل ما يتصل بالمغرب. وقد تبع هذا "الانقلاب".. إرسال سفارة جديدة خلال شهر ربيع عام 997= يناير 1589 من أجل البحث عن الصلح والمهادنة مع المغرب لمواجهة المرحلة القابلة.

ويبدو أنه نتيجةً لذلك الاتجاه الجديد من الباب العالي عينت سفارة مغربية جديدة للذهاب إلى القسطنطينية مصحوبة بهدية جليلة أواخر عام 897-1589 حيث قضت في رحلتها فترة امتدت إلى أواخر السنة الموالية وكانت مؤلفة من أبي الحسن علي بن أبي عبد الله محمد الجزولي البكري الدرعي التمجروتي، والكاتب أبي عبد الله محمد بن علي الفشتالي ورفيق ثالث هو محمد بن علي بن أبي القاسم...

ومن حسن الحظ أن السفير التمكروتي دوّن انطاباعاته عن هذه المهمة في مؤلفه "النفحة المسكية في السفارة التركية"[1].

وتصل السفارة إلى القسطنطينية العظمى في 16 محرم 998 الذي يوافق 25 نونبر 1589 على ما يضبطه السفير وفي اليوم الثالث من إقامته بدار الضيافة أذن له في الدخول على السلطان مراد بن السلطان سليم بن السلطان سليمان فدخل عليه في إيوانه...

ولما حان وقت السفر وتيسّر، أذن لنا – يقول التمگروتي – في الدخول على السلطان للوداع في القبة التي سلمنا عليه يوم ورودنا عليه على العادة وناولنا أجوبة على كتب الخليفة السلطان مولانا أحمد الشريف الحسني وهدية عظيمة مكافأة...

ولم يفت السفير أن يقوم بزيارة للمعالم الأثرية فيعطي وصفاً رائعا لجامع (آيا صوفيا) ويتحدث عن فوائد بعض المخطوطات التي تجلب للعاصمة من كل جهة...

وقد التحقت السفارة بمراكش ومثلت بين يدي السلطان أحمد المنصور الذي هنأ أعضاءها بالسلامة وأمر بإنزالهم ومن معهم من سفراء الترك، وقد كانت فرصة لتشهد السفارة التركية احتفالات المنصور السعدي بعيد المولد النبوي التي كانت تكتسي بمظاهر من الفرح والابتهاج الشامل لا يزال أثره إلى الآن....

1) النفحة المسكية، ص. 72.

وقد عثرنا على آثار لبعثة أخرى راح فيها أبو العباس الحاج أحمد الماسي الذي وجدناه في القسطنطينية وفي بلاد الشام.

وقد كان من بين هذه الرسائل الهامة "عجالة" تخبر بالعزم على إرسال سفير مغربي إلى الباب العالي... وانه إنما قدمها حتى لا تقع في يد أحد المتحاربين من قشتالة وأنجلترا فيطلعوا "على ما بيننا من الأسرار!!".

ونتساءل هنا هل ما إذا كانت هناك خطابات من السلطان أحمد المنصور إلى السلطان مراد الثالث حول حركة العاهل المغربي نحو امبراطورية سنغاي؟

إن المنصور الذي تعوّد مجاملة الباب العالي بأخباره بما سنّى الله من التوفيق وتعوّد مع ذلك تقبل الخطابات العثمانية حول انتصارات "الباب" لا يمكن أن يظل صامتاً إزاء ذلك الحدث العظيم الذي اهتزت له سائر الممالك الأروبية[1].

ومن المفيد أن نشير في هذا الصدد إلى رسالة هامة وجهت إلى إحدى الشخصيات العثمانية السامية.. وهي لا تحمل تاريخاً علاوة على أنها تعبر عن الأشخاص بفلان وعن الجهات بكذا.. ولكنها بالرغم من كل هذه "المعمّيات" تدل على تدخل الباب العالي في الشؤون المغربية، بل إنها، على ما نرى، تتعلق بتحركات المنصور السعدي في غرب إفريقيا لمضايقة الوجود الأجنبي هناك.

مهما يكن فقد كانت وفاة السلطان مراد (جمادى الأولى 1003=1596) وجلوس السلطان محمد خان على كرسي الحكم، مناسبةً لتجدد المراسلات والاتصالات، وهكذا نجد هذا الأخير يبعث إلى العاهل المغربي يخبره بالوفاة الأمر الذي دفع بالمنصور إلى أن يبعث من مراكش برسالة تعزية وتهنئة في وقت واحد إلى السلطان الجديد، وقد كانت الرسالة من إنشاء الكاتب محمد الفشتالي.

هذا وقد كانت الولاية الجزائرية والمملكة المغربية كل منهما يمر بظروف صعبة ظهرت فيها بعض العناصر الموتورة، والعميلة أحياناً، من التي تسعى لنسف مجهود كل من الجهتين من أجل

1) H. de Casstrie : la conquéte du soudan par Elmansour, Hes. 1923 T. 4. p : 475.

عودة الثقة بينهما، ولم يكن أمام القادة من اختيار إلا أن يتعاونوا لقطع الطريق على المتطلعين والمتسلقي، وقد تجلت هذه السياسة في بعض الرسائل المتبادلة بين المغرب والجزائر...

وفي هذه الأثناء تأكدت مملكة قشتالة من مخطط أبي العباس المنصور الذي يرمي لاسترجاع الأندلس، وتجلى هذا التأكد فيما بلغها من أصداء عن رسائل تبادلها العاهل المغربي أيضاً مع الباب العالي، وتقارير رفعها جواسيسها عن اهتمام العاهل المغربي ببناء الأسطول المغربي وبخاصة بعد إعلان الممالك الإفريقية ولاءها للمملكة المغربية.

تأكدت إسبانيا من ذلك - وكانت تحتفظ بأحد الأمراء الناقمين : الناصر ابن عبد الله الغالب، فأجمع رأيها على توجيه ضربة ماحقة وقاسية لجيش المنصور، وجندت لذلك سائر إمكانياتها جاعلة على رأس كل ذلك "الشقي الناصر حليف الصليب وولي الطاغوت، ورضيع لبان الموالاة لدولة الأقنوم والناسوت على حد تعبير رسالة موجهة من المنصور لأحد قواده بالسودان[1] وقد استنزفت حقيقة هذه المناورة الخطيرة والموقوتة استعداد المنصور للأندلس قبل أن يتمكن من أجتثات دابر الناصر الذي نزل بمليلية بتاريخ 2 ماي 1595.

وقبل هذا كان دور تشغيب مملكة قشتالة على الجزائر ذاتها بتحريك أحمد ابن القاضي سلطان كوكو جنوب بجاية وتسليطه على حسن باشا الذي تنبه للخطر المحدق به فقاوم التمرد.. وبعث إلى العاهل المغربي بالسفير يوسف الكيخْيا الذي سجَّل تقدير الجزائر لموقف المغرب، ومن المهم أن ننبه إلي تتبع بعض العبارات التي وردت في أحد كتب المنصور : "نحن بأنفسنا وأموالنا وأجنادنا لنصرتكم على أتم أهبة واستعداد...".

وإذا كنا لم نقف إلا على رسالة من المنصور إلى القسطنطينية بعد تحركه في بلاد سنغاي، إذا ما استثنينا رسالة التعزية في السلطان مراد، فقد سجلنا -على العكس من ذلك- صلاته الدائمة بزعماء الأقطار الشرقية، فقد كان السلطان المنصور يجد في مراسلة العلماء وأقطاب الفكر..[2]

---

1) رسائل سعدية ص :174.

2) مناهل الصفا ص : 108- رسائل سعدية ص : 179-التازي : رسالة المنصور الذهبي لأحد أقطاب المشرق (مجلة دعوة الحق، عدد أبريل مايه 1967.

تدليلا على إبراز شخصيته كعاهل ينتمي لآل البيت ويستحق السند والعون من زعماء الإسلام أينما كانوا، وإن قراءة مختصرة في الخطابات التي كانت توجه إلى هؤلاء الرجال لتدل على أن الهدف لم يكن فقط طلب إجازات علمية أو تقديم صلات وهبات، ولكن الهدف كان هو اطلاع الرأي العام على نشاط العاهل في مقارعة الغزو الأجنبي للسواحل المغربية وعمله على توحيد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا

وقد شاهدنا وفوداً من الشام والعراق ومصر والحجاز وغيرها في البلاط السعدي للمشاركة في الاحتفالات بالمولد... وقد اجتمع لدى المنصور ذات يوم ثلاثة أعلام، كلّ واحد من أهل المساجد الثلاث التي تشد إليها الرحال : المدينة ومكة وبيت المقدس[1].

ولا شك أن هذه اللقاءات كانت تخلف أثراً طيباً لدى سائر المشارقة الذي كانوا لا يترددون في الإعراب عن رجائهم في أن يشملهم المنصور السعدي بظلال حكمه وملكه[2]. كما لا يترددون في التأليف عن المغرب على ما سمعناه من قاضي حلب وقرأناه عن أكابر القسطنطينية العظمى وعن مصر كذلك [3].

لقد ظلت علاقات المنصور بالباب العالي مستمرة إلى آخر أيام حياته، وهكذا نجد رسالة من السلطان محمد الثالث محررة في اسطانبول بتاريخ 5 ربيع الأول 1012=23 غشت 1603 كتبها إلى فرنسا استجابةً لطلب من ملكها هنري الرابع الذي كانت تضايقه رقابة الأسطول المغربي في البحر المتوسط لما يمرُّ من سفن فرنسية...

لقد كتب محمد الثالث إلى أحمد المنصور الذي كان قد استسلم لمرض موته يلتمس منه تحرير البحارة الفرنسيين ويطلب إليه أن يعمل على منع رعاياه من شراء الأسرى الأفرنج من القراصلة «الخارجين عن القانون» في الإيالة الجزائرية والتونسية...

والتحق التحق المنصور بالرفيق الأعلى (1012=1603) وهو يئن من "الحب المفقود" بينه وبين القسطنطينية وولاتها في المغرب الأوسط على ما نقرأه في رسائله الأخيرة التي وجهها إلى ولي عهده بابا الشيخ في مهل جمادى الأولى من عام أحد عشر وألف...[4]

1) المفري، روضة الآس ص : 13-14 التازي : تاريخ القرويين ص : 360.
2) الأعلام للمراكشي ج 1 ص : 90.
3) المقري : روضة الآس ص : 20.
4) الإفراني، نزهة الحادي، ص 174-175-176-178.

وقد جلس على كري الحكم بعده ابنه الأمير زيدان الذي اصطدم بعدد من المشاكل، كان في أولها مضايقة أخيه أبي فارس له واضطراره إلى الالتجاء إلى تلمسان (1012=1604) قبل أن يتمكن من العودة إلى مراكش معتمداً على نفسه !

وكان مولاي زيدان تحدث عن ظروف المغرب في أعقاب وقعة وادي المخازن والتفات الأطماع للبلاد، قائلا في رسالته العظيمة لأبي زكرياء يحيى الحاحي :

فقد فغر فمه لالتهام المغرب عدوان عظيمان : الترك وعدو الدين الطاغية (اسبانيا).

لقد أشرنا إلى هذه الرسالة بالذات لأنها تعطي فكرة عن السياسة الخارجية لزيدان، وخاصة إزاء تركيا وإسبانيا.. وفعلاً فقد سار مع تركيا نفس سيرة أبيه : مجاملة ومصانعة.

وقد كان من نتائج تصلّبه مع الإسبان أن سطا قراصلة هؤلاء على مكتبة زيدان وهو العدوان الذي نجد فيه العاهل المغربي يتوسل فيه بسلطان تركيا ليسند طلبه إلى ملك فرنسا الذي كان زيدان يعتبره مسؤولا عن تلك القرصلة.

وحسبما تفيده رسالة من السلطان زيدان إلى هولاندا بتاريخ 10 غشت 1611، فإن العاهل المغربي بعث بسفارة إلى القسطنطينية... كانت برئاسة أبي فارس عبد العزيز محمد التغلبي، حيث راحت تحمل رسالة وهدية قدرت بعشرة قناطر من الذهب، ووصلت فعلاً إلى اسطامبول يوم 15 ذي الحجة 1025=24 دجنبر 1616 بعد أن انتظر خمس سنوات من إخباره لهولاندا بهذه السفارة خوفاً من تعرض الإسبان للبعثة الدبلوماسية.

وقد أمد السلطان العثماني سفارة المغرب -على ما يقال- بإثني عشر ألفا من الجند، إلا أنهم تعرضوا للغرق ولم ينج منهم إلا غراب واحد يحتوي على شرذمة قليلة ![1].

وقد احتفظت مخطوطة مغربية[2] بنسخ لعدد من الرسائل التي توجهت من الملوك السعديين الذين خلفوا المنصور، لكنها لاتحتوي على تاريخ، وبذلك صعب علينا أن نعرف مصدرها.

وهكذا وجدنا رسالة "إلى سلطان البحرين والبرين والعراقين ابن مولانا السلطان الوالد رحمه الله" تتحدث عن الرسائل والأرسال ووفود تترى بين الجانبين... كما تتحدث عن فتن الخوارج والاعتذار بالأحداث عن متابعة الاتصال... وعندما أزاح الله الموانع رجعنا إلى عهود الآباء لجمع الكلمة...".

1) الاستقصاء : S.I.H.M. Pays - Bas, S.1 . P.668. 70, 6

2) مخطوطة بالخزانة العامة تحت رقم : ك /278 ص : 129-130-34-35-157-158-326

ولا بد أن نلاحظ أن الأحداث السياسية بالمغرب كانت تجد لها صدى قوياً في تلك الأقاليم، الأمر الذي تدل عليه ماجريات التاريخ المعاصر.

وهكذا نظراً للمكانة المرموقة التي كان يتمتع بها العلامة المغربي أبو العباس أحمد المقري (تـ 1041) نرى أمير غزة يكرم وفادته على القدس سنة 1037 في أعقاب مغادرته لمدينة فاس أثناء المحنة التي تعرضت لها العاصمة العلمية في أعقاب تفويت مدينة العرائش لإسبانيا !

ومما يدخل في إطار اتصال المغرب بالمشرق على هذا العهد أيضاً نشير إلى ركب الحاج الذي مافتئ يتردد على البقاع المقدسة لدعم الصلات التي تربط بين جناحي العالم الإسلامي.

ونشير على الخصوص إلى البعثة الرسمية التي راحت سنة 1041-1042 لأداء المناسك والاتصال برجال الحرم، أيام السلطان الوليد بن زيدان السعدي، وقد تحدث عن هذه البعثة الشيخ محمد السراج الملقب بابن مليح المراكشي في رحلته الحجازية التي وصف فيها هدية السلطان الوليد لتلك البقاع.

وقد فتح للمبعوث المغربي باب الروضة فدخل حيث وضع جميع ذلك ووضع الرسالة والقصيدة بعد فض ختامهما وقرئت بمسمع الحاضرين... ودفع المال لحراس الروضة وسدنتها.

ولا ننسى بهذه المناسبة أن نذكر هنا أحمد بن قاسم الحجري المدعو أفوقاي الذي كانت له مجالس بمصر وخاصة مع الشيخ علي الأجهوري على نقرأه في رحلته المعروفة برحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب.

ومما له صلة بتتبع السعديين لتحرك الأتراك إلى الاستيلاء على البلاد الأخرى نذكر هنا هذه الإفاداة التي تكشف عن صلة الأمراء السعديين بأئمة اليمن بالرغم من بعد المسافات.

ويتعلق الأمر بالرسالة التي توجه بها إمام اليمن المؤيد بالله محمد بن القاسم إلي أهل المغرب بواسطة الطاهر بن عبد الله الإدريسي يدعوهم فيها للتمسك بدعوة أهل البيت، ويقترح عليهم فيها توحيد كلمتهم.

1) المخطوط محفوظ في مكتبة أمبروزيانا بميلانو (إيطاليا) تحت رقم 115 ورقة 71-75 وتوجد لها صورة بالخزانة العامة بالرباط (المغرب). التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 4 ص. 40-41. التازي، تحقيق رحلة ابن بطوطة، نشر أكاديمية المملكة المغربية 1997، ج. III، ص. 28.

وقد احُتفظ بالنص الكامل للرسالة في مخطوطة سيرة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم [1] ومن المهم أن نشير إلى أنه ورد ضمن هذه الرسالة المتحدث عنها نص الرسالة التي كان الإمام إدريس الأول بعث بها إلى صاحب مصر الأمر الذي وصل الى الخليفة العباسي فأمر بتصفية ادريس على ما عرفنا.

وفادة فارسية على المغرب وعلاقتها بالعثمانيين

ونحن في نهاية الحديث عن العلاقات المغربية التركية نشير إلى سفارة أنطوني شيرلي إلى بلادنا لا سيما وهي تمس أساساً محاولة الحصول من المغرب على وفاق بإشغال تركيا في شمال إفريقيا حتى تكفّ عن مضايقة فارس !

لقد كان الأمر يتعلق بتحرك دولي كان منطلقه في البداية من بلاد فارس وبالذات من الشاه عباس الكبير الذي قرر محاربة خصومه فقام بإرسال الشخصية الإنجليزية إلى البلاد الأروبية وإلى الديار المغربية بهدف إبرام تحالف دولي ضد الأتراك في أعقاب الحملات العثمانية المتوالية على العجم[1] فعلاً لقد ودّعه الشاه من إصفهان مقر إقامته آنذاك وأرفقه بحسين علي بينك Benk الذي كان يمثل -في الواقع- بلاط فارس.

وحسبما يذكره الدكتور ك. بياني (K Bayani) فإن أوراق الاعتماد التي سلمها الشاه عباس إلى شيرلي ربما كانت فريدة من نوعها، فهي موجهة إلى سائر الأمراء لكي يمنحوا ثقتهم سفيره فيما يبلغه أو ينقله...[2]

لقد عني المؤرخون بمعرفة الأهداف التي ورد من أجلها شيرلي إلي المغرب لمقابلة السلطان زيدان بن أحمد المنصور أوائل سنة 1606=1014 في مدينة مراكش، وأذكر أن في جملة المعلقين مَن ذكر أنه أي شيرلي ورد من الشاه عباس ليشرح للعاهل المغربي وضع الفرس أمام تربص الأتراك ! ذلك الوضع الذي يشبه تماماً وضع المغرب مع جيرانه الأتراك...!

---

1) تاريخ الدولة العثمانية العلية، ص 120.

2) K. Bayani : Les Relations de l'IRAN avec l'Europe occidentale à l'Epoque Safavide, Paris, 1937 p. 59-60.

نحن أمام عدد من الوثائق المعاصرة التي تتعلق بمهمة شيرلي في المملكة المغربية- فهناك رسالة مرفوعة من مراكش بتاريخ 16 دجنبر 1605 من طرف كوي Coy إلى هولاندا تنعت شيرلي بأنه سفير لأمبراطور ألمانيا... وتقول : "إنه إذا كان مراد السفير الحصول من ملك المغرب على اتفاق يهدف لطرد الأتراك عن الجزائر وتونس فإنه لا بد أن يجاب بالرفض من طرف العاهل المغربي!!

وبعد هذا فنحن أمام رسائل معاصرة كتبها الدبلوماسي الفرنسي دوليسل (A De Liste)، كانت اهتماماً بتحركات (شيرلي)، لقد كان فيما نقله الوكيل الفرنسي -الذي كان في الوقت ذاته طبيب الأسرة المالكة - أنه علم بواسطة الأميرة المغربية صفية أخت السلطان أبي فارس أن شيرلي ورد أيضا من طرف ملك إسبانيا لتأليب العاهل المغربي ضد تركيا على طول الساحل الإفريقي من جبل طارق إلى تونس شرقا. بيد أن ملك المغرب غير متحمس للتحالف مع المسيحيين ضد الأتراك المسلمين ولو أنه بالمرصاد لهؤلاء عندما تحدثهم نفسهم بالتطاول على التراب المغربي..![1]



السير أنطوني شيرلي

1) د. التازي، سفارة أنطوني شيرلي الى المغرب وعلاقتها بالتدخل الأروبي في منطقة الخليج، مجلة المناهل المغربية، العدد 9 يوليه 1977، ص. 94-103.

الفصل الثاني

علاقات المغرب بالبرتغال

- السعديون يفرضون أنفسهم على البرتغال
- الاتصالات الدبلوماسية الأولى بين الجانبين
- المباراة الرياضية التي لم تتم !
- المغرب بين البرتغاليين والعثمانيين
- نحو وقعة وادي المخازن الكبرى
- مصرع ضون سباستيان وانهيار امبراطورية البرتغال !
- ردود الفعل الوطنية والدولية
- المعركة بين الرواية المغربية والإفادات الأجنبية
- الزعماء المغاربة يعملون على تحرير الثغور المحتلة : سبتة، طنجة، أصيلا
- التجاء الأمير البرتغالي أنطونيو الى المغرب ملتمساً استرجاع عرشه!

البرتغال بين مملكة مراكش ومملكة فاس

إذا ما تحدثنا عن علاقات (مملكة مراكش) بالبرتغال فسنلاحظ بادئ ذي بدء أنها لم تبرز إلا عندما ظهر أمر الثوار بالجنوب المغربي فهناك أدرك البرتغال أن مما يحقق مصالحه أن يمد يده لطلائع (مملكة فاس في الشمال) فكانت للبرتغال ديبلوماسية ذات وجهين أو وجوه بالمملكة المجزأة..!

ولابد أن نشير إلى بعض الزعماء الذين ظهروا قبل استفحال أمر السعديين.. وقد كان في أبرز أولئك الناصر بن يوسف الهنتاتي ملك مراكش الذي كتب رسالة إلى إيمانيل الأول بتاريخ 15 جمادى الأولى 908= نونبر 1502 من مراكش، وقد أسعفه ملك البرتغال برغبته في عقد اتفاقية للتجارة والتعامل مع مراكش، وأنه سيبعث بوكيله في ماسة ج. لوبيز (Joào Lopes) حيث بادر الناصر للترحيب [1].

لكن الزعيم الهنتاتي لم يلبث أن انضم لحركة أبي العباس الأعرج السعدي بعد غزو هذا للمدينة مراكش بتاريخ 27 صفر 920-13 أبريل 1515 فاتجه اهتمام البرتغال عندئذ للقائد السعدي! وهكذا فقبل تاريخ 10 شتنبر 1523=29 شوال 929 بعث حاكم آسفي العسكري سفارةً إلى أبي العباس الأعرج [2] أبرمت هدنةً لبضعة شهور مع القائد المذكور، ويظهر أن مفعول هذه الهدنة سرَى..

1) S.I.H.M Portugal T.I p 72-73

2) المصدر السابق، المجلد الثاني، القسم الأول ص 319.

وهكذا أدت الهدنة عام 1524 = 930 إلى اتفاقية للسلام تحدثت عنها رسالة من الشريف إلى جان الثالث بتاريخ 24 صفر 932=10 دجنبر 1525 وكانت من أوائل الرسائل المغربية التي كتبت التاريخ بالأرقام العربية[1] التي تحدثنا عن انتقالها إلي أروبا منذ العهود السابقة...

وقد حررت، كما نرى، هذه الرسالة بعد زهاء سنتين من كتابة رسالة من طرف ستة برتغاليين وقعوا أسرى في يد الشريف، رفعوها إلى جان الثالث بعد تاريخ 10 شتنبر 1523= 29 شوال 929 [2]، وبعد سنة من عقد السلام مع الحاكم البرتغالي لآسفي، وتؤكد الرسالة إبرام عقد للسلام في السنة الماضية بواسطة قابطان آسفي وأزمور بواسطة المسيحي ماشادو :Machado، ولكن بالرغم من السلم المبرم فإن سكان أزمور، كالشأن في سكان آسفي قاموا بأسر عدد من حلفائهم ! وقد كان وقع خرق لاتفاقية السلام أثناء الفترة السابقة لهذا الاتفاق الذي تم بواسطة اليهودي أبراهام بن زاميرو - لقد نهبت بعض القوافل من لدن البرتغاليين، وإن السلطان مولاي أحمد يطلب من ملك البرتغال أن يستعمل نفوذه لدى بني عمه لصالح العدالة، وأن يبعث إلي آسفي بحكم نزيه يعهد إليه بالوقوف على صحة ما يقوله من خرق بنود الاتفاقية...

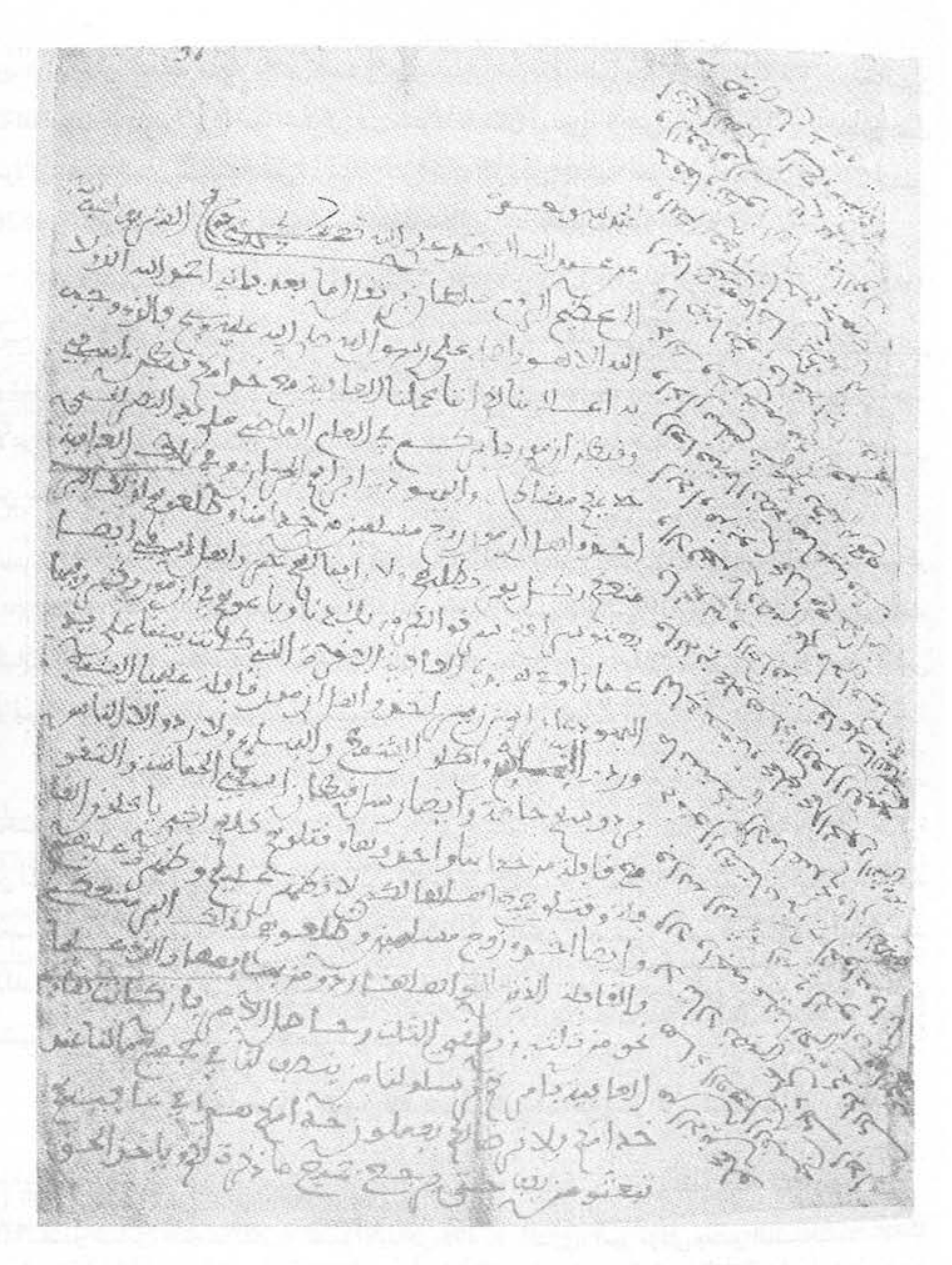
وقد نفذت رسالة ثانية من أبي العباس الأعرج إلى قابطان آسفي الجديد كارسيا دوميلو (Garcia de Mello) بتاريخ 3 ذي الحجة 932=10 شتنبر 1526[3].

وقد تبعت هذه المبادرة مبادرة أخرى من أحد وزراء أبي العباس الأعرج إلى القابطان كارسيا دي ميلو (G de mello) يرحب فيها بمقدمه بمناسبة تسميته حاكما جديدا لآسفي.

وما لبث السلطان مولاي أحمد أن قبل عقد هدنة جديدة لمدة سنة بينه وبين جان الثالث وكان ذلك بتاريخ 22 ذي الحجة 932=29 شتنبر 1526 [4] في نفس التاريخ الذي هادنت فيه مملكة فاس مملكة البرتغال.

وبين أيدينا مضمون الرسالة التي بعثها مولاي أحمد الأعرج إلى جان الثالث بتاريخ 22 جمادى الثانية عام 933=26 مارس 1527، وفيها يخبر ملكُ مراكش ليشبونة بأن أخاه مولاي محمد الشيخ سلّم إليه رسالة من جان الثالث، وأنه عازم على تنفيذ التزاماته فيما يتعلق بشروط السلام،

1) SS.I.H.M. Portugal T.II Prem. Part P.348
2) المصدر السابق، ص 323.
3) المصدر السابق، ص 356.
4) المصدر السابق، ص 367.



رسالة من مولاي أحمد الأعرج إلى جان الثالث بتاريخ 24 صفر 932 - 10 دجنبر 1525

عن الأصل في أرشيف طوري دو طومبو - ليشبونة

SIHM - Portug T2 Premier Parti P348

وبما أن جان الثالث دعاه للإعراب عن نيته حول الطريقة التي يطبق بها القباطنة البرتغاليون الاتفاقيات فإن مولاي أحمد اشتكى من سلوك قابطان آسفي، وحتى يعزز شكواه بالقابطان بعث مولاي أحمد لجان الثالث بنص الرسالة التي كان القابطان بعثها لمولاي أحمد بتاريخ 24 شتنبر 1526 والتي تشهد بأن هذا لم يحترم التعهدات التي التزم بها سلفه![1].

وهناك رسالة جوابية محفوظة الصورة من مولاي أحمد الأعرج إلى جان الثالث بتاريخ 23 ربيع الأول 936=25 نونبر 1529، والجواب المذكور حول موضوعين اثنين : أولا قضية الشاب ابن يوشتا بن فارس الذي اعتنق الديانة المسيحية بالأراضي البرتغالية، ومن جهة أخرى فإن مولاي أحمد الأعرج يشيد بسلوك قابطان آسفي الجديد فيما يتعلق بسير المفاوضات حول السلام على العكس من سلفه[2].

وقد نصحت رسالة بتاريخ 7 أكتوبر 1534=28 ربيع الأول 941 وجهها أسقف لاميكو (Lamego) إلى ملك البرتغال يوحنا الثالث باحتلال مدينة فاس[3]. وفي رسالة أخرى من أحد النبلاء إلى الملك يحضه على استشارة البابا ويؤكد على وجوب احتلال المغرب، سواء بدئ بفاس أو بمراكش لأن في ذلك تعويضا للمسيحية عما فقدته من جهات أخرى![4].

وهنا نلاحظ أن الشعور الوطني يزداد تأججاً يوماً عن يوم، الأمر الذي تفسره ثورة الأمير محمد المهدي الشيخ على أخيه أبي العباس الأعرج سنة 951=1544. كما يفسره ما ورد في مذكرة من لشبونة مقتبسة من تقرير حرر بفاس يوم 22 مارس 1549=22 صفر 956، يفيد أن العاهل الجديد محمد المهدي الملقب بالشيخ يفكّر في الاستيلاء على "القصر الصغير" (قصر المجاز). وأنه يستعد لذلك أتمّ الاستعداد، وفي هذا الصدد بلغ إلى فاس أن الوزير العمري حمل إلى مليكه محمد المهدي الشيخ سبع عربات مشحونة بالذهب من مراكش...[5].

1) S.I.H.M. Portugal II القسم الثاني P.399

2) المصدر السابق، المجلد الثاني، القسم الأول ص 495، ذ. التازي، أمير مريني يعتنق المسيحية...، بحث قدم لندوة كلية الآداب بتطوان، 2000/5/15 حول أحداث القرن التاسع بين المغرب والأندلس.

3) S.I.H.M Portugal T.II Sec. par p. 656

4) أنظر التاريخ الدبلوماسي للمغرب 8، 94.

5) S.I.H.M - Port T.III P. 274 - France S.1 T.1 P. 167.

وفي هذه الأثناء كان البرتغاليون قد أخذوا في إخلاء بعض المواقع بالمغرب وذلك تحصينا لبعض المراكز التي كانوا يعتزمون الاحتفاظ بها، وهكذا فكما أجلوا عن آسفي وأزمور عام 1541=948 تخلوا عن القصر الصغير وأصيلا بين عام 1549-1550=956.

وحسب رسالة من طنجة (المحتلة) من طرف البرتغال، بتاريخ 13 يونيه 1550=27 جمادى الأولى 957 إلى جان الثالث، فإن محمد المهدي الشيخ تحرك نحو تلمسان مع عدد من الفرسان [1]. وفي رسالة لاحقة من سبتة بتاريخ 16 شتنبر 1550 يتنبأ كاتبها بأن المصانع الحربية التي أنشأها الشريف ربما كانت بمساعدة بعض الأتراك الذين وظفهم معه من المعارضين لأتراك الجزائر، وأنه أي الشريف تسلم أربع سفن أخرى عن طريق ميناء بادس وجهزها بالأسرى المسيحيين الذين جعل عليهم قادة من أولئك الترك من الذين كانوا يسيرون في ركابه[2].

ويتزايد خوف البرتغال بوصول الأخبار عن صناعة زورقين حربيين بميناء سلا زيادة على ثالث سابق الأمر الذي يهدد الوجود البرتغالي بمدينة الجديدة حسبما تكشف عنه رسالة من قابطان الجديدة إلى جان الثالث بتاريخ 13 مايه 1556 [3].

وحسب رسالة من قابطان الجديدة بتاريخ 15 يناير 1557=16 ربيع الأول 964 فإنه يخبر بأن الشريف محمد المهدي الشيخ أرسل بثلاثمائة تركي لأزمور وأنه أي الشيخ يستعد لإرسال مثل ذلك لآسفي...

لقد ظل البرتغال مناوئاً متحفزاً، وبهذا الصدد نذكر تعرض جامع المنصور في مدينة مراكش لعملية نسف عندما تحيل بعض الأسرى الذين استغلوا تساهل السلطة معهم فوضعوا سنة 981-1573-1574 متفجّرات تحت المسجد في نفس السنة التي توفي فيها السلطان عبد الله الغالب بالله ابن محمد المهدي وتولى ابنه محمد الملقب بالمتوكل على الله الذي اشتبك جيشه مع البرتغاليين المحتلين لطنجة في يوم الأربعاء منتصف جمادى الأولى 982=2 شتنبر 1574...

المبارزة الرياضية المغربية البرتغالية

ومن جهة أخرى فلعل مما يستظرف به في باب العلاقات المغربية البرتغالية أن نذكر وفادة غريبة من قائد أزمور إلى قابطان الجديدة، من أجل تنظيم منازلة بين بطل المغرب وبطل البرتغال، إنها فكرة طريفة لكن السبب في تنظيمها كان أطرف!

1) المصدر السابق ص 328.
2) المصدر السابق ص 396.

لقد كانت بأزمور فتاة حسناء خطبها شاب من أهل البلد اسمه (مولاي حدّو) فامتنعت عليه، وقد كان مما افتخر به أمامها قوله : "وإن شئت أتيتك برأس أعظم نصراني في الجديدة وأشجعه فعلت"! وحينئذ قبلت الفتاة، الأمر الذي يعبر عن وطنية السيدة المغربية !

هنا ذهب مولاي حدّو إلى قائد أزمور وعرض عليه أن يكتب إلى كبير النصارى بالجديدة حتى يعين بطلا للمبارزة فأجابه القائد إلى مراده وذهب الرسول فعلاً بالكتاب وأبلغه للحاكم، وبعد عرض الاقتراح على وجوه جنده وقع الاختيار على بطل العراك ! وكتب إلى قائد أزمور باقتراح تعيين وقت النزال، وفي اليوم المحدد سار قائد أزمور في أصحابه ومعهم مولاي حدّو، وخرج قائد النصارى في جماعته واتفق الطرفان على شروط المبارزة التي تنقلها المصادر المغربية عن المصادر البرتغالية والتي انتهت بتهرب البرتغال من المغامرة [1].

وقعة وادي المخازن الكبرى !
1578=986

وكان من أمر الأمير المغربي محمد بن عبد الله الملقب بالمتوكل - بعد أن أزاحه عن الحكم عمه المولى عبد الملك - أن تمكن من الوصول إلى ملك البرتغال دون سباستيان للاستصراخ به كي يسترجع ملكه ! وقد علمنا قبل قليل عن الوصية التي وجهت إلى ملك البرتغال باحتلال المغرب كله.. وهكذا كانت شروط البرتغال أن يتنازل المتوكل عن سائر السواحل المغربية ويكتفي بالتولي على المدن الداخلية الأمر الذي قبله المتوكل أملاً في الانتقام من عمه المولى عبد الملك، وهكذا جمع ملك البرتغال كبراء جيشه ووجوه دولته وقرر القيام باكتساح البلاد...

لقد قصد دون سباستيان فعلاً الأرض المغربية يجر الدنيا معه، وبلغت به الثقة بنفسه أن حمل معه-في جملة ما حمل الأجراس التي كان يعتزم رفعها على منارات المساجد الكبرى[2].

لقد كانت هذه هي المعركة التاريخية الكبرى بتاريخ 30 جمادى الأولى 986 = 4 غشت 1778 وهي التي حملت اسم معركة القصر الكبير لأنها تمت على مقربة من المدينة التي تحمل هذا الاسم، كما تحمل اسم معركة وادي المخازن لأنها كانت على ضفاف هذا الوادي[3] وربما سميت

1) الاستقصا ج. 5، ص 44-45. د. التازي : المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، ص. 302، نشر الفنك، البيضاء 1992.

2) د التازي : تاريخ جامع القرويين ص 339 طبعة ثانية، دار المعارف الرباط، 2000.

3)·لقد تحدث ابن عثمان سفير السلطان سيدي محمد بن عبد الله عن هذا الموقع الذي بات فيه وهو في طريق عودته من سفارته لدى كارلوص الثالث ملك إسبانيا، وقال : إنه نهر صغير ينزل من جبال بني عروس ويصب في نهر لكوس وأنه اشتهر.في التاريخ بموقعة وادي المخازن، الإكسير ص 193.

معركة الملوك الثلاثة لأنها شهدت مصرع ثلاثة ملوك : أولهم دون سباستيان ملك البرتغال وثانيهم محمد المتوكل الذي كان استنجد بالبرتغال وثالثهم عبد الملك الذي توفى متأثرا بآثار فرحة النصر على ما أسلفناه في الفصل السابق !

إنها المعركة التي كتبت بكل لغة في كل قاموس، خربت مُلك البرتغال وحولت تاريخه إلى سلسلة من المآسي وغيرت خريطة الامبراطورية وكانت أصداؤها تتردد في الهند والخليج وفي أروبا... وإن من الصفحات التي سجلت للمغرب بهذه المناسبة أن العاهل المغربي المولى عبد الملك بعث لملك البرتغال بتاريخ 17 جمادى الأولى 1986=22 يوليه 1578 قبيل المعركة يطلب منه الالتجاء إلى القضاء حفتاً للدماء لكن رسائل المغرب بقيت بدون جواب ! ونظراً للأهمية التي تكتسيها نرى من المفيد أن نحيل القارئ على التفاصيل التي أوردناها في المجلد الثامن من التاريخ الدبلوماسي للمغرب ص 101-102.

ولم يكن هناك من ثان يعرف عن حادث وفاة السلطان عبد الملك سوى أخيه أبي العباس مولاي أحمد الذي كتم الأمر بدوره متقدما في الجند يحث المؤمنين على النضال والقتال ومعانقة القواضب والاصطلاء بنار الطعان واحتساء كؤوس الحمام على حد تعبير الرواة...

ولم يلبث المسلمون أن ركبوا أكتاف العدو... وولي البرتغال الأدبار قاصدين القنطرة ! لكنهم لم يجدوا قنطرة، فقد نسفها المجاهدون قطعاً للطريق... ! فازدادت الحيرة وأخذوا يلقون بأنفسهم في النهر مفضلين الغرق على الطعن بالخناجر لكنهم كانوا يجمعون بين القتلتين، إذ كان المغاربة يهوون عليهم بسيوفهم وهم يعبرون الوادي فينقعونهم في مزيج من الدم والماء ! وكان نصيب دون سباتيان ضربةً مميتةً من مجاهد غيورٍ أحكمت منه الصميم[1].

لقد شبه المؤرخون المسلمون هذه الوقعة العظيمة بغزوة بدر الكبرى بالنظر لما روى عنها وماكتب فيها، سواء عن صمود المواطن المغربي أو عن هلع الجندي البرتغالي، وقد كان من حكاية شاهد عيان أن بعض المغاربة تحفز للوثوب على مقاتله فأنهار هذا أمامه جثة هامدة قبل أن يصله المجاهد المغربي ! أما الأسرى فقد عدتهم المصادر المغربية "بمئات الألوف من أمم النصرانية.."

1) S.I.H.M. Espa. T 3 P 424، التازي : وقعة وادي المخازن... مجلة رسالة المغرب 28 مارس 1949، وقعة وادي المخازن بدون رقابة، دعوة الحق غشت 1978.

وقد كان من بين الغرقي في الوادي محمد المتوكل الذي استخرجه الجنود الضفادع وسلخوه وحشوا جلده تبناً وطيف به في العاصمة عبرة وعظة فعرف منذ اليوم بالمسلوخ !

وقد عثر على جثة (دون سباستيان) ملك البرتغال مجندلة على بسيط من الأرض، وقد جعلت -بعد التعرف عليها-في ثابوت خاص ووريت في التراب بمدينة (القصر)... كما كان من بين القتلى الشاعر الإسباني فرانسيسكو دي أَلْدَنَا.

وفي هذه الأثناء - والسلطان ما يزال بظاهر فاس يشرف على دفن أخيه عبد الملك بقُلّة بني مرين - وردت عليه سفارة برتغالية اسبانية تلتمس افتداء جثة دون سباستيان وقد استقبلها السلطان بظهر الزاوية المتوكلية واستجاب لطلب السفارة دون مقابل...[1].

وقد خلفت موقعة وادي المخازن مجموعة من ردود الفعل الشعبية، وهكذا نرى بعض العلماء من أمثال الشيخ رضوان الجنوي يبعث برسالتين اثنتين إلى السلطان أحمد المنصور، وهو في الرسالة الأولى يثير انتباه المنصور الذهبي إلى بلبلة البرتغاليين بعد انهزامهم في معركة القصر الكبير ويلح على انتهاز هذه الفرصة لاسترداد المراسي التي يستولي عليها البرتغال : طنجة وأصيلا وسبتة...

أما الرسالة الثانية فينتقد فيها سياسة العاهل نفسه في قبول الفداء - بالمال - للأسرى البرتغاليين، على حين أن المسلمين والمسلمات بأيدي الكفار، والفرصة مواتية أن لا يبقى في أيدي الأعداء واحد من هؤلاء المؤمنين الذين يجب فداؤهم[2].

ولا بد أن نعرف هنا أن السبب الحقيقي في كسر شوكة البرتغال ببلاد المشرق يرجع لهذه المعركة الظافرة بالمغرب، ولنذكر شعر الفشتالي الذي أدرك هذا عندما قال :

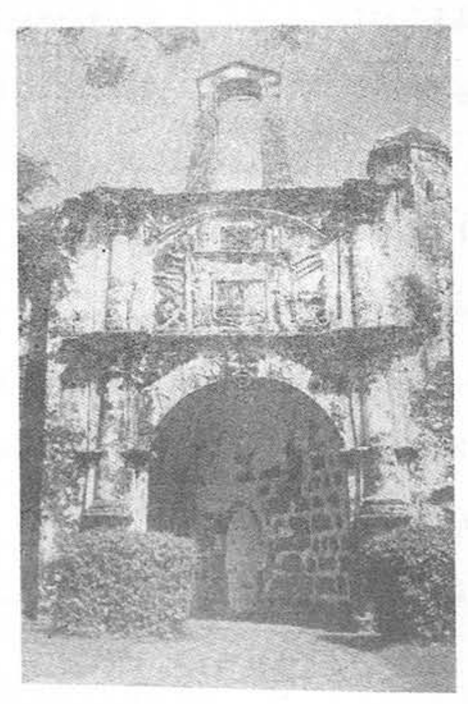
1) د. التازي، اكشتاف موقع الزاوية المتوكلية بظاهر مدينة فاس بحث قدم أمام أعضاء الأكاديمية، 17 دجنبر 1998.

2) التاريخ الديبلوماسي للمغرب، 8، 119.

فكم هنأت أرض الفرات بك العلا وطارت بك البشرى لأرض عُمان !

ويحدثنا الوزير الفشتالي في "مناهله" عن وصول السفارة البرتغالية في جمادى الأولى 987= يوليوز 1579 إلى مدينة مراكش بهدايا مرسلهم، في يوم مشهود تحدث الناس عنه دهراً لكثرة ما شاهدوا من تلك الهدية العظمى التي تفوق الحصر.. وقد جلس لهم أمير المؤمنين -يقول الفشتالي- عند السلام جلوسا مما أعرب عن قدرته وأبهى سلطانه...[1].

لكن البرتغال لم تلبث أن ركعت أمام إسبانيا وهكذا ضمَّ فيليب الثاني مملكة البرتغال إلى قشتالة عام 1580 وهكذا أيضا وجدنا الأمير دون أنطونيو يلتجئ إلى إنجلترا طالباً مساعدة الملكة اليزابيت على استرجاع عرشه من يد الإسبان.. وكان من أمر الملكة أن استنجدت بالعاهل المغربي لتحقيق أماني انطونيو على مذكور في العلاقات المغربية الإنجليزية...



وهذا أثر من الأثار التي تركها البرتغال عند استعمارهم لماليزيا في ذلك العهد ...لكنهم لم يلبثوا أن اضطروا للرحيل عنها في أعقاب وقعة وادي المخازن
ومصرع ملك البرتغال...ترى كيف أن أثر هذه الوقعة في غرب شمال افريقيا ينعكس على جنوب شرق آسيا !!

1) المناهل ص 49-50.

الفصل الثالث

العلاقات المغربية الإسبانية

- انعكاس معاملة قشتالة للموريكسيين على العلاقات الإسبانية المغربية...
- الاتفاقية التركية الفرنسية تخيم على المفاوضات المغربية الإسبانية.
- حرص المغرب على الاحتفاظ باستقلاله
- موقف إسبانيا من وقعة وادي المخازن الكبرى
- سفارة إسبانية في البلاط المغربي
- حول مساعدة المغرب لأنطونيو المطالب بعرش البرتغال
- صدى كارثة "الأسطول الذي لا يقهر" في ديار المغرب
- الاهتمام بأخبار الممالك الأوربية
- محاولة مغربية لاسترجاع سبتة قبل تحرير أصيلا
- التحفز الدائم لاسترجاع الثغور...

العلاقات المغربية الإسبانية

لقد تألّبت القوى من سائر الجهات في إسبانيا على إخماد أنفاس الموريسكيين وهكذا صدر مرسوم من فيليب الثاني بتاريخ 28 أكتوبر 1570= 28 جمادى الأولى 978 يقضي بنفي سائرهم من مملكة غرناطة ومصادرة أملاكهم في كل الجهات، وقد كانت أصداء هذه الأخبار بمثابة طعنات نجلاء بالنسبة للسعديين، وبهذا نفسر قيام العاهل المغربي عبد الله الغالب بتقديم العون إلى الموريسكيين الأمر الذي استحق عليه إرسال خطاب تنويه من السلطان العثماني بتاريخ جمادى الأولى 981= شتنبر 1573.

ولم يلبث أمر إسبانيا أن صار - بعد وفاة فيليب الثاني 1598- إلى فيليب الثالث الذي أصدر قرار النفي النهائي للموريسكيين في 15 شتنبر 1609=15 جمادى الثانية 1018، وأمرهم بالاحتشاد في الثغور الأندلسية لتنقلهم السفن الإسبانية إلى عدوة المغرب[1]. !!

من خلال هذه الأخبار نتصور الصلات التي يمكن أن تكون بين دولة قوية يساندها العالم المسيحي، وبين دولة تحاول أن تستجمع أنفاسها لاستعادة مكانتها الدولّية...

وإلى جانب ذلك المنغص نشهد منغصاً لا يقل مرارة عن الأول : ذلك طمع تركيا في المغرب، وعملها على ضمه إلى ما كانت تحتله من أراضي بالشمال الإفريقي ! وقد كان مما زاد في دقة الموقف المغربي أن تركيا ترتبط بمعاهدات مع فرنسا لضرب مصالح إسبانيا على ما يعرفه التاريخ[2].

1) د. التازي، التاريخ الديبلوماسي للمغرب، ج. 8، ص. 129.

2) محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية ص / 84، 88، 91، 95، 96، 99، 102، 104، 109، 111، 112، 113.

ولقد أدركت إسبانيا أن أيام الوطاسيين قد أدبرت ففضلت أن تضع يدها مع الزعماء الجدد : الشرفاء السعديين الذين كانوا يرفعون منذ البداية شعار الحذر من المدّ التركي في بلادهم..!

وينتهي الأمر -بعد تجدد الاصطدامات بين المغاربة والأتراك على الحدود إلى إعطاء "الصلاحيات" لعقد اتفاقية هدنة بين حاكم وهران الإسباني وبين المبعوث الذي يُرسله محمد المهدي الشيخ، من شأنها أن تكفيه الواجهة الشرقية، للاهتمام بشؤون مملكته.

وقد تبع هذه الصلاحيات، إعطاء تعليمات لحاكم وهران تقتضي بأن عليه أن يعقد مع الشريف هدنةً لمدة عشر سنوات إذا رغب العاهل المغربي محمد المهدي الشيخ في ذلك يمكن للإسبان أثناءها أن يتجروا بحرية في مدن المملكة المغربية وستقدم إسبانيا للشريف إثنى عشر ألفا من المشاة ينزلون في الميناء الذي يختاره الشريف...

وبعد اغتيال محمد الشيخ من لدن الأتراك على ما أسلفنا أصبح مولاي عبد الله الغالب بالله ملكا على البلاد، فسار على اختيار والده في التقرب إلى إسبانيا، وكانت الشروط التي اقترحت من قبله للاتفاقية المطروحة، والتي حررت بمدينة فاس بتاريخ العشر الأول من جمادى الأولى 964=2 - 12 مارس 1557 متضمنة للشروط السبعة الآتية :

1) عقد سلم بين المغاربة والإسبانيين لمدة محددة

2) يلتزم مولاي عبد الله برعاية وتسديد أجور العسكر والرجال الذين سيحتاجهم ابتداءً من يوم نزولهم...

3) يلتزم باستبدال كل المدفعية الضرورية التي قد يصيبها التلف أثناء الحملة، كما يلتزم بدفع ثمن البارود والذخيرة ومصاريف السفن التي ستؤمن النقل.

4) لن يُهاجم أي مركب إسباني من طرف المراكب المغربية، ولن يمكن أي قرصان من التزود بالمؤونة من المغرب.

5) سيطلق سراح المسيحيين المحجوزين بالمغرب، وستترك الموانئ المسترجعة لمولاي عبد الله ولن يبقى أي مغربي محتجزاً.

6) إذا طالب الإسبان بمبلغ شهر مسبق من الأجور فسيقدم لهم هذا السلف، وسيصبح ابن الكونت دو ألكوديت رهينة عند عاهل المغرب مع اعتراف مكتوب لملك إسبانيا.

7) سيبرم هذا الاتفاق مع قبطان وهران الذي ستكون له صفة قائد عام للحملة.

وبينما المفاوضات جارية بين المغرب وإسبانيا من أجل الوصول إلى اتفاق.. كان الباب العالي يأخذ استعداده الكبير لضرب المغرب وقد كان الباب يتصور أن الفوضى ستضرب أطنابها على المغرب بعد اغتيال محمد الشيخ!!

وهكذا قرأنا عن بيان صدر من سبتة بتاريخ 3 يونيه 1557، يقول :

لقد توصل باشا الجزائر من السلطان العثماني بأربعة آلاف جندي لمساعدته على احتلال مملكة فاس ! إن درغوت[1] قادم من القسطنطينية مع 80 بارجة (Galéres)، وسيصل عدد بوارج الأسطول إذا أضفنا تلك التي توجد بالجزائر مع بعض البوارج الخاصة، إلى 150 بارجة! وسيصحب درغوت حسن ابن خير الدين[2] الذي سيصبح والياً جديداً على الجزائر -ولقد تم إعداد 80000 قنطار من البشماط[3] ومؤونة هامة بالجزائر.

وقد حدث ما كان يتوقعه العاهل المغربي، فقد ركب والي الجزائر حسن باشا رأسه وقصد إلى ضرب السعديين بيد أن السلطان عبد الله الغالب أنزل به هزيمة منكرة فاضطر إلي أن يتراجع بعد مصرع أمير تلمسان مخلفاً نصف معسكره والجزء الأهم من أجهزته الحربية.

وعاد الجيش المغربي يسوق معه أربعمائة فرس، الأمر الذي تحدثت عنه رسائل الغالب بالله من معسكره في (ورغة) إلى مختلف عماله بالمغرب على نحو ما تكشف عنه رسالة منه إلى قائد أزمور عبد الله أحمد بتاريخ 17 جمادى الثانية 965= 6 أبريل 1558 [4].

1) يكتب في بعض المصادر العثمانية العربية : طرغول...
2) حسن باشا ابن خير الدين والي الجزائر تولى ثلاث مرات :
1 20 يونيه 1544 إى 22 شتنبر 1551
2 يونيه 1557 إى شتنبر 1561.
3 سبتمر 1562 إلى يناير 1567.
3) قطع من الخُبز المحمر المحلى يُعدّ للحروب... وما يزال اللفظ التركي مستعملاً بالمغرب، كما يستعمل بمصر محروفاً الى بقسماط !
4) Sources inedites Espa SI, T 2, p 421

وفي هذه الأثناء توفي العاهل المغربي عبد الله الغالب بالله فخلفه ابنه محمد المتوكل على الله وهو الأمر الذي لم يقبله عماه : عبد الملك وأحمد اللذان توجها كما أسلفنا في الفصل السابق إلى الباب العالي لطلب نجدته للتغلب على ابن أخيهما.

ويتأكد أن مراسلات السلطان مولاي عبد الملك مع فيليب كانت - منذ توليه الحكم - متوالية ويتبيّن أن مسالمة مولاي عبد الملك لفيليب كانت نابعة عن استراتيجية مدروسة فهو على علم بقدراته العسكرية من جهة، وهو على خبرة من ناحية أخرى بنوايا مناوئيه.

وفي الوقت الذي كان فيه مولاي عبد الملك يرسي صلاته بالعاهل الإسباني كان يعلم عن صلة ابن أخيه : محمد بن عبد الله الغالب الذي التجأ إلى بادس في نفس السنة التي خلع فيها 981=1573، والذي أخذ بدوره يتجه إلي طلب المساعدة من فيليب بواسطة حاكم جزيرة بادس.

ولم يلبث الأمير المخلوع أن حرّر من بادس رسالة أخرى إلى ملك إسبانيا بتاريخ 12 رمضان 985=23 نونبر 1577 يذكر فيها فيليب الثاني بما كان للملوك الإسبان من مساعدته وهو ما يزال وليا لعهد والده السلطان عبد الله الغالب !!

وبعد أن يتأكد محمد بن عبد الله من أن فيليب الثاني تخلى عنه للاعتراف بحكم عبد الملك يتجه نحو الملك دون سباستيان ملك البرتغال معتمداً على تدخلات أنصاره في شأن إغراء العاهل البرتغالي بالمملكة المغربية الأمر الذي أدى في النهاية إلى مغامرة سباستيان ومصرعه في الموقعة الكبرى بوادي المخازن (986=1578) على ما أسلفناه.

ويتولى السلطان أحمد المنصور الحكم بالمغرب وهنا نجد سفارة من السلطان فيليب الثاني لدى السلطان أحمد المنصور تحمل رسالة من العاهل الإسباني تلتمس من ملك المغرب تسليم جثة دون سباستيان للبرتغال على ما قلناه.

وبصرف النظر عن الصيت الذي خلّفه انتصار وادي المخازن وخلفه كذلك الموقف الحازم الذي اتخذه أحمد المنصور ضد المتآمرين عليه غداة الانتصار[1]، بصرف النظر عن ذلك فإن فيليب الثاني أراد أن يعرب عن عواطفه حتى يكسب المنصور إلى جانبه، فبعث بسفارة هامة في أواخر جمادى الأولى سنة 987= يوليه 1579 تتألف من حوالي ستين شخصاً كانوا في رفقة حاكم مليلية

1) الإشارة الى حركة الموريسكي سعيد الدّغالي، سالف الذكر.

دون بيدرو فينيكاس (Don Perdro Venegas) الذي كان يرتدي بذلة رسمية فاخرة، والذي كان يرافقه الأب ديغومارين Diego Marine المتضلع من اللغة العربية والمطلع على التقاليد الإسلامية على ما يذكره الفشتالي[1].

ونظراً لأهمية هذه السفارة نعرض هنا لبعض ما كان يحتف بها نقلاً عن المصادر الأروبية وخاصة منها الإسبانية :

كان هناك هدفان إثنان للسفارة الهدف الأول محاولة الحصول من السلطان أحمد المنصور على التنازل عن مدينة العرائش مقابلة تنازل إسبانيا -وقد ورثت البرتغال !- عن مدينة الجديدة !

أما الهدف الثاني فهو الإفراج عن دوك دي بارسيلوس (Duque de Barcelos) الفارس البرتغالي...

وقد حملت سنة 1581=989 أخباراً مقلقة بالنسبة للمنصور فقدعلم أن باشا الجزائر استأذن السلطان مراد لاكتساح المغرب وتجمع لهذا الغرض أسطول عظيم متأهب لتلقي الإشارة !

وهنا عاد المنصور للحديث عن مشروع اتفاقيةسلام مع فيليب الثاني لمدةعشرين سنة وتنص فيما تنص عليه التنازل عن العرائش، غير أن القدر غيّر مجرى الأحداث فقد أخذت بوادر الانهيار تدب في الامبراطورية العثمانية التي نراها تصدر أمراً لاسطولها في الجزائر بالتحرك نحو الجزيرة العربية لقمع ثورة وطنية هناك ضد الوجود التركي، وهكذا نرى السلطان المنصور يتجاهل أمر الاتفاقية التي قدمت إليه للتوقيع!!

وينفذ صبر فيليب الثاني طوال عام 1581 بالرغم من التدخلات والمراسلات والاستشارات ويعمد في الأخير إلى محاولة استعمال القوة لاحتلال العرائش ! وأخذ يرتب مع المختصين أمر إعداد الجنود والرواتب التي يتقاضونها...!!

ومن الطريف أن نكتشف عنصرا جديدا يتدخل في أمر العلاقات المغربية الإسبانية ذلك أن الملكة إليزابيت بعثت أواخر عام 1582 أواخر 990 تعرض على أحمد المنصور المساعدة في حالة هجوم فيليب على العرائش...

1) د. التازي التاريخ الدبلوماسي للمغرب 8، 142.

ومرةً أخرى يلوح الخطر التركي في الشهور الأخيرة من سنة 1583= أواخر 991 حيث نجد المنصور يبعث إلى الملك فيليب الثاني بالسفير القائد إبراهيم محمد السفياني يحمل رسالة يوافق العاهل بمقتضاها على مبدأ إستبدال الجديدة بالعرائش ! وبينما ملك إسبانيا يستعد للاحتفال بالحدث إذا بالأتراك يُشغلون في واجهات أخرى وإذا بالسلطان أحمد المنصور يتراجع مرة أخرى للوراء ! أكثر من خمس سنوات من المراوغات والمواربات، وقد كان العاهل الإسباني يملك نفسه عندما يتذكر أن إغضاب المنصور قد يجعله يقف إلى جانب الحلف التركي الفرنسي !!

ومن الأوراق التي كان فيليب الثاني يستعملها للضغط على المنصور اعتماده على أميرين مغربيين كانا قد التجأ إلى البرتغال خلال سنة 986=1578 وهما محمد الشيخ ابن محمد المتوكل مولاي الناصر وعمه : وبالتجاء هذين الأميرين إلى الجزيرة أصبحا عملياً تحت تصرف فيليب ووضعهما كمطالبين بعرش المغرب وهذا من شأنه أن يشوش على أحمد المنصور السعدي !!

لكن سنة 1586=994 حملت معها مؤامرة ملكة إنجلترا ضد إسبانيا ! فقد كان دون انطونيو المرشح لعرش البرتغال يلتجئ بإنجلترا وهو يسعى الآن لانتزاع العرش البرتغالي من يد فيليب الثاني نجد ملفاً ضخماً حول مراسلات إليزابيث لملك المغرب عن انطونيو !

وإضافة إلى هذا نجد المنصور يعقد اتفاقا مع أنطونيو لصالح مناصرته كما يتعهد للعاهلة البريطانية بمساعدتها على استرجاع عرش البرتغال لصاحبه !

وجواباً على مناصرة العاهل المغربي لقضية أنطونيو عمد فيليب إلى استعمال ورقة مشابهة، تلك نقله الأميرين السعديين السالفي الذكر إلى جنوب إسبانيا بكيفية علنية لتهديد المنصور بهما. الأمر الذي جعل المنصور يعمل على التخفيف من "المبادرات" التي تستفز فيليب ! وهنا أخذ هذا الأخير يطمع في فتح حوار جديد، وكدليل على "حسن النية" وعد العاهل المغربي بالتنازل عن مدينة أصيلا...

وهكذا ظلت صلات المنصور بفيليب مرتكزة على المدافعة والمصانعة إضافة إلى العلاقات الممتازة التي كانت للمنصور مع اليزابيت الأولى ملكة إنجلترا.

وقد عكست تلك الصلات آثارها على الناحية الاقتصادية أيضا حيث نجد مراسيم ملكية بالإذن لبعض التجار الإسبان أن يمارسوا نشاطهم التجاري في بلاد المغرب، ونذكر على سبيل

المثال ظهيراً مؤرخا في شهر شوال 987= نونبر دجنبر 1579 بيد حامله المتمسك به التاجر افرنسيسق بريد (Francisco Barredo) برسم الجواز إلى مراكش[1].

وفي هذه الأثناء استعان السلطان أحمد المنصور بالملك فيليب الثاني للحصول على بعض المواد التي احتاج إليها لتجميل (قصر البديع) الذي بناه بالعاصمة، مراكش[2].

وبالرغم من هذه الاتصالات بين الطرفين على هذا المستوى فإن بعض المتطرفين من قشتالة كانوا بدافع من حقد أو طيش- لا يترددون في القيام بمضايقة المغاربة، وبهذا نفسر اختطاف العلامة أبي العباس أحمد ابن أبي العافية الشهير بابن القاضي وهو في طريقه البحري للحج.

لقد كان ابن القاضي على صلة ببلاط المنصور وكان ممن ينشرون مئاثره في الآفاق ومن دون شك فإن القراصنة الذين اختطفوه توسموا مركزه من مظهره.

وهكذا بعث المنصور إلى قائد الثغر بتطاون أحمد بن المفضل الأندلسي، وكانت مطالب المختطفين تقصد إلي تحرير شخصية متميزة من بين الذين وقعوا في الأسر بعد وقعة وادي المخازن...

وهكذا غادر ابن القاضي سبتة إلي تطاون لكنه استهدف لعملية اختطاف آخرى أدّت به إلى جبل طارق حيث تمكن الوكيل الحاج الفلوس المكناسي، بتدبيره الحكيم، من الاستجابة بسرعة لمساومة الذين غدروا بابن القاضي وإرساله على التوّ إلى تيطاون حيث تم تحريره.

1) مجلة الأندلس مجلد 23، 1958 جزء 1، ص 46.

2) عبد الهادي التازي : قصر البديع بمراكش من عجائب الدنيا... بواعث تشييده وظروف تخريبيه وعمليات ترميمه... بحث أعد للمؤتمر العربي الثامن للآثار بالبلاد العربية (مراكش) 1977، مطبعة فضالة -المحمدية.

محاولة تحرير الثغور المغربية

إن المغرب الذي يتتبع عن كثب تطورات العلاقات بين الدول المجاورة له تتبع بكامل الاهتمام أخبار تعرض الأسطول الإسباني (لارمادا L'ARMADA) للعاصفة الهوجاء التي أودت به سنة 996=1588 وهو في طريقه للثأر من إليزابيث ملكة إنجلترا.

ويدل على الاهتمام بحدث انتكاسة الأسطول الإسباني الرسالة التي بعث بها السلطان أحمد المنصور إلى قاضي الجماعة بالسوس أبي عثمان سعيد بن علي، وهي نموذج -فيما يتأكد- لرسائل لاحقة إلى باقي القضاة وكانت من إنشاء أبي فارس عبد العزيز الفشتالي [1].

وقد اهتمت المصادر المغربية المعاصرة وخاصةً كتاب مناهل الصفا للوزير الفشتالي بأخبار أروبا على هذا العهد وبالأسباب التي أدت إلى الصدام بين ملوكها من حركة الإصلاح إلى "حروب الدين" التي أدمت أروبا حقبة من الزمن وبخاصة فرنسا من عام 1562 إلى 1598.

ولم يكن غريباً أن نسمع في هذه الظروف عن الشعور المتزايد باغتنام الفرصة لتحرير سبتة. وهكذا سمعنا عن الغارة المغربية الهائلة على سبتة المحتلة. وقد كانت الغارة بزعامة القائد أحمد النقسيس الذي كتب بالفتح للمنصور السعدي موجهاً إليه الغنائم والسبايا !

لقد تقدم النقسيس في جماعة من المجاهدين متنكباً المكامن المقصودة من طرف الإسبان، سالكاً من جانب الشمال طريقاً لا يطرقه أنيس من كثرة العشب والتفاف الشجر...

وصادف أن خرج الإسبان إلى ساحة المدينة رجالا ونساء وولدانا برسم النزهة في عطلة يوم الأحد 22 محرم 997=11 دجنبر 1588، ولم يلبث المغاربة المتربصون أن قرعوا الطبول وتنادوا بشعار النصر وحالوا دون المتنزهين وبين العودة إلى بيوتهم واستولوا على سائرهم بالأسر والقتل، وقد نظم المغاربة الأسرى في سلاسل وحملوا رؤوس القتلى على العجلات التي اكتسحوها من الإسبان وفي قصر "رأس الماء" على مقربة من الزاوية المتوكلية خارج فاس تم الاستقبال الأول لطلائع المجاهدين في زيهم الذي هو زينة الأيام وشعار الإسلام ومن ثمت قصد الموكب مدينة فاس...

---

1) التاريخ الدبلوماسي للمغرب 8، 150.

ولم تلبث العاصمة أن استقبلت بصفة رسمية قائد ثغر سبتة والمقدمين وهم يجرُّون معهم سبي سبتة شاقين به مدينة فاس التي برزت عذاراها -من وراء الحجاب- لمشاهدة معالم النصر..

وإذا كان فتح سبتة لم يستمر فإن الجيش المغربي استرجع مدينة أصيلا يوم 20 ذي القعدة 997=30 شتنبر 1589 بعد أن لم يف فيليب بوعده السابق في التنازل عنها وكان القائد عبد الكريم بن تودة صهر المتوكل قد أغرى الإسبان -على ما يقال- باحتلالها بعد أن كان المغاربة خلصوها من يد البرتغال عام 957=1550 على ما نعرف[1].

ومع هذا لا نهمل هنا أن العلاقات المغربية الإسبانية كانت تسير في منعرجات لا تخلو من مفاجآت. ولا بد أن نشير هنا إلى الرسالة التي بعث بها المنصور الى فيليب حول تحريك هذا الأخير لأمير سعدي (الناصر) كان لاجئاً باسبانيا، كجواب على مساعدة المنصور للأمير انطونيو ! وكانت بتاريخ 6 ذي القعدة 1003 = 13 يوليه 1595.

وقد سجل التاريخ رسالة من زيدان إلي فيليب الثالث بتاريخ ربيع الثاني 1017= يوليه - غشت 1608يطلب منها إنصاف التاجر المغربي اليهودي إبراهيم بن واعيش الذي اقترض منه بعض النبلاء الإسبان فيدالكو (Fidalgos) أموالاً لافتداء نفسه ولكنه لم يوف بالعهد ! وهو ينعت التجار بأنهم السنة الزمان[2].

كما سجل رسالةً من مولاي محمد الشيخ إلى فيليب الثالث كذلك بتاريخ 1609=1018 بواسطة قبطان طنجة. وقد أدى الخلاف المستمر بين بني المنصور إلى احتماء أحد أولاده : محمد الشيخ بإسبانيا ضد أخيه زيدان الذي استرجع منه مدينة فاس، وعقد اتفاقية تحالف مع إسبانيا سلم لها بمقتضى ذلك مدينة العرائش بتاريخ 4 رمضان 1019=20 نونبر 1610 وهو الحلم الذي كان يراود فيليب الثاني... الأمر الذي أغضب المغاربة وأدى إلى انتعالهم الأحذية السود حداداً على العرائش على نحو ما كانوا فعلوا عند احتلال سبتة ! وكان ذلك يعني إعلان الثورة في فاس.

1) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج. 8، ص. 154-155.
2) الوثيقة رقم F Simancas 210 (مجلة المعهد المصري، مدريد، المجلد 18 1974-1975.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد

E 49²

صحيح ذلك

من مراسلات المنصور مع فيليب الثاني بتاريخ 6 ذي القعدة 1003 يوليه 1895
حول تشغيب فيليب على المنصور .

وقد أدت الحالة إلى تصفية محمد الشيخ بضواحي تطاون في 5 رجب 1022=21 غشت 1613 ولكن على أن يستبد ابنه عبد الله بمدينة فاس، وعبد الله هذا هو الذي بعث بعد سطو الإسبان على المعمورة أيضا عام 1022=1613 إلى فيليب الثالث سفارة برئاسة القائد منصور ابن يحيى والقائد عبد الرحمن المشاوري لعقد المهادنة والصلح، على ما تتحدث عنه رسالة بتاريخ 3 شعبان 1023=8 شتنبر 1614.

بيد أن الأثر السيئ الذي تركه محمد الشيخ بتليمه العرائش انعكس على ابنه عبد الله بالرغم من تعزيزه بزعيمين مشهورين : سليمان والمربوع اللذين رفع الشعب ضدّهما شعار : "لا سليمان ولا مربوع" وذلك عندما وافقا السلطان عبد الله على الأخذ بثأر أبيه !

وأمام الشعور بالقلق من مضايقات الإسبان وتشغيبهم على السلطان زيدان الذي كان يعارض احتلال الإسبان للعرائش رأينا السلطان زيدان يطلب إلى هولاندا مساعدتها على أداء خدمة[1] حسبما تدل عليه رسالة هولاندا إلى السلطان زيدان بتاريخ 2 غشت 1622.

إن اسبانيا ما انفكت تضايق المولى زيدان ومن سار على دربه من ابنه عبد الملك وأخيه الوليد، يدل لذلك مشروع الاتفاقية بين الموريسكيين وبين ملك اسبانيا بتاريخ 1041=1631[2] 1040 الذي كان يهدف لتصفية كلّ مقاومة لاحتلال اسبانيا للثغور المغربية...

وأخيراً نجد رسالةً بتاريخ 12 جمادى الأولى 1050=1640 من سلطان مراكش الأمير المحمدي الشيخي الناصري إلى فيليب الرابع يخبره بأنه قد رحب برسول الدوك دي مدينة، وأجاب رغبة السلطانة زوجته في الأفراج عن ثلاث أسرى من النصارى المحجوزين لديه وبنوه العاهل المغربي بتوكيد المودة والمحبة وما صنعته إسبانيا مع "خدامنا الذين بقصبة سلا" وقد وجهناهم - تقول الرسالة- مع خديمنا القائد محمد بن القائد حسين بن القائد مسعود بن القائد منصور..[3].

1) المختار السوسي : إيليغ ص 166، Hesp 1951, P 358 Note 1

2) Revue de l'occident Musulman et de la Méditernnée n° 11, 2 Semestre 1971, G Colin : Traité entre les Morisques et le Roi d'Espagne, Hesp, 1955, p 17

3) الوثيقة E Simancas, 2667

الفصل الرابع

العلاقات المغربية الفرنسية

- المفاوضات المغربية الفرنسية لإبرام اتفاقية
- الموقف الفرنسي من التقارب المغربي الإسباني
- القصر الصغير في الاتفاقية المغربية الفرنسية
- المراسلات بين مولاي عبد الملك والملك شارل التاسع
- صدى وقعة المخازن في البلاط الفرنسي
- العالم المغربي أفوقاي يزور فرنسا...
- حادث السطو على الخزانة العلمية للسلطان زيدان وأثره على العلاقات...
- تجدد المحاولات بعد وفاة زيدان لإعطاء نفس جديد للعلاقات
- سفارة إسحاق رازيلّى بالمغرب
- البعثات المسيحية بالمغرب...

العلاقات المغربية الفرنسية

منذ الأيام الأولى لظهور السعديين سمعنا عن وجود جان باكيلون (J Pacquelon) (وهو تاجر من ليون) في مراكش سنة 1543 (؟) = 950 حيث كان فرانسوا الأول ملك فرنسا يفكر في اعتماده مبعوثاً إلى المغرب لدى الشريف السعدي محمد الشيخ المهدي من أجل التفاوض معه حول تزويد فرنسا بالمعدن الأبيض (القصدير) (L'étain) في مقابلة المعدن الصالح لصنع المدافع...[1].

وعندما استولى السعديون على العاصمة فاس يوم 24 شوال 961=21 شتنبر 1554، قامت فرنسا باستئناف صلاتها مع المملكة المغربية... ومن تم نجد المفاوضات بين الطرفين تبتدئ سنة 1555=962.

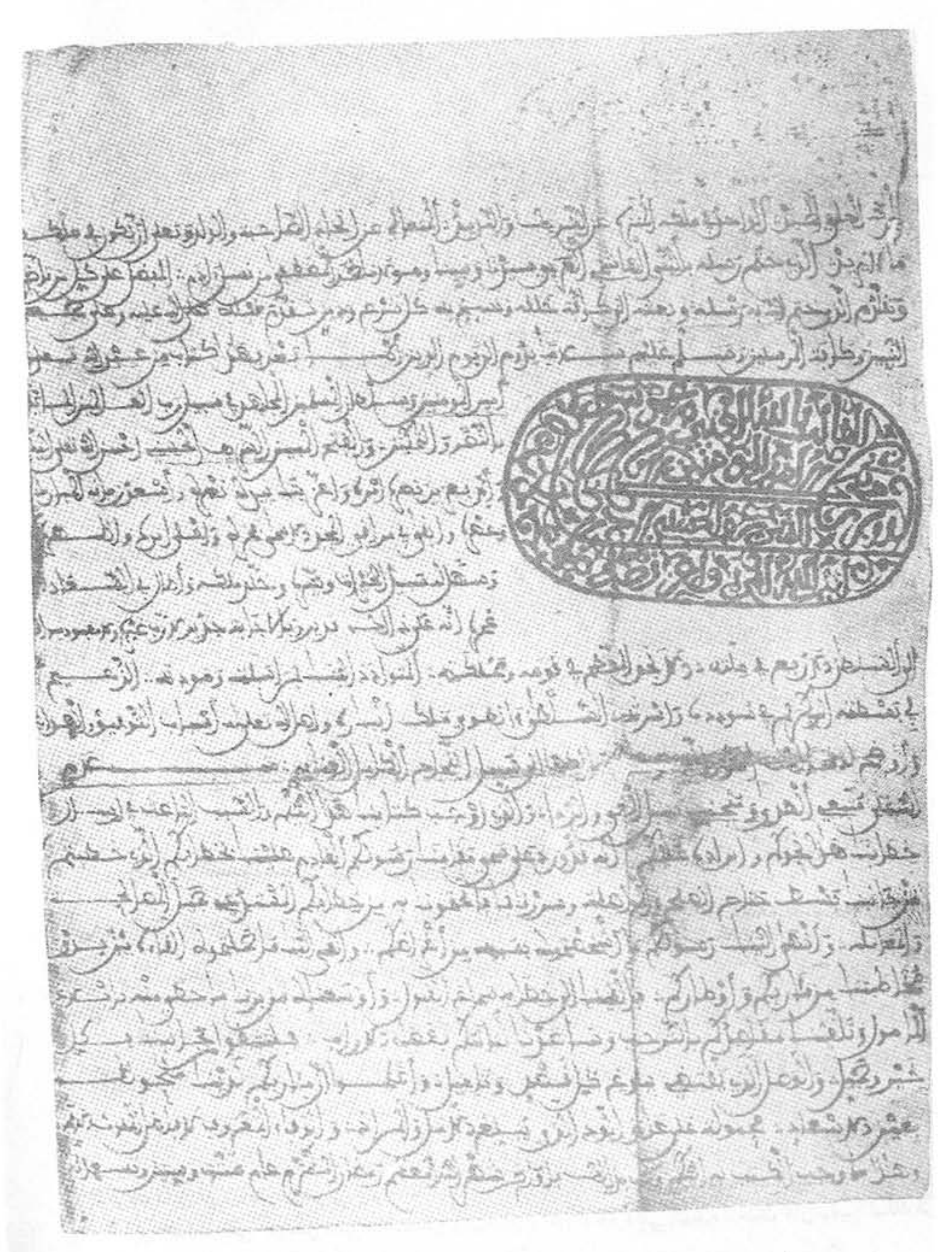
وبما أن المغرب جار قريب لإسبانيا وفي استطاعته أن يقوم بعمل ما يشغلها عن جبال البيريني التي تمتد على جانبها مملكة نافار، فقد بعث ملك نافار - سنة 1559=966 بسفير يحمل كتاباً إلى السلطان مولاي عبد الله الغالب بالله.

وعن هذه السفارة وتلك الرسالة أجاب السلطان المولى عبد الله الغالب أنطوان دوبوربون (Antoine de Bourbon) ملك نبارة بتاريخ متم رمضان 966= يونيه - يوليه 1559 ![2].

---

1) تذكر الوثائق أن (باكلون) توفي قبل سنة 1557، وقد ذكر أن ابنه حصل في هذه السنة بمساندة شارل التاسع ثم من هنري الثالث على تعويض على ما استحق والده خلال أحد أسفاره إلى المغرب حيث كان سفيرا لملك فرنسا J Caillé : Ambassadeur Hesp 1951 P 355...

2) د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب 8، 164.



رسالة تأمين وأمان من مولاي عبد الله الغالب أمير السعديين إلى أنطوان دوبوربون وهي بتاريخ أواخر رمضان 966 = يونيه، يوليه 1559.

وقد أسفرت هذه الاتصالات فعلاً عن معاهدة تعاون بين المولى عبد الله الغالب بالله وبين أنطوان دوبوربون (Antoine de Bourbon)، تحمل نفس التاريخ السابق 966=1559 (1).

وقد كان أهم ما في هذه الاتفاقية التنازل عن مركز قصر المجاز الذي كان الفرنسيون ينوون أن يبادلو به مع فيليب قطعة من نفارة محتلة من قبل الإسبان، بيد أن الاتفاقية لم تحقق أهدافها فإن الفرنسيين لم يتوصلوا بالقصر الصغير(2).

ويظهر أنه نتيجة لوجود بعثة فرنسية بالعاصمة المغربية عام 1560=967-968 بقيادة G DE Buadi، كانت رسالة التأمين التي حررت عن إذن الأمير مولاي عبد الله الغالب نيابة عن والده، والتي كانت تخص التاجر الفرنسي روبير بْرُودي (Robert Brodet) الذي كان يعمل لحساب فرنسا وهي بتاريخ أواخر رجب 968 : 16 أبريل 1561 (3).

وفي أعقاب الخلاف الذي شبَّ بين الإخوة بعد اغتيال والدهم السلطان محمد المهدي الشيخ من طرف الأتراك نجد بعض هؤلاء الإخوة يلتجئ إلى الجزائر ، ويتعلق الأمر بالأمير عبد الملك السعدي الذي كتب إلى شارل التاسع رسالةً محررة من الجزائر بتاريخ 25 مايه 1573=13 محرم 981 يشكر ملك فرنسا على مواقفه الودية المتجلية في الرسالة التي بعث بها لصالحه، إلى الباب العالي، ويتمنى أن يتمكن من التعبير عن امتنانه... وقد أخبر عبد الملك ملك فرنسا بوفاة أخيه مولاي عبد الله الغالب. ويختم الأمير عبد الملك رسالته التي وقعها بالحروف اللاتينية بأنه إذا نجح مشروعه حول المغرب فسيكون تحت تصرف فرنسا...

ويتغلّب الأمير عبد الملك على ابن أخيه محمد بمساعدة الأتراك... وهنا نجد رسالة من هنري الثالث إلى السلطان المولى عبد الملك تحمل تاريخ نونبر 1576= شعبان - رمضان 984 تخبر العاهل المغربي بأن سفيره القابطان كابريط (Cabrette) «وصل إلى بلاطنا كمبعوث من لدنكم وأننا استقبلناه في جلسة هامة وكتبنا لكم رسالة حملها إليكم...

1) Charles Penz : Les Rois de France et le MAROC -25-26

2) Hesp 1951 P 356

G Colini ; Fes Port de mer : Bullt de l'Ens Pub N° 183 oct déc 1945

3) د. التازي : ميناء فاس، في المصادر المغربية والأجنبية، بحث قدم للندوة الدولية حول الجهاد البحري التي نظمتها جمعية أبي رقراق بمدينة سلا، مايه - يونيه 1997.

والواقع أن المولى عبد الملك عندما اعتلى عرش المغرب كان مشغول البال بأمرين خطيرين : أولهما الأخبار التي وصلته عن تسلح الملك دون سباستيان ملك البرتغال الذي وقف إلى جانب الأمير المخلوع محمد بن عبد الله... ثانيهما مطامع تركيا في بلاده اعتماداً على العون الذي قدمته إليه للوصول إلى الحكم !

وقد وجدنا أصداء لقنصلية فرنسية في المغرب ابتداء من هذا العام 1577-985 كان على رأسها طبيب يحمل اسم كيوم بيرارد (Guillame Bérard) الذي كان عالج الأمير عبد الملك أثناء وجوده في القسطنطينية وسيظل يعالجه وهو يقاتل في معركة وادي المخازن [1] في صيف 986=1578 وقد استمر على صلة بالبلاط السعدي أيام المنصور بعد وفاة عبد الملك، وعهد إليه من طرف المنصور السعدي بحمل رسالة إلى ملك فرنسا يخبره فيها باعتلائه على العرش ويجدد الصداقة التقليدية التي تربط بين البلدين...[2].

وهكذا نجد أن ملك فرنسا هنري الثالث يكلف القنصل (كيوم بيرار) بتاريخ 21 جمادى الأولى 987 = 16 يوليه 1579 بتقديم تهاني فرنسا لأحمد المنصور مذكراً إياه بالعلاقات الطيبة التي كانت بينها وبين أخيه المولى عبد الملك... مضيفاً إلى هذه العواطف رجاء فرنسا في أن يأذن لمراكبها بدخول الموانئ المغربية، وبأن يعمل على تحرير ما يوجد من أسرى فرنسيين بالمملكة، وأن يسمح لها بتصدير أربعين ألف قنطار من ملح البارود وأخيرا تطلب إليه تعليمات هنري أن يقوم بمفاوضة السلطان أحمد المنصور حول قرض يمبلغ مائة وخمسين ألف دينار يسلفها ملك المغرب إلى فرنسا !!

وقد استجاب المنصور السعدي لمطلب هنري الثالث عندما حصل بالمقابل على تحرير عدد آخر من الأسرى المغاربة الذين كانوا بفرنسا، وعندما تأكد أن المركب لا يحمل عناصر تهدد ثغوره.

ولما تولّى هنري الرابع بعث سنة 1600 برسول هو جيربير دو لا بالم (Girbert de la Palme) ليطلب إلى المنصور الإفراج عن القابطان جيل جيرار (Gilles Gerard) مع ملاحيه، وقد كانوا وقعوا في أسر البحرية المغربية التي تراقب التحركات في المياه الإقليمية للمغرب.

ويدل على اهتمام فرنسا بأمر حرية الملاحة أن هنري الرابع بعث برسالة إلى محمد الثالث سلطان تركيا يشكو فيها من مضايقة المغاربة للسفن التي تمخر عباب البحار وأنه كاتب حول هذا

(1 J Caillé : la representation diplomatique de la France au MAROC, Paris 1951 P 13

المغربي، وهي الرسالة التي نرى محمد الثالث يجيب عنها بخطاب إلى هنري الرابع من أسطامبول مؤرخ يوم 15 ربيع الأول 1012=23 غشت 1603 يخبره فيه بأنه قد كتب للعاهل المغربي.

وبعد وفاة المنصور السعدي (15 ربيع الأول 1012=1 شتنبر 1603) وتفرق الأمر بين بنيه، وجدنا قنصل فرنسا (De Lisle) يخبر (يناير 1606) كاتب الدولة فيليروى (Villeroy) بمشروع حلف بين الأمير زيدان وبين فيليب الثالث... كما نجد هنري الرابع ملك فرنسا يوجه قبل تاريخ 26 مارس 1607= 27 ذي القعدة 1015 بخطاب يهنئ فيه زيدان بالإنتصار الذي أحرز عليه ضد خصومه السياسيين ويغتنم هذه الفرصة ليطلب إلى العاهل المغربي أن لا يمنح الهولانديين والأنجليز الذين يهاجمون السفن الفرنسية العاملة ضد إسبانيا، الإذن بالالتجاء للمراسي المغربية...

وقد وجدنا الأمير زيدان أواخر عام 1015=1607 بمدينة مراكش حيث يبعث برسالة إلى هنري الرابع بتاريخ 5 ذي الحجة 1015=3 أبريل 1607 يقول فيها : إنه عهد إلى دوليسل (De lisle) بإخبار هنري الرابع بأن العلاقات الدبلوماسية الموقوفة أثناء الظروف العصيبة التي كان المغرب يجتازها يمكنها الآن أن تعود إلى مجراها الطبيعي.

ولم يلبث زيدان أن استقبل عام 1611=1020 مبعوثاً فرنسياً آخر هو جان فيليب كاسطلان (HF Castlane) الذي وجد لدى العاهل ترحيباً وتفاوض معه حول عدد من المسائل.

وقد دشن كاسطلان حياته الدبلوماسية بتقديم اقتراح إلى السلطان مولاي زيدان يهدف إلي عقد اتفاقية فرنسية مغربية على نحو الاتفاقية المعروفة المبرمة بين فرنسا والباب العالي سنة 1536.

ويبدو أن هذه هي الأيام التي قام فيها عالم مغربي لامع بزيارة فرنسا ويتعلّق الأمر بأحمد بن قاسم الحجري المشهور بأفوقاي الذي كان يتوفر على عدد من اللغات : الفرنجية والإسبانية والبرتغالية حيث وجدناه يقوم بإجراء حوار ديني مع القسيسين والرهبان وأحبار اليهود...[1].

1) ناصر الدين على القوم الكافرين مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب لأحمد بن قاسم الحجري الأندلي المعروف بأفوقاي، تحقيق محمد رزوق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنانية 1 بالدار البيضاء 1407=1987 ص 49-55.

العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع. الخزانة العامة بالرباط ج 87-الخزانة الحسنية رقم 2646.

Clelia Sarnelli Cerqua : un voyageur arabe ou caire, au XVIIème Siècle Instituto universitario-orientale-napoli

وقد كان على العلاقات أن تبقى مستمرة بين المغرب وفرنسا لولا حدث خطير أغضب السلطان مولاي زيدان لأنه مسه في أهم ما كان يمتلكه من تراث أبيه : ذلك الحدث الذي عكر صفر العلاقات بين البلدين لمدة قرن ونصف من الزمن، هو السطو على خزانة المخطوطات الفريدة التي كان يتوفر عليها : ثلاثة آلاف سفر من كتب الدين والفلسفة والتاريخ والأدب وغير ذلك.

وبما أن السلطان المولى زيدان كان على حربٍ فعلاً مع إسبانيا حول الخزانة المختطفة فقد أبى أن يتصل بها ولكنه مع ذلك بعث برسائل عديدة إلى ملك فرنسا لويس الثالث عشر كانت تترجم عن تأثره الشديد من تعامل كاسطلان الذي كان السبب في الحادث !

وقد زاد في تدهور العلاقات بين زيدان ولويس أن هذا الأخير رأى أن لا يستقبل السفير المغربي أحمد الجزولي الذي بعث به السلطان زيدان سنة 1021=1612-1613 للديار الفرنسية ! وحجته في ذلك أن المخطوطات المغربية لم تكن بفرنسا الأمر الذي جعل السلطان يشدد من خناقه على الأسرى الفرنسيين.

وقد كان من بين الخطابات المتبادلة بين فرنسا والمغرب، خطاب وجهه السلطان المولى زيدان إلى فرنسا بواسطة الولايات العامة (هولاندا) وكان جوابا على رسالة ملك فرنسا.

كما كان من بين الرسائل التي رفعها السلطان مولاي زيدان إلى لويس الثالث عشر الخطاب الذي يحمل تاريخ 6 ربيع الأول 1025=24 مارس 1616 والذي يؤكد عزم العاهل على عدم إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين ويكشف عن مسؤولية ملك فرنسا حول المخطوطات...

وقد بدا للدبلوماسية الفرنسية في وفاة زيدان ما يبرر القيام بحركة من أجل إنقاذ الموقف والعمل على تسريح العدد العديد من الفرنسيين الذين وقعوا في أسر المغاربة سواء من هؤلاء رجال السلطة الشرعية الممثلة آنذاك في السلطان المولى عبد الملك الذي عوض والده زيدان أو الزعماء الذي ظهروا في سلا وتطوان من الذين أخذوا بدورهم يفرضون وجودهم في البحر...

وبهذا نفسر قرار الحكومة الفرنسية في تاريخ 30 نونبر 1629=13 ربيع الثاني 1039 بتعيين أحد تجار مرسيليا أندري برا (Andre Prat) قنصلا في مدينتي سلا وتطوان ليهتم بمشاكل الفرنسيين ويعمل على افتداء الأسرى، غير أن هذا القنصل لم يلتحق بمقر عمله الأمر الذي جعل فرنسا تبادر، بتكليف دورازيللي (De Razilly) في صيف 1630= أوائل 1040 من أجل إبرام اتفاقية مع زعماء سلا لصالح أولئك الأسرى...

ويحتفظ دوكاستري في كتابه "مصادر لم تنشر لتاريخ المغرب" بمشروع الاتفاقية الذي حرر بسلا يوم 24 غشت 1630=15 محرم 1040، ووقع عن السلاويين فيه عبد الله بن علي القسري[1].

ويترك دورازيللي هذه المنطقة في اتجاه مراكش حيث يوجد سلطان البلاد آنذاك المولى عبد الملك وقد نزل بمدينة آسفي، ومنها بعث برسالة من لويس الثالث عشر إلى المولى عبد الملك يلتمس تحرير الأسرى قبل أن يغادر المغرب إلى بلاده. وقد كانت الرسالة تحمل تاريخ 26 ربيع الأول 1040=2 نونبر 1630[2].

ولم يعد دورازيلي (De Razilly) إلا في أعقاب مصرع السلطان المولى عبد الملك وتولي أخيه المولى الوليد وهكذا استطاع بفضل مثابرته وبالرغم من إخفاقه في المحاولات السابقة أن يحمل الوليد على توقيع عقد اتفاقية تعود بمقتضاها العلاقات بين البلدين إلى حالتها الأولى وكان ذلك بتاريخ 17 شتنبر 1631=18 صفر 1041 [3].

وقد استمرت المراسلات بين المغرب وفرنسا في أعقاب هذه الاتفاقية، وهكذا نجد رسالة من مراكش بتاريخ 3 شوال 1043=1 أبريل 1634 إلى لويس الثالث عشر تخبره بأن انطوان كابيرون (Antouane Cabiron) سلمه الرسائل التي بعثها ملك فرنسا، وأنه قد أحيط علماً بسلوك دافيد بالأش الذي لم يحمل إليه ما كلفه به لويس، ويؤكد الوليد أنه لم يعهد لدافيد بالأش بعمل قط. وهو يحمل فرنسا المسؤولية في عدم تنفيذ بنود هذا الاتفاق بالرغم من أن العاهل حرر سائر الأسرى ومنع على السلاويين كل عمل موجه ضد فرنسا..!

وقد تجددت اتفاقية 1631 بين لويس الثالث عشر وبين الوليد بن زيدان سنة 1635 حيث نجد معاهدةً محررة بآسفي يوم 18 يوليه 1635- 3 صفر 1045 وقد كان رئيس البعثة التي باشرت المفاوضات عن الجانب الفرنسي دوشالار، كما صادق على موافقة النص الفرنسي للعربي عن المغرب شخص يحمل اسم مراد (Morat).

ومن جهة أخرى فإن أندري برا (Andre Prat) رأى أن يرسل كارسبار دوراستان (Caspard de Rastin) لينوب عنه في مهمته القنصلية بسلا - وكانت وظيفة القنصل آنذاك تخول لصاحبها أن ينيب عنه حسبما يراه !

1) S IHMS, I T 3 P 282
2) نفس المصدر
3) د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 8.

وقد قام دوراستان فعلاً بالأمر وكان مما كتب به إلى رئيس الوزراء الفرنسيين ريشيليو رسالة بتاريخ 16 يوليه 1639 يخبره بأن سلا الجديدة قد سقطت في يد الزعيم العياشي وأن الحصار قائم حول القصبة التي تمون بواسطة الإسبانيين [1]. وقد استطاع دوراستان (De rastin) أن يحصل خلال عام 1049=1649 على اتفاقات مع العياشي صاحب سلا لحماية الفرنسيين من الغزاة البحريين السلاويين وإعطاء الفرنسيين حق الامتياز لاستغلال معدن القصدير الذي اكتشف بسلا...

واعتباراً لكون الاتفاقية المبرمة بين دورازيلّي وبين قادة سلا حول الأسرى لم تأت بالنتائج بسبب تفاقم الأحوال وتبادل أعمال العنف بين الطرفين... رأى القنصل (برا) أن يذهب بنفسه إلي المغرب ليذلل المصاعب القائمة، وقد اصطحب معه ابنه هنري (Henry) الذي عرف كيف يصانع الزعيم الجديد لسلا الحاج الدلائي حيث نجح في إقناعه بأن من مصلحة السلاويين أن يضربوا صفحاً عما لهم من حسابات قديمة مع فرنسا ليربطوا علاقات تجارية جديدة...

وبعد مفاوضات طويلة وشاقة مع زعماء «جمهورية» إقليم وادي أبي رقراق العاملين باسم الحاج الدلائي عقد معهم أندري برا اتفاقية لتوطيد العلاقات التجارية بين فرنسا وبينهم، ثم أمضى معهم في السنة الموالية اتفاقية ثانية في نفس المعنى.

وبالرغم من كون القنصل (برا) عقد هاتين الاتفاقيتين بصفة شخصية دون تفويض رسمي من حكومته فإن الاتفاقيتين استطاعتا على الأقل أن تعملا على تحسن العلاقات بين الجانبين...

وفي هذه الأثناء جرت أحداث عنف متعددة كان من بينها استيلاء السلاويين على سفينة فرنسية قادمة من الأرض الجديدة [2] (la terre neuve) وقد كان على ظهر السفينة أربعون من النصارى بيعوا جميعا في أسواق سلا بالمزاد العلني !

ومع ذلك فقد استمر هنري برا يتولى منصب قنصل فرنسا في سلا وتطوان إلى ما بعد نهاية حكم الدلائيين، حيث عاد إلى فرنسا ليرسل بدوره نوابا عنه يقومون بأعمال القنصلية، وكان من هؤلاء انطوان جوليان بارازول (Antoine Julien Parasol) وفرانسوا جوليان (François Julien) وهكذا ظل مشكل العلاقات المغربية الفرنسية -المنتسب أصلا من اختطاف خزانة زيدان- قائما...

---

1) دوكاستري : سلسلة أولى (فرنسا) 3 ر 584 IIHM, I T 3, P 584

2) الأرض الجديدة جزيرة كبرى في أمريكا الشمالية بقيت حتى سنة 1949 مستعمرة إنجليزية ثم أصبحت مستقلة، تكون اليوم الولاية العاشرة من ولايات كندا...

الفصل الخامس

العلاقات المغرب مع انجلترا والطوسكان

- الاتفاقية المغربية الإنجليزية التي أمضاها جوهن هاريسون
- تبادل المراسلات والسفارات بين الملوك السعديين وانجلترا
- وساطة أنجلترا لدى المغرب لمساعدة الأمير البرتغالي أنطونيو
- المهمة الدقيقة للسفير المغربي عنون بأنجلترا
- تجدد الاتصالات بين جيمس الأول والسلطان أبي فارس
- أنطوني شيرلي في البلاط المغربي
- العلاقات المغربية الإنجليزية عند ظهور بعض الزعامات المحلية
- علاقات المغرب مع الطّوسكان : فلورانس

العلاقات المغربية الإنجليزية

دشنت العلاقات بين البلدين في هذا العهد عندما رست سفينتان تجاريتان إنجليزيتان في ميناء آسفي عام 957-958=1551 ثم عام 1552 برئاسة طوماس ويندهام (Thomas Windham).

وكان ذلك على إثر وصول تقارير للعاصمة البريطانية تتحدث عن الأرباح الطائلة التي تحصُل عليها إسبانيا والبرتغال من الموانئ المغربية المحتلة والتي بلغت حداً أغرى الأوساط التجارية بإنجلترا على مدّ الاتصال إلى الأرض المغربية.

وهكذا استقبلت البعثة الإنجليزية في المغرب ووقعت اتفاقية أمضاها جوهن هاريسون (J Harison) بعد مفاوضات جرت بين الطرفين المغربي والإنجليزي [1].

ومن ثمت استمرت العلاقات في نمو وتزايد، وهكذا نجد رسالة موجهة من السلطان مولاي عبد الله الغالب بالله إلى الملكة اليزابيث يطلب إليها أن تستقبل مبعوثه التاجر لوي فيرنانديز (Luis Fernandez) وتستجيب لطلبه حول تأمين مراكب شريكه سالفا دورنونيز (S Nuñez).

وهذه الرسالة تحمل تاريخ أوائل جمادى الأولى 977=12-21 أكتوبر 1569 وهي مختومة بتاريخ كتب بالأرقام التي تحمل في اصطلاح الموثقين اسم "القلم الفاسي" أو القلم الرومي [2].

---

1) S.I.H.M. T.1 Ang., T.1, p. 100, T.2, p. 441..., T. III, p.10...

2) H.I.H.M. Angl, T. 1. p 100-101 – التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج 2، ص، 41-62.

وقد بلغت الصادرات من السكر المغربي والمواد الغذائية المحولة من الثغور المغربية إلى أنجلترا عام 1574-1575 أزيد من ثمانية وعشرين ألفا من الجنيهات الاسترلينية...

وقد حدث عام 984=1576 أن قام جوهن ويليامز (J Williams) الذي كان يعمل وكيلاً لأحد كبار تجار لندن : إدمون هوجان (E Hogan)، قام ببيع كمية كبيرة من السلاح لمولاي عبد الملك الذي عوض الإنجليز عن هذا ببيع كمية من مادة استراتيجية (ملح البارود المغربي) ظلت الحكومة في بلادنا تقصرها على استعمالها الخاص.

وقد استطاع الباحث هُوبكنز (Hopkins) أن يظفر بنص خطاب العاهل المغربي الذي حرر بمراكش، وكان يحمل تاريخ رجب الفرد 984= أكتوبر 1576 [1] ويتلخص هذا الخطاب في إخبار الملكة بتملكه زمام الأمر ووعدها بقضاء أغراضها...

وقد أرسلت الملكة على عهد السلطان المولى عبد الملك سفيرها إدموند هوكان [2](E Hogan)، وكان ذلك سنة 985=1577 عن طريق طنجة لهدف الحصول على امتيازاتٍ تجارية ورفع شكاوي ضد اليهود الذين أساءوا معاملة التجار البريطانيين...

وقد استقبلت السفارة أول يونيه 1577 بظاهر العاصمة، حيث أمر العاهل المغربي بحضور البرتغاليين والإسبان مراسيم الاستقبال، وذلك قبل أن يتقبل في قصره رسالة اعتماد الملكة لسفيرها (هوكان)...

وقد بعث السلطان عبد الملك برسالة إلى الملكة حول مقدم سفيرها وصدر مرسوم لمولاي عبد الملك لصالح مطالب إليزابيث، حرر بمراكش بتاريخ 6 يوليه 1577 وقد وعدها بإرسال سفير مغربي لتحضير مشروع اتفاقية بينه وبينها كما يعد بتشجيع التجارة بين البلدين.

وقد أجابت الملكة عن خطاب العاهل برسالة أخرى بتاريخ 3 شتنبر 1577 تشكره على عنايته بسفيرها وإزاحته العراقيل التي وضعها اليهود حول وسق السكر، قائلة : "إنها تتطلع الى وصول السفير المغربي إلى لندن لتقوم بواجب الترحيب".

1) Lettres From Barbary 1576-1774..ARABIC Documents in The Public Records office Translated and Anno tated By J.F.P. Hopkins, Published for the British Academy by the oxford University Press.

2) Sources inédites S.I.T. 1, P.199

وفي هذه الأثناء : شوال 985= دجنبر 1577 وصل البحار الإنجليزي السير فرانسيس دراك F DRAKE إلى جزيرة الصقور على مقربة من مدينة الصويرة الحالية وكان الهدف ضرب إسبانيا عدوة أنجلترا على ذلك العهد... [1].

وقد كان النصر الحاسم الذي أحرزه المغرب في معركة وادي المخازن 986=1578 على الجيش البرتغالي بمثابة منطلق جديد لنشاط دبلوماسي هام بين المغرب والدول الأوروبية.

وقد كانت أنجلترا في صدر تلك الدول، الأمر الذي تكشف عنه المراسلات المتوالية التي كانت للسلطان أحمد المنصور السعدي مع الملكة اليزابيث وكذا لوائح الهدايا المتبادلة.

وقد كان من أوائل الاتصالات بين المغرب وأنجلترا ما تجلى في الرخص التي كانت تمنح لبعض التجار الإنجليز من أجل تسهيل عملهم التجاري بالمغرب على نحو ما نراه في الأذن المؤرخ بأوائل شوال 986= أوائل دجنبر 1578 والممنوح للتاجر جوهن بانطون (John Benton) الذي وسق حمولة عشرة جمال من التمور إلى الديار الإنجليزية.

وفي خطاب بتاريخ 13 ربيع الثاني 987=18 يونيه 1579 نجد السلطان أحمد المنصور يخبر الملكة إليزابيث أنه استلم خطابها الذي تطلب إليه فيه أن يعامل المواطنين الإنجليز الذين يردون للتجارة بالمغرب معاملة خاصة، وأن يستخدم نفوذه لإلزام اليهود الذين يتعاملون مع هؤلاء التجار بالقيام بالتزاماتهم، وقد أوضح المنصور في رده أن من التقاليد المغربية احترام مهمة التجار الأجانب ما داموا متقيدين باحترامهم للنظام، وأن كل ما تطلبه الملكة سيكون محل عناية.

وقد أورد هوبكنز خطاباً مرفوعاً من المنصور إلى إليزابيث حرر بمراكش بتاريخ 20 جمادى الأولى عام 988=3 يوليه 1580... وهو يشكر الملكة على ما أيدته من استعداد تام للاستجابة لمطالبه ويؤكد لها عن عواطفه...

وقد تبع هذا خطاب آخر من السلطان المنصور إلى الملكة بتاريخ 16-25 صفر 989=22-31 مارس 1581 يخبرها بتوصله برسالتها وبمطلبها ويعدها بتحقيق رغائبها...

1) د. التازي : القنص بين المشرق والمغرب، المطبعة العصرية، الرباط 1980 ص 39.

كما وردت رسالة منها إليه بتاريخ أبريل 1585 تعرب فيها عن سرورها البالغ بالإهتمام الذي أولاه العاهل المغربي لأحد المقربين إليها : إلايرل أوف ليسيستر (the earl of Leicester) وهي تستوصي خيراً ببعض الواردين على الديار المغربية ممن يعملون لحساب هذا الأخير...

وفي هذه الأثناء أخذ بعض التجار الإنجليز يضغطون على حكومتهم للموافقة على تأسيس شركة تجارية تمنح امتيازاً لاحتكار التجارة بين بريطانيا والمغرب، وفعلاً تأسست الشركة عام 1585 باسم الشركة المغربية (Barbary Company) ومنحتها الحكومة البريطانية عقد امتياز لمدة اثنتي عشرة سنة وأرسل هنري روبيرت (Henry Roberts) ممثلاً للشركة في المغرب حيث وصل إلى آسفي يوم 14 شتنبر 1585 وقدم خطاب توصية من الملكة للعاهل المغربي الذي استقبله بمراكش وخصص له مقاماً بالحي اليهودي حيث ظل ثلاث سنوات [1].

لقد كان السكر في صدر المواد التي تسوّقها الشركة لأنجلترا، فإن الملكة لم تكن تقبل في مطبخها على ما يقول تقرير (روبيرتس) أي نوع من السكر إلا السكر المغربي !! هذا إلى الذهب الذي أخذت ترد منه كميات كبيرة على المنصور من السودان...

هذا أيضا إلى ملح البارود (Salpetre) المغربي الذي كان أجود نوع في العالم والذي كان الدفاع الحربي الإنجليزي يعتمده بالدرجة الأولى إضافة إلى معدن النحاس.. والمواد الغذائية المتمثلة في القمح والذرة واللحوم...

ويذكر تقرير (روبيرتس) أن الضريبة على الواردات للمغرب كانت عشرة في المائة لكنها على الصادرات كانت تختلف حسب نوع السلعة وحجمها...

ومن القضايا الهامة التي كانت مثار حوار بين الدولتين مسألة مساعدة الأمير البرتغالي دون أنطونيو (Don Antonio) اللاجئ ببريطانيا والذي كان يطالب باستعادة عرش البرتغال من إسبانيا.

إن انطونيو هو ابن لدون لويز (D Luiz) الابن الثاني للملك إيمانييل الأول (Emanuel) ملك البرتغال، وقد كان أسر من لدن المغاربة في معركة وادي المخازن لكنه افتدي بعد وصل إلى البرتغال بعد وفاة عمه الكبير الكاردينال هنري (Henry) الذي حكم البرتغال بعد مصرع الملك سباستيان في وادي المخازن، وقد حدث بعد وفاة الكاردينال يوم 31 يناير 1580 أن ضَم فيليب

(1 Roger : Anglo - Moroccan Relations p. 14.

الثاني ملك اسبانيا البرتغال إلى مملكة بصفته حفيداً للملك إيمانييل، وكانت أنجلترا قد وعدت بإسرسال قوة لمعاونة المُطالب بعرش البرتغال أنطونيو معتمدة على المساعدة المادية للسلطان أحمد المنصور في مقابلة مساعدة إليزابيث للعاهل ضد تهديدات فيليب الثاني بالسطو على العرائش !

ولقد أرسل السلطان في يناير 1588 بسفيره الرايس مرزوق إلى الملكة يعلن عن استعداده لإرضاء مطلبها المتلخص في مساعدة دون أنطونيو ولكنه يطلب إليها أن تبذل مجهودا في البداية مقترحاً تحرك أسطولها نحو جبل طارق على أن يزودها بالتموين اللازم حتى يتم استرجاع المملكة المغتصبة.. ثم نجد الأمير دون أنطونيو يرسل بسفيره كاسبّاردي أكرام (Caspar de AGRAM) حاملا خطابا للعاهل المغربي في شأن طلب المساعدة على استرجاع عرشه وتوصيات الملكة لأنطونيو ونجد رسالة من السلطان المنصور إلى الأمير اللاجئ بتاريخ جمادى الأولى 996=29 مارس 28 أبريل 1588 يحيطه علما بأنه سيكتب إلى ملكة أنجلترا في الموضوع...

وقد شكرت الملكة إليزابيث المنصور السعدي على أريحيته التي تجلت في إرسال 400000 جنيه كبداية للمساعدة وذلك في رسالة وجهتها إليه من لندرة بتاريخ 15 غشت 1588 مخبرة إياه بالكارثة التي حلت بالأسطول الإسباني بعد بضعة أيام فقط من الحادثة ثم بعثت له مع سفيرها إدوارد براين (Prynne EDWARD) برسالة تشكر إرساله للسفير مرزوق مخولةً سفيرها إبرام اتفاق يهدف لإرجاع دون أنطونيو لعرشه... [1].

لكن السفارة البريطانية وجدت السلطان المنصور يتأهب لمنازلة مملكة (سُنْغَاي) فاستبقى المنصور سفير إليزابيث عنده إلى أن تم تجهيز الجيش المغربي لكي يتمكن من التحدث إليه بحرية. إن إنجاز الوعد الذي قطعه العاهل المغربي على نفسه يتوقف على العون الذي تقدمه بريطانيا نفسها.

وفي هذه الأثناء أبحر الأسطول الإنجليزي إلى البرتغال لنصرة دون أنطونيو 1589 وتوجهت أنجلترا للعاهل المغربي تطلب العون بالمال والرجال، فأجابها المنصور برسالة مؤرخة في 29 شوال 997=11 شتنبر 1589...

وفي هذا الإطار نجد جواباً بديعاً من العاهل المغربي إلى العاهلة البريطانية بتاريخ 19 شعبان عام 998=23 يونيه 1590 أرفقه بالترجمة إلى اللغة الإسبانية...

(1 S.I.H.M - ANGL. T. I . P. 518

وفي أعقاب توصل المنصور برسالة من دون أنطونيو، بعث إليه من مراكش بتاريخ 19 ذي الحجة 998=19 أكتوبر 1590 يخبره بأنه توصل بمبعوث الملكة ورسالة أنطونيو - وأنه ينتظر تزويد الملكة إليزابيث لأنطونيو بالقوات العسكرية لكي يبعث بوكيله الذي سيبقى إلى جانب الأمير أنطونيو حتى يتوصل هذا الأخير بما قدمه المنصور السعدي من مبالغ مالية مساعدة لقضيته.

وفي أعقاب هذا بعثت الملكة إليزابيث إلى المنصور أوائل 999= أواخر 1590 تشكره على الوعد بإعانة أنطونيو، كما توصيه خيراً بالأمير دون كريستوف (Don Cristophe) الذي وجهه والده أنطونيو رهينة إلى ملك المغرب مقابل المساعدة المالية...

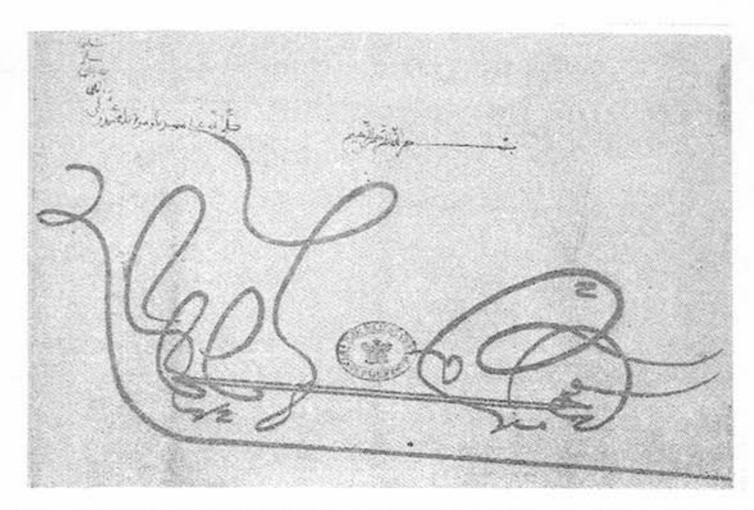
وقد احتفظ الأرشيف برسالة أخرى من أحمد المنصور إلى إليزابيث بتاريخ 16 جمادى الأولى 999=12 مارس 1591 تتلخص في أن الملكة كانت طلبت إليه أن يعيد الأمير (كريستوف) ابن أنطونيو إلى أنجلترا وأنها تعتب عليه مماطلته في الكتابة إليها، فالعاهل يؤكد اعتذاره بالاستعدادات التي يقوم بها من أجل قصد السودان وهذا فقط ما استدعى تمديد مقام الأمير كريستوف بالمغرب، إن الملك لا ينسى وعوده بعون دون أنطونيو وأنه يعتزم التحدث إلي ولده محمد الشيخ ويبعث من بعد برسول إلي البلاط البريطاني... [1].

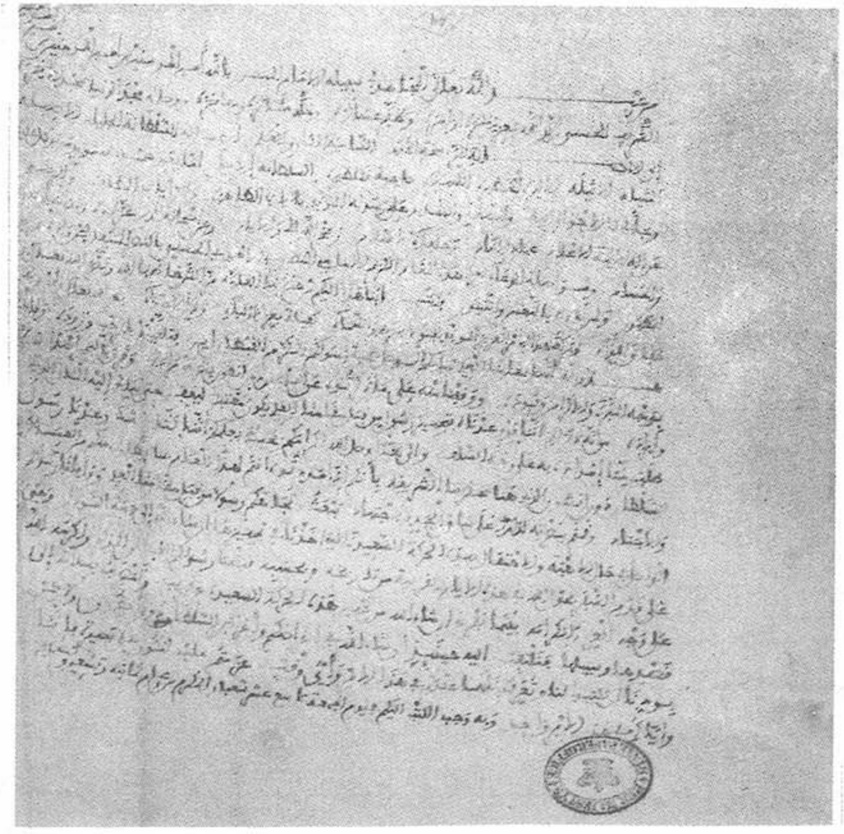
ونتيجة لتفكير فليب الثاني في أن يقيم أعوانه في أركوين (ARGUIN) للاستيلاء على الذهب الذي يجعل المنصور أحد أثرياء ملوك الدنيا قام المنصور بعقد حلف دفاعي بتاريخ 9 ربيع 1005=31 أكتوبر 1596 مع الملكة إليزابيث وهنري الرابع ضد اسبانيا بمشاركة الولايات العامة المتحدة (هولاندا) [2].

1) H.I.H.M. Ang II, 68 Hopkins p.5-6.

2) Histoire du Maroc, Par Coissace de Chavrlière 1931p. 388-839.

أنظر حديثا عن مشروع طوماس سوميرفيل لاحتلال السوس وعن خدوجة زعيمة المنطقة... كتاب ذهب سوس لرولان لوبيل، تعريب قاسم الزهيري ص 111، المطبعة الاقتصادية -الرباط- 28-2-55.





التوقيع والرسالة التاريخية 19 شعبان 998، 23 يونيه 1590

سفارة هامة من المنصور إلى الملكة إليزابيث

وهذا حدث من الأحداث الدولية المطرفة في تاريخ المملكة المغربية يكاد يعد ضرباً من الأساطير التي يتحدث الناس بها...

ملك المغرب بعد أن حقق نصره على البرتغال في وقعة وادي المخازن عام 986=1578، وبعد أن تخلص في الجنوب عام 1591 من حلف (سُنغاي-العجم) كما أسميه ! أخذ يخطط لتحرير الثغور الشمالية واسترجاع مملكة الأندلس على نحو ما كتب به عام 1005=1596 إلى صاحب مكة والمدينة والحجاز وإلى قاضي القضاة بمصر...

وحتى يصل إلى هذه الغاية فكر في أن يعمل على إضعاف إسبانيا عن طريق فصلها عن ممتلكاتها سواء في الهند الغربية (أمريكا اللاتينية) أو في الهند الشرقية (الفيليبين وما والاها).

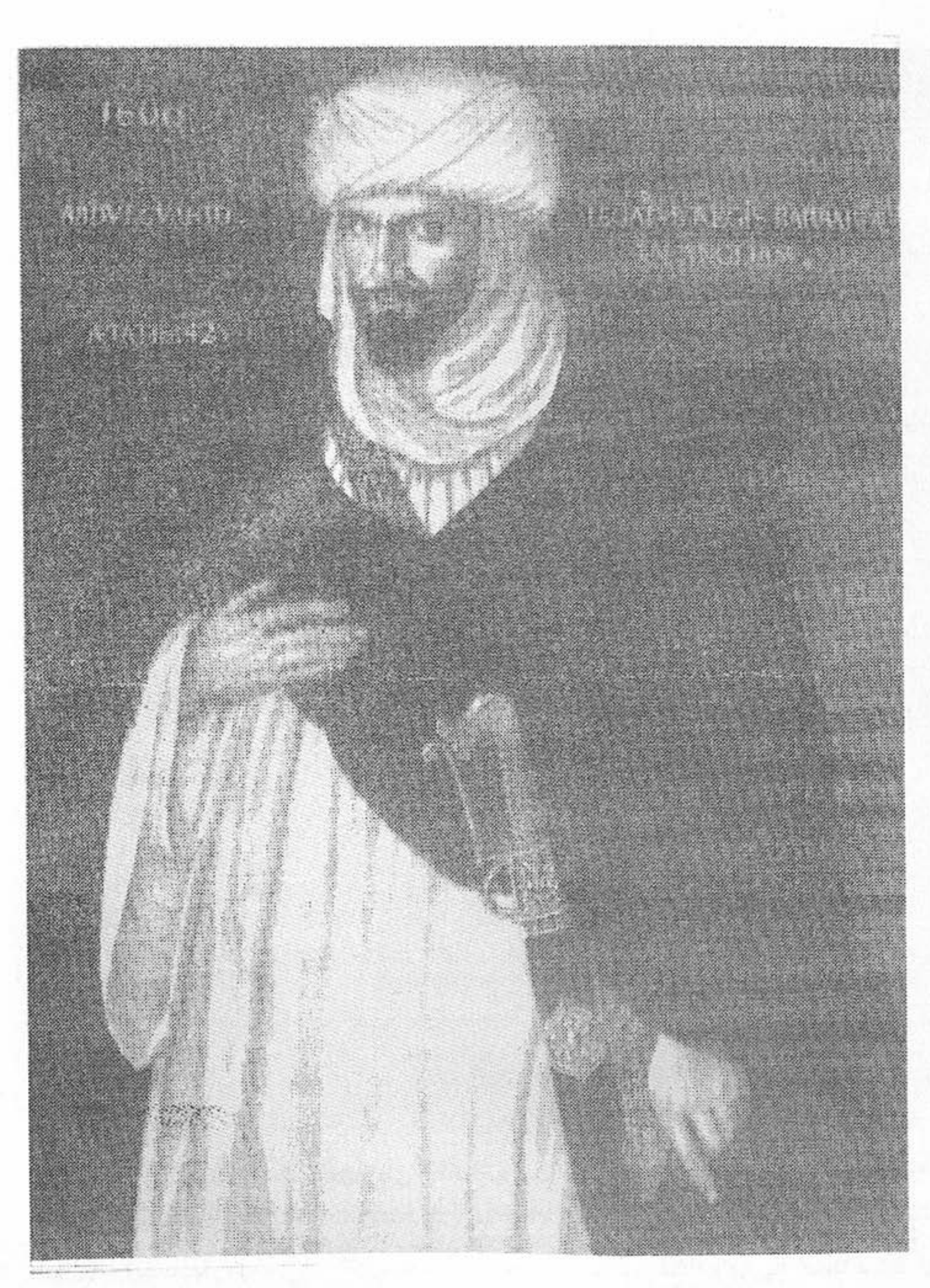
وقد كان مما شجعه على هذه الخطوات المكاتيب التي وصلته من الولايات العامة عن الحلف الثلاثي المبرم في لاهاي بتاريخ 31 أكتوبر بين فرنسا وأنجلترا والأقاليم المتحدة ضد إسبانيا...

ولما كان يربط ملك المغرب مع عاهلة أنجلترا من متين الصلات، ولما كان لأنجلترا من مصالح مشتركة مع المغرب، ولما كانت تتمتع به من أسطول قوي... قرّر المنصور توجيه سفارته السرية إلى لندن بقصد استمزاج رأي الملكة مشافهة حول هذا الموضوع الخطير.

ولا شك أننا نعرف أن إسبانيا على هذا العهد كانت كلها آذاناً لما يروج في المغرب مما قد يمس مصالحها، فعلاقتها بالمغرب علاقة حَذِرة يقظة، وعلاقتها بأصدقاء المغرب أيضا، وبخاصة أنجلترا، علاقة ترقب وتربص.. ولكن مع كل ذلك... ومع كل الاحتياطات، فقد استطاع ملك المغرب، أن يضلل إسبانيا وأن يوهم الرأي العام أن سفارته لم تكن للموضوع الذي ذكرنا ولكنها كانت تقصد إلى بلاد الشام وبالذات إلى ميناء الأسكندرونة : في حلب، بقصد شراء اللؤلؤ للخليفة المنصور!

هذا الكتاب الكريم والمدرج الجسيم صدر عن المقام العلي الإمامي
المولوي الهاشمي الحسني المنصوري دام إقبال دولته ولازالت جهات البسيطة
متشرفة بأنوار معدلته إلى الإيالة التي لها في الأقطار النصرانية القدر الشامخ
المكان والعز البالغ الثابت الأركان والمكانة التي يعترف لها من أهل ملتها القاصي
والدان إيالة السلطانة الأصيلة الجليلة الأثيلة الأنبلة الأثيرة الخطيرة الشهيرة
السلطانة إزابيل لازال قدرها في الملل النصرانية عزيز الجناب سامي الانتخاب أما
بعد فكتبنا هذا إليك من حضرة مراكش حاطها الله وصنع لله تعالى متصل الآلاء
من بهر الأعوام والأعياد ولله الحمد هذا والذي أوجبه لمكاتبك المكرمة أنه يرد على مقام
خدمتنا حامله هذا الكتاب الكريم الذي وجهناه إلى جلب لقضاء بعض ما [illegible] من
أغراضنا وقد اخترنا لهم أن يكون مرورهم على بلادك للمحبة التي بيننا وبينك والعلاقة
التي تقررت بين جنابنا وجنابك وحملناهم هذا الخطاب الكريم إلى مقامك المكرم
بحسب أن يستوصوا بهم خيرا ويحتسبوا في طلوعهم مع سفر بلادك إلى تلك الجهة
هم أهل السفر ليستلزموا منهم ويعتبروهم لوصاتك في جميع أحوالهم كما نريد منكم
أيضا أن تعطوهم كتابك في أيديهم إلى تجار بلادك الذين يسافرون إلى تلك الجهة بأنه إذا
رجعت هذه السفن التي يطلعون فيها من قبل أن يستوفوا أغراضهم كل من وجده الحال
هنالك من سفر تجار بلادكم يحملهم حتى يبلغهم إلى ممالكنا الشريفة إن شاء الله تعالى وتوصي
عليهم في ذلك كله أجمل الإيصاء على نحو ما هو الظن بمكانك المكين واعلم أن الرهبان
الفلمنك الذين [illegible] فيهم لعلي مقامنا وكانوا في أسرنا بما هم يصلونكم صحبة حامله
وقد امتننا عليهم لأجل رعيتك ورعاية جنابك ثم إن جميع ما يكون لكم من الأغراض
في بلادنا وفي ممالكنا الشريفة وتحمل شأنه بعلي مقامنا فهو موقوف ومتلقى عندنا
بالقبول والإقبال والرعي والاحتفال للمحبة والصداقة التي بيننا وبينكم وبهذا وجب
الكتب إليكم في ثاني عشر رمضان المعظم من عام ثمانية وألف

الخطاب الأول للسلطان أحمد المنصور إلى الملكة إليزابيت الأولى حول تدبير عملية الإنزال العسكري في الهند الشرقية والغربية لضرب مصالح اسبانيا تمهيدا لاسترجاع الثغور المحتلة وهو بتاريخ 12 رمضان 1008 =27 مارس 1600.



عبد الواحد عنوب سفير سلطان المغرب أحمد المنصور الذهبي
لدى ملك بريطانيا اليزابيث الأولى (1009-1600)

فعلا حررت رسالة أولى من المنصور إلى الملكة تحمل تاريخ 12 رمضان 1008=27 مارس 1600.

لقد كانت البعثة تتألف من السفير عبد الواحد عنون ومن الحاج ميمون والترجمان عبد الله بودار ومن الحاج الماسي المعروف بتخصصه وخبرته في تقويم الأحجار الكريمة، الأمر الذي زاد في إقناع المهتمين بأن القصد إلى عملية لؤلؤ !!

ولا بد أن نذكر من الآن أنه -تقريباً- في نفس الوقت الذي كانت السفارة المغربية تستقبل من طرف الملكة إليزابيث الأولى في لندن، بعث السفير الإسباني في المغرب خوان دي مارشينا (J de marchena) بتاريخ أول شتنبر عام 1600 إلى دون دي مدينة سيدونية (D M Si-donia) يؤكد أن السفير المغربي عنون راح إلى الشام عبر لندن لشراء الجوهر لسيده المنصور..!

وقد كان يوم 30 غشت =19 صفر 1009 موعداً لتقديم أوراق الاعتماد إلى جلالة الملكة وقد استقبلت السفارة المغربية للمرة الثانية يوم 20 شتنبر من طرف جلالة الملكة في مقر إقامتها

لقد بلّغ الدبلوماسيون المغاربة وبصفة بالغة السرية النوايا الحقيقية لملك المغرب حسبما يكشف عنه البيان الذي أدلى به السفير المغربي عبد الواحد عنون.

ولقد تحدثت الملكة إليزابيث إلى وزيرها طويلا حول مشروع ملك المغرب ! وكانت تتصور مدى فعاليته وهو على مقربة من إسبانيا، وتتصور مدى مساعدته في الهند، وقد عرفت عن بلاء جنده في تخوم إفريقيا. إن المغرب فتح امبراطورية بأسرها في غينيا تحتوي على ست وثمانين ألف قرية، وأن جنوده يتحملون المناخ الصعب الذي يواجههم في الهند...

وحسب المصادر التاريخية المغربية فإن السفير المغربي عبد الواحد عنون ظل يكاتب المنصور الذهبي طوال المدّة بواسطة الطريقة المرموزة : (الشّفرة).

ومن الطريف أن نجد العاهلة الإنجليزية تتجاوب مع العاهل المغربي في موضوع **تعتيم أخبار** هذه السفارة الهامّة، فقد اعتذرت إليه كتابة عن عدم تمكنها من تزويد سفيره بالمركب الذي يقصد حلب نظراً "لموانع خطيرة" كما تقول الرسالة...

وأطرف من هذا أن نجد المنصور -بعد عودة سفارته إلى المغرب- يجيب إليزابيث بخطاب خاص بتاريخ 23 شعبان 1009=27 يبراير 1661 يعرب فيه عن شكره للاستقبال الذي خصصّ لسفيره، بل ويقبل "العذر" الذي أدلت به جلالة الملكة عندما لم تقدم مساعدتها للبعثة المغربية..!

ولكن الموت عاجلت كلا من الملكين فقد توفيت هي في مارس 1603 وتبعها المنصور في غشت من نفس السنة، ومن خلال استعراض سائر الوثائق التي سجلت أثناء فترة تعايشهما نلاحظ أن العاهلين كانا يعتمدان في علاقاتهما على الرسائل المتبادلة أكثر مما اعتمدا على اتفاقية تعقد أو معاهدة تبرم حسب ما جرى عليه العرف بين الدول وهذه طريقة مبتكرة وجديدة !

ومع أن الحالة بالمغرب لم تعد على ما كانت عليه عهد المنصور السعدي، فإن بريطانيا لم تلبث أن استأنفت صلاتها بعاهل المغرب، وهكذا نقف على بعض المراسلات بين جيمس الأول وبين العاهل المغربي الجديد أبي فارس بالرغم من قِصَر مدة حكم هذا الأخير.

... كما نجد مراسلة بين تشيرلي أبي فارس وبين أنطوني تشير لي بتاريخ 10 جمادى الثانية 1014=23 أكتوبر 1605 يرحّب به ويخبره بأنه يبعث إليه من يصحبه إلى مراكش حيث يستقبله بصفة رسمية...

وبعد اختفاء أبي فارس نقف على جملةٍ من المراسلات أيضا بين جيمس وبين السلطان زيدان تناولت عدداً من الموضوعات التي تهم البلدين...

وقد ورد في رسالة للملك جيمس الأول التي حملها إلى المغرب في شهر ماي 1610 جوهن هاريسون (John Harison) ما يشير إلى بعض الأشياء التي يشكو منها التجار الإنجليز في بعض الثغور المغربية، وعلى سبيل المثال ذكر أن بعض التجار عوملوا معاملة سيئة من موظفي الديوانة في أسفي حيث استولي الموظفون على جوهرة ذهبية كانت مع التجار البريطانيين.

وقد ورد السلطان مولاي زيدان على هذه الرسالة بأخرى مؤرخة بثاني محرم 1020=17 مارس 1611 أوضح فيها أن عادة المغاربة معاملة التجارة جميعا بالعدل، وشرح الملابسات المتصلة بموضوع الشكوى والحقيقة حوله فإن التجار البريطانيين في أسفي حاولوا تهريب هذه الجوهرة لكي يتجنّبوا أداء «تعشير الأمناء» ومن المعلوم أن من «أخفى سلعته تكون لبيت المال لأنه سارق» ! وأكثر من هذا فإنهم حاولوا نقل الذهب إلى خارج البلاد دون علمٍ منا بذلك، ومعاذ الله -يقول السلطان- أن يكون بممالكنا -على اتساع مساحتها، ظلم أو يتطرق إليها حيف !!

لقد اتسمت العلاقات بين زيدان وأنجلترا بالتعاون الجادّ من أجل حل المشاكل العالقة والعارضة، وقد احتفظ الأرشيف البريطاني برسالة من شارل الأول إلي مولاي زيدان بتاريخ ما بين 27 مارس و 1 يونيه 1625 يعيد فيها إلى الذاكرة الرسائل المكتوبة سابقاً من قبل جيمس الأول لصالح عدد من الأسرى الإنجليز [1] ويعرب عن الرغبة في أن تستمر علاقات الود بين المغرب وبريطانيا... ويتخلص خطاب شارل إلى طلب اعتماد سفيره جوهن هاريسون الذي عهد له بمهمة خاصة.

وفي أواخر عهد السلطان زيدان كانت الحالة الداخلية في البلاد بلغت حالاً من التدهور بسبب المنافسة المستمرة بين بني المنصور، لقد أصبح المغرب مملكتين : مملكة بمراكش ومملكة بفاس.. ولما لم تكن الدول الأخرى مهتمة بغير ضمان مصالحها نرى بعضها لا يتردد في مدّ يده لكلّ من ظهر نفوذه وصلب عوده في أي جهة من جهات المغرب !

وهكذا نعرف السر في اتجاه شارل الأول ملك بريطانيا أواخر 1626 إلى مخاطبة حاكم سلا-الرباط [2] وإرسال سفيره جوهن هاريسون (John Harison) للتفاوض من أجل افتكاك الأسرى وإقامة علاقات مع زعماء البلاد.

وتتوالى الخطابات والسفارات بين سلا وشارل الأول من أجل المصادقة على "اتفاقية" حتى يمكن التغلب على بعض المصاعب الطارئة، ونجد كذلك من بين المراسلات ما كان بتاريخ 30 يونيه 1629 من عبد الله بن أحمد النّقسيس حاكم تطوان الذي لم يخضع للعياشي حاكم سلا إلا عام 1041=1631 [3].

إن النّقسيس الموالي لمملكة فاس السعدية يحمّل جيل بين (Giles Penn) رسالة لشارل يخبره فيها بأنه يرحب بالإنجليز في ميناء تطوان، وأنه يرسل إليه بهدايا فيها الصقور والخيول الأمر الذي أجاب عنه شارل شاكراً مشجعاً. وطالبا المزيد من الصقور المغربية، وهكذا بعث النقسيس بجملة أخرى من الصقور فيها بعض من أصل رفيع مجلوب من مدينة نبلة (Niebla) الأندلسية [4].

1) الاستقصاء 6، ص. 49.

2) نشير هنا للأسطورة المعروفة (روبانسون كروزي) التي يتحدث صاحبها عن وجود هذه الشخصية ضمن الأسرى الذين قضوا ردحاً من الزمن في مدينة سلا Barbur : Maroc, p. 110.

3) كان سليمان بن يوسف في جملة من كاتبوا شارل الأول من تطوان بتاريخ 30 مارس 1632 باسم العياشي يخبره بمعاملته الحسنة للرعايا البريطانيين وذلك عندما علم سليمان أن شارل كان قد كتب للزعيم النّقسيس قبل تصفيته يوصيه خيراً بالإنجليز.

4) دوكاستري -السعديين الإنجليز سلسلة أولى مجلة III ص 88.

لقد كان شارل يوازن بين القوّى الظاهرة في البلاد... فهو ما يزال يتردد في المصادقة على «اتفاقية» مع حاكم سلا... وهو ما يزال يذكر أن بالمغرب ملكاً من سلالة السلطان المنصور حليف الملكة إليزابيت...

ويتحرك في إيليغ ساحل السوس بالجنوب المغربي [1] زعيم آخر أبو حسون يكاتبه المالك شارل شاكراً له تحرير الأسرى الإنجليز فيجيبه أبو حسون الذي نصّب نفسه نائباً للسلطان هناك، وكان الجواب بتاريخ 8 صفر 1040=16 شتنبر 1630، لقد أخبره بأنه توصل برسالته وأنه بدوره يرغب في تحرير سائر الأسرى المسلمين الموجودين بأنجلترا وخارجها، وأنه في مقابلة ذلك يضمن مصالح الإنجليز الذين سوف لا يتعرضون لأي نوع من الأسر في منطقته طبقاً للشروط المتفق عليها بين أنجلترا والملوك المغاربة المتقدمين...

إن كلّ تلك الاتصالات الإنجليزية بالزعماء الظاهرين لم تغب عن بلاط مراكش الذي كان يحتج عليها باستمرار، وهذا دون شك - ما دعا شارل إلى مفاتحة الوليد بمجرد اعتلائه العرش مهنئاً طالباً تحرير الأسرى أيضا... الأمر الذي أجاب عنه العاهل المغربي بتاريخ 7 جمادى الثانية 1041=31 دجنبر 1931 برسالة إلى شارل ولم يفت العاهل أن يلاحظ -وهو يحتفظ بالأسرى الإنجليز- أن رعايا الملك البريطاني يتحرون مع سيدي علي (أبو حسون) ومع عدد من المتمردين الآخرين، وأن شارل إذا كان يرغب حقيقة في إقامة السلام بين البلدين فإن عليه أن يمنع رعاياه من التجارة في السلاح مع الانفصاليين !

وكانت مناسبة تربع السلطان محمد الشيخ الأصغر فرصة لكي يبعث شارل بالتهاني والهدايا وخاصة بعد أن أقدم الملك الجديد على تحرير عدد من الأسرى الإنجليز حسبما تفيده رسالة من مراكش إلى شارل بتاريخ 101 جمادى الثانية 1046=9 نونبر 1636.

وفي الوقت الذي كان فيه الأميرال ويليام رينسبورو (W Rains borough) يقوم بمهمته مع العياشي حاكم سلا الذي كان يساعده على حصار الأندلسيين [2] كان إيدموند برادشاو على صلة

1) يراجع هنا كتاب جليل ألفه شيخنا الراحل محمد المختار السوسي رحمه الله، تحت عنوان: «إيليغ قديماً وحديثاً» وقد هيأه للطبع وعلق عليه الزميل الراحل الأستاذ محمد بن عبد الله الروداني، المطبعة الملكية الرباط- 1386=1966. وفي هذا الكتاب نقف على علاقات إيليغ مع هولاندا وإنجلترا وفرنسا، ساعد المؤلف في ترجمتها الزميل الراحل الأستاذ أحمد بناني رحمه الله.

2) في إطار المهمة المسندة إلى الأميرال كتب إلى العياشي بتاريخ 25 يوليه 1637 يعرب عن أسفه لكون مفاوضاته مع الأندلسيين لم تسفر عن نتيجة وان هؤلاء يقصدون ربح الوقت حتى يغادر الأسطول مياه أبي رقراق... وأنه يبعث إليه بشخصين ليحيطاه علما بالأحداث، وقد كان مما طلبه إلى العياشي أن لا يسمح بتسريح القراصلة الملتجئين إلى الساحل إلا إذا سرحوا ما تحت يدهم من الإنجليز الأسرى وأنه سوف يقوم بكل ما يراه العياشي ضرورياً متخلصا للقول بأن القوة وحدها هي التي تنفع مع الأندلسيين»!!

مع محمد الشيخ الأصغر، وهكذا نجد رسالةً من هذا الأخير إلى شارل وأنه خصص للسفير الإنجليزي كلّ ضروب الترحاب والتكريم أثناء مقامه بمراكش وأن العاهل المغربي يشجع عودة العلاقات الودية الموجودة بين البلدين منذ القدم، وأنه قد أصدر أمره بتسهيل مهمة التجار الإنجليز كما أصدر أمره بتسوية سريعة للقضية التي يسندها براداشاو أمام القضاء الإسلامي...

ولم يلبث شارل أن عقد اتفاقية مع محمد الشيخ الأصغر بتاريخ ثاني جمادى الأولى 1047=22 شتنبر 1637 تضمنت واحداً وعشرين فصلا [1]. ولتأكيد أواصر السلام بين الدولتين فإنه أي العاهل المغربي بعث بسفارة أخرى إلى البلاط الإنجليزي يكون على رأسها القائد الشهير جوذر بن عبد الله [2] صحبة التاجر بلاك الذي يوصي شارل به خيراً نظرا لما قدّمه من مساعدة للمغرب...

لم تكن سفارة القائد جوذر فقط لتأكيد السلام ولكنها كانت أيضا لمفاتحة أنجلترا في طلب المساعدة البحرية لكي يتمكن السلطان محمد الشيخ من كيْل الصاع صاعين لخصومه الذين يستعينون على التشغيب ضده بالقوّى الأجنبية الموجودة في جزر البحر المتوسط.

ولم تغادر البعثة المغربية لندن إلا يوم 21 مايه 1638 وقد أجاب شارل عن هدايا ملك المغرب بهدايا تتكوّن من عربة وسبعة خيول ورسم للملك شارل وزوجته ماريا بعد أن صادق على الاتفاقية الثنائية.

ثم بعث العاهل في 28 جمادى الثانية 1048=6 نونبر 1638 رسالة يؤكد فيها بدوره مصادقته على الاتفاقية. ويخبره بأنه قد أرسل بعثة إلى لندن برئاسة القائد محمد بن عسكر [3] ليشرح للملك موقف العاهل المغربي من الأطماع المتزايدة على المملكة ويسجل مرة أخرى التزام شارل الأول بمنع المواطنين الإنجليز من الاتجار مع المتمردين على السلطة المركزية.

وتتميماً للحديث عن العلاقات البريطانية تذكر أنه عندما نحى الشيخ العياشي عن الحكم بتاريخ 9 محرم 1051=21 أبريل 1641 من طرف حلفائه السابقين من الدلائيين بحجة أنه أهدر دماء الأندلسيين عند ذلك سعت أنجلترا لعقد اتفاقية مع زعيم الدلاء المرابط محمد الحاج الذي أمسى صاحب الكلمة في فاس وسلا وتطوان، كانت الاتفاقية شبيهة بالاتفاقيات السابقة مع سائر الذين "أهلوا أنفسهم" لعقد الاتفاقيات من الزعماء الظاهرين...

1) التاريخ الدبلوماسي للمغرب،8-215-217.

2) S.I.H.M. Angle, T. 3, p. 14, Rogers, p. 32.

3) S.I.H.M. Angle, T. 3, p. 14, Rogers, p. 823.

علاقات مملكة المغرب مع دوقية الطوسكان

وقد وقفتُ في أرشيف الدولة بفلورانسا على بعض الآثار التي تدل على وجود صلات بين الدولة السعدية وبين دوقية فلورانسا التي أخذت منذ عام 1569 اسم الذوقية الكبرى للطوسكان...

وهكذا عثرنا -من بين الوثائق العديدة التي لها صلة ببلاد المغرب- على رسالتين اثنتين مرفوعتين من حاضرة فاس إلى كراند دوكة دي تُسكانة فيردينان الأول.

الأولى تحمل تاريخ ربيع الأول 1013= غشت 1604 أي بعد سنة من تمكّن أحد أبناء السلطان أحمد المنصور من مدينة فاس، ونعني به مولاي محمد الشيخ الملقب بالمامون

والثانية تحمل تاريخ أواخر جمادى الأولى 1013= أكتوبر 1604... أي بعد نحو من شهرين على الرسالة الأولى، وهي كذلك محررة بالعاصمة فاس...

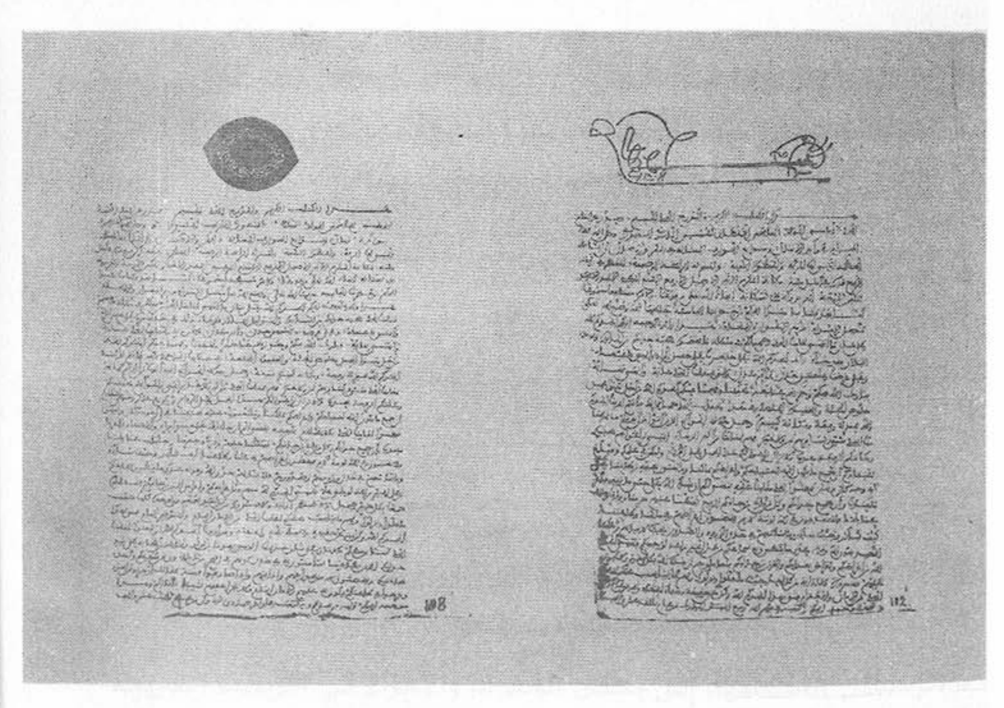
وقبل أن نعرف عن موضوع الخطابين النادرين نحب أن نشير إلى الأهمية البالغة لهما بالنسبة لتاريخ الفترة الدقيقة للبلاد التي شهدت تنافس أبناء المنصور على الحكم، والتي لم يكن أحد يعرف، -على ما يبدو -عن الصلات المبكرة للشيخ المأمون بدول الحوض المتوسط بالرغم من الأحوال التي كانت تعانيها البلاد.

ومن قراءة الرسالة الأولى يظهر أن الذوق الكبير لطوسكانا بعث يهنئ الشيخ المأمون بجلوسه على كرسي الحكم بفاس في أعقاب وفاة والده، وقد صحبت هذه التهنئة طائفة من الهدايا

الثمينة التي هي من اختصاصات الإقليم، موائد من العود الرفيع، وجرار من أواني البلأر (الكريستال) الذي عرفت به المنطقة فالعاهل المغربي يشكر الذوق الكبير على هداياه التي كان لها وقع كبير لدى المأمون...

أما عن الرسالة الثانية فعلاوة على أنها في شقها الأول تجدد الشكر والامتنان لذوق طوسكانا الكبير... إلا أنها مع ذلك تكشف لنا عن بعض المعلومات الجديدة، ويتعلق الأمر بطلب إعطاء «التأمين» لأحد رعاياه اليهود يحمل اسسم يهوذا لولو مع ثلاثة من أصحابه...

والمهم أن نعرف أن العاهل المغربي يطلب أن يصله ذلك «التأمين» بالطرق الدبلوماسسية «على يد خُدَّامكم الذين يمثلونكم في بلادنا» وكان الغرض من طلب هذه «الحماية» ضمان تحرك المبعوثين المغاربة في حال كونهم في البحر من قرصلة قد تهددهم من سفنكم وأهل طاعتكم...[1]».



رسالتا ملك فاس إلى حاكم فلورانس

1) د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب 8، 234.

الفصل السادس

علاقات المملكة المغربية مع باقي ممالك إفريقيا

- موقف المغرب من الوجود العثماني في افريقيا
- التنافس بين الممالك في افريقيا الغربية
- استقبال سفير ملك بورنو في بلاط فاس
- محاولة أحمد المنصور مع امبراطور كاغو
- توالي الرسائل بين المملكتين الافريقيتين : المغرب وكاغو
- المنصور يثير أمام مجلس الشورى قضية وجود "العجم" في المنطقة !
- تجهيز الأسطول السعدي للتوجّه نحو ما وراء الصّحراء
- بين تقرير ميلتشيور بيطوني وجواب المنصور السعدي
- الرسائل الأخيرة قبل الصدام
- حديث التاريخ عن نهاية امبراطورية سنغاي
- الرسائل السعدية إلى بعض الملوك والأمراء في افريقيا الغربية

علاقات المغرب ببلاد السودان

كان في الإمكان أن تظل صلات المغرب الأقصى بممالك السودان على نحو ما كانت عليه أيام بني مرين وبني وطاس من بناء الأمر على ما عهدته من تبادل البعثات الدبلوماسية والابقاء على الجسور الودية لولا أن حدثاً هاماً جد على الساحة، ونعني به ظهور العثمانيين الذين أنسابوا في المنطقة في محاولة لتحقيق مكاسب أكثر.

ويخطئ تاريخياً من يعتقد أن هدف الأتراك كان يقتصر في افريقيا الشمالية على السيطرة على السواحل المتوسطية فقط، فقد كانوا يخططون - وهذا ما تؤكده الوثائق - للتوغل داخل الممالك الافريقية وبالتالي للوصول الى الساحل الأطلسي حيث يصبح المغرب الأقصى مطوقاً فيسهل امتلاكه !

ولكن السعديين بقدر ما كانوا مهتمين بدرء الخطر الأروبي عن السواحل الشمالية والسواحل الغربية بقدر ما كانوا أيضا مهتمين بالوجود العثماني في الجزائر وتشوفه للمغرب الأقصى ومن هنا نعرف جيدا عما كان يجيش به صدر المنصور من قطع الطريق على غير الأفارقة.

إن استراتيجية هذا البطل الافريقي : المنصور الذهبي وإن حنكته السياسية، ومصارعته للدول الكبرى التي كانت تعاصره ما تزال تحتاج إلى دراسات عميقة فلقد استطاع الرجل أن يصانع ملكة إنجلترا حقبةً من الزمن ولكن من دون ما أن يُرضى مطالب ملك إسبانيا الذي كان يتربّص الفرصة بالمغرب، واستطاع مع ذلك أن يحتفظ بصداقته لتركيا وحليفتها فرنسا. واستطاع مع هذا

وذاك أن يفتح صدره لهولاندا وهي تصارع من أجل بناء استقلالها... واستطاع قبل هذا أن يكسر شوكة أكبر امبراطورية عرف التاريخ عنها شرقاً وغرباً ونعني بها البرتغال التي انهزمت أمام السعديين في أضخم موقعة تحدث عنها العالم كله موقعة وادي المخازن...

ومن جهة أخرى فإنه لم يكن ليغيب عن علم السعديين ما جدّ من أحداث في مملكة سنغاي التي طالما نافسته في ممالح الصحراء، وكانت في نظره مصدر ذهب السودان، وخاصة عندما استولى على الحكم الأمير محمد بن أبي بكر توري[1] (1493-1528) الذي أصبح يحمل عند المؤرخين (أسكية الحاج) والذي قام عام 902 = 1496 بأداء مناسك الحج فحصل على تقليد «الإمارة» من لدن «الشريف العباسي» الذي كان يعيش بمصر في خريف ما كان يسمى بالخلافة العباسية ! يقول السعدي في كتابه تاريخ السودان : «ولقي في تلك الأرض المباركة الشريف العباسي فطلب منه أن يجعله خليفته في أرض سُغَيْ فرضى له بذلك، وجعله خليفته وجعل على رأسه قلنسوة وعمامة من عنده».

لقد كان ذلك «التقليد» الذي توارثه ملوك سنغاي، في نظر السعديين تقليدا من الأتراك وليس من العباسيين الأشباح ! وبالحرى فإنه يعني التهديد بتسرب عناصر عجمية دخيلة إلى منطقته من خارج إفريقيا!

وأكثر من هذا فقد تناهى إلى السعديين أن امبراطورية سنغاي واصلت الاتصال بممثلي العثمانيين أنفسهم سواء في مصر أو مكة بمناسبة موسم الحج، ألم يتحدث القلقشندي في (صبحه) عن الأتراك الذين استُقدموا من مصر وكانوا يقومون على حراسة سلاطنة سنغاي [2]... وبالرغم من أن أرشيف اسطامبول ما يزال في طريق الترتيب والجرد فإن بعض المصادر المغربية تتحدث عن اتفاقية حلف بين سنغاي وتركيا أثناء وجود بعثة من الأولى باسطامبول حوالي 988 = 1581 أيام أسكياداود...

1) توري تعني الانتساب لمذهب أهل السنة المالكية على ما عرفناه عند الحديث عن ابن بطوطة في إفريقيا السوداء، رحلة ابن بطوطة، تحقيق عبد الهادي التازي، نشر أكاديمية المملكة المغربية.

2) Zakari Dramani-Issifou : L'Afrique Noire dans les relations internationales au XVIe, Siècle (Analyse de la crise entre le Maroc et Sonrgaï, éd. Karthala, Paris, 1982, p. 129-130.

على أن هناك إفادات أخرى تدل على تخوف مملكة بورنو (صديقة المغرب) من سطو امبراطور سنغاي - وهو حليف تركيا - من جهة، وتهديد القبائل المجاورة التي اعتنقت المسيحية في أعقاب النزول البرتغالي بالمنطقة منذ 1471 = 875 - 6 وهو الأمر الذي يؤكده تغيير مملكة بورنو لموقفها وتطارحها بدورها على الباب العالي خوفاً على نفسها بل وإرسال سلطانها الحاج إدريس إلى السلطان مراد الثالث طالبا للمدد العسكري..!

فعلا راحت بعثة 984 = 1576 من الحاج ادريس ملك بورنو إلى اسطامبول تحمل رسالة إلى الباب العالي أجاب عنها هذا الأخير برسائل احتفظ أرشيف اسطامبول ببعض مبيضاتها العربية والتركية وهي بتاريخ : 5 ربيع الثاني 985 = 23 يونيه 1577 وقد عهد إلى مرعى تونس بتسليمها إلى بورنو[1] .

ومع هذا فإننا لا نغفل هنا الحديث أيضاً عن حركة السلطان (الحاج إدريس) ملك بورنو بإرسال سفارة «استطلاع» من لدنه إلى العاهل المغربي سنة 990 = 1583 في أعقاب تلك الاتصالات مع العجم !

وقد خصصت المصادر التاريخية المغربية المعاصرة فصولاً طويلةً عن مقدم السفارة وعن الاستقبال الضخم الذي خصص لها مما يبرر انشغال المنصور ورغبته من جهة في أن يترجم لملك بورنو الحاج ادريس عن مركز الخلافة بالمغرب بما تتوفر عليه من ترتيبات وإمكانيات وشعارات.

ولنفتح الآن كتاب «مناهل الصّفا» لأبي فارس الفشتالي وزير المنصور السعدي لنقتبس منه هذه الإفادات ممزوجةً ببعض الإيضاح : «ثم وصل في ذي الحجة من عام 990 = يناير 1583 رسول صاحب مملكة بُرنو من ملوك السودان وجلب في هديته ما جرت عادتهم أن يجلبوه في مهاداتهم من فتيان العبيد والإماء المختلفة الأعمار، وكان من ذلك عدد كثير ناهز المئين... وافى أمير المومنين المنصور أيده اله بمعسكره على رأس الماء من ناحية فاس، على مقربة من الزاوية المتوكلية، وكان يوم سلامه يوماً مشهوداً حسناً وفخامة، وأبهةً وجلالة، وجلس لهم أمير المومنين أفخم جلوس بالقبتين التوأمتين المضروبتين أمام السياج... ونودي على الرسول الذي اتجه يخترق السماطين حتى أنزل بالديوان، وكان الملأ من أكابر الدولة وصدور المملكة جلوساً به، وكرسي الإمامة وسرير الخلافة منصوب به وخشعت القلوب والأبصار فجلس الرسول هناك مليّا، ثم سلك به

1) الاستقصا 5، 126، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص. 122.

على سبيل الترقي إلى القبة العربيـة فتلبَّث بها ريثما بلغ الإذن الكريم بإيصاله إلى مقر الامامة الكريمة العلية، فسلك به إلى التوأمتين... فمثل بين يدي أمير المومنين وشرف النظر إلى طلعته السعيدة والاقتباس من أنوارها النبوية فأدى الرسالة وقضى فرض التهنئة وسنة الهدية، وأعرب عن مقاصد مرسله في الاعتراف للامامة الكريمة...

ثم سير به إلى معسكر ولي عهد الخلافة العلية أبي عبد الله محمد الشيخ وكان لصق معسكر أمير المومنين والده أيده الله فأشرف الرسول على دنيا أخرى وأبهة مدهشة ومثابة هائلة، فوقف الرسول موقف الحيرة، واستدرج إلى أن وصل لولي العهد، وقد قعد له بفسطاط جلوسه أفخم قعود فحيى وفدى وهنَّا... وانصرف إلى موضع منزله ودار كرامته بالقصبة من فاس : البلد القديم فاستدر عليه من النعم ما لم يكن في حساب.

وكان من أغراض الرسالة التي أنفذه فيها سلطانه - يقول الفشتالي - طلب المدد من أمير المؤمنين بالعساكر والأجناد وعدة البنادق ومدافع النار لمجاهدة من يليهم، زعموا، بقاصية السودان من الكفار...

وكان الملك الحاج ادريس قد أوفد من قبل ذلك رسوله هذا على سلطان بلاد الروم والمشرق (تركيا) ووصل إلى حضرته بالقسطنطينية يسأل منه الإمداد بما طلب فأخفق لديه مسعاه وردّه خائباً فأوفده إدريس إذ ذاك على أمير المؤمنين يشحذ منه أجناده الإمامية بالمغرب...

وقد عاد السفير إلى بلاده يحمل معه هدايا من عتاق الخيل وخلعة شرفه منها بالملابس النبوية...

ولما وصل الرسول وألقى المعذرة إلى سلطانه استأنف الهدية وأعرب إذ ذاك عن قصده ومراده، وورد الرسول ثانية إلى الأبواب العلية المشرفة فوافى أمير المؤمنين بحضرته العلية مراكش دار الخلافة، فأزاح اللبس وبيّن الغرض فصدع له أمير المؤمنين بكلمة الحق وطالبهم بالمبايعة له والدخول في دعوته المباركة النبوية على أساس الشرع وأوثق قواعد الإيمان... وقرر لهم أن الجهاد الذي ينتحلونه ويظهرون الميل إليه لا يتم لهم فرضه ولا يكتب عمله ما لم يستندوا في أمرهم إلى إذن من إمام الجماعة الذي اختص الله اليوم أمير المومنين بوصفه الشريف ومفضله على جميع أولى الأمر والسلطان من ملوك الأرض بالنسب القرشي الذي هو شرط في الخلافة بإجماع علماء الإسلام... وعلّق لهم، أيده الله، الإمداد على الوفاء بهذا الشرط فالتزمه الرسول... عن سلطانه

بالقبول والإجابة، فودع وانصرف يحمل معه نص المبايعة المقترحة على عاهل مملكة بورنو، التي أنشأها الكاتب أبو فارس برغبة من السفير نفسه خوف الإخلال ببعض شروطها وقد قرئت البيعة عليهم وفهموا معناها وأجابوا عنها بإعطاء البيعة والدخول في الطاعة ولزوم حزب الجماعة.

وما لبث أن عاد السفير ثالثة يحمل الهدية والرسالة وخاض القفار لدار الخلافة، لكن المنية أدركته وهو في تيكورارين في طريقه إلى المغرب. وهناك بعث أولوا الأمر بالهدية صحبة رفقاء السفير فوصلوا بها أواخر عام 991 = 1583 إلى حضرة أمير المومنين بمراكش يحملون معهم كذلك مصادقة ملك بورنو على البيعة للعاهل المغربي...

وهنا نرى من الفائدة لموضوعنا أن نذكر ما ورد في مخطوطة إسبانية معاصرة للأحداث مجهولة المؤلف نشرها الكونط دوكاستري [1] حول قيام الأتراك بشن هجوم عنيف على مملكة بورنو عن طريق مصر من أجل احتلال تلك المملكة، ورغم أن المصدر المذكور لم يتعرض لتاريخ هذا الهجوم فإن الأمر يدل على أن الأتراك كانوا سائرين في مخططهم للتوغل في افريقيا الغربية... وقد ذكرت المخطوطة المشار إليها أنه لم يقهر الأتراك سوى العطش وسوى مقاومة بورنو الضارية، ومع هذا فإن المصدر يؤكد أن طائفة من المنهزمين استسلموا لملك بورنو الذي أكرم مثواهم وأدخلهم في خدمته حيث كون منهم فرقة كانت درعاً لبلاده التي كانت تتاخم بعض المعادية له !

لقد كانت مملكة بورنو أمام عدد من الاختيارات فأما أن تسير في ركب العثمانيين الذين أرهقوها بفرض الأتاوات، وإما أن يستسلموا أمام حملات القبائل المجاورة وإما أن يقبلوا شروط امبراطورية سنغاي التي كانت تطمع في ضم جميع الأقاليم إلى حكمها، وإما أن يتحالفوا مع بطل وقعة وادي المخازن...

وهكذا تم اختيارهم على مصادقة المنصور وإخلاص الود له، الأمر الذي اشتهر ببلاد المغرب على ما نلاحظه أيضا في الرسائل المرفوعة إلى المنصور من بعض عماله من الجنوب[2].

وفي أثناء الاتصالات المغربية مع ملك بورنو كان المنصور يخطط أيضا لإقناع امبراطور (كاغو) لا سيما والأيام تثبت على التوالي تضاعف أطماعه التوسعية ومدّ للأتراك !

1) يرجح الكونط دوكاستري أن يكون المحرر لهذه الوثيقة أحد الدبلوماسيين المعتمدين لدى البلاط السعدي من أمثال باثالزار (Bathalzar) قنصل فيليب الثالث.

De castris: la conquete du Soudan par Elmansour 1591
Hesp: T III année 1923 Tremeste P: 475-476

2) عبد الله كنون رسائل سعدية، ص. 86.

وقد أوعز المنصور في هذه الأثناء وبالضبط سنة 992 = 1584 بإرسال الشيخ منصور بربيش الفلاني المعروف بخبرته الجيدة برجال تلك المناطق ودروبها ومسالكها، راح في الظاهر بقصد التجارة ولكن هدفه كان استمالة العناصر التي لم تكن على اتّفاق مع وجهة النظر السعدية! وخاصة منها التي تتصل بأسرة أسكيا ذاتها [1]، وقد صمد الشيخ منصور أمام مختلف الامتحانات طوال ثلاثة أعوام إلى أن اختفي أسكيا الحاج محمد في شهر ذي الحجة 994 = نونبر 1586 حيث تدهورت الحالة السياسية والاجتماعية في سنغاي، الأمر الذي بلغ على التوّ إلى المنصور .. وهكذا كتب إلى أسكيا إسحاق الثاني المعترف به سلطانا على البلاد سنة 996 = 1588 حول مملحة تغازّى مطالبة بتعويض مثقال عن كل حمل ينقل من المملحة إلى السودان لمعونة الجيش الإسلامي بناء على فتوى العلماء حول استغلال المعادن... فكان جواب إسحاق الثاني إرسالية تنذر المنصور !

وهنا جمع أحمد المنصور كبراء البلاد ليكشف لهم عن نواياه في السودان... إن ضم السودان يعني تقوية الجيش الإسلامي.. وهكذا طرح قضية عدم استحقاق إسحاق للقب الخلافة لأنه ليس من قريش!!

وقد كان جواب أعيان البلاد يتلخص في إبراز المصاعب المادية من بعد المسافات وقلة الماء والزاد... إن المرابطين والموحدين وبني مرين لم يستطيعوا تذليل تلك الصعاب، على ما ينقله الرواة، لكن المنصور استطاع أن يقنعهم بأن مخاوفهم مبالغ فيها!! إن المرابطين والموحدين وبني مرين كانوا مشغولين في مواجهة خصوم الإسلام في الأندلس! وفي مقاومة الحركات الانفصالية في شرق المغرب... أما اليوم فإن الإسبان يتمكنون من الثغور، وإن الأتراك يحتلون تلمسان!!

وتتحدث رواية أخبار السودان للسعدي عن المسمى ولد كِرِنْفِل (Ould Kirinfil) على أنه رجل من خدام أمراء سنغاي، غضب عليه الأمير أسكيا إسحاق بن داوود فبعثه إلى تغازى برسم السجن هناك، وهو من بلادهم الذي في ملكهم وحكمهم فكان من قدر الله وقضائه انطلاقه من ذلك السجن، وهروبه إلي مدينة حمراء مراكش... وإخباره المنصور بأهل سنغاي وبما كانوا عليه من الأحوال الذميمة والطبائع الرذيلة مع ضعف القوة، وحضه على أخذ الأرض من أيديهم [2]...

1) الفشتالي : مناهل الصفا، تحقيق عبد الله كنون، بمساهمة المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبعة المهدية 1384 = 1964 تطوان ، ص 56/55.
2) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج. 8، ص. 241.

مهما يكن فلقد قام المنصور بإرسال سفارة جديدة إلى السلطان إسحاق تحمل خطاباً إليه حول مقدم «أخي» أسكيا إلى بلاد المغرب مستجيراً مستصرخاً. كما تحمل إليه نسخة من ملتمس «الأخ» المذكور للعاهل المغربي، وفي هذه الرسالة يذكر العاهل المغربي سلطان سنغاي بالدور الذي ينبغي أن تقوم به مملكته كترس حصين يحفظ السودان من طواغيث الشرك، وحررت هذه الرسالة بفاس، وقد حملت البعثة رسالة ثانية ودية يجدد فيها المنصور دعوته لإسحاق من أجل جمع كلمة المسلمين...

وكان قصد المنصور على ما يتأكد الوصول إلى تفاهم «من غير كبير كلفة ولا إعمال حركة» على حد تعبير الفشتالي.

وقد وصل المبعوث المغربي إلى كاغو في شهر صفر 998 = 10 دجنبر 1589 - 8 يناير 1590 حيث سلم المستندات التي يقول السعدي في تاريخ السودان : إنه رآها .رؤيا عين بما فيها ملتمس «ولدسكية» كما يسميه صاحب المناهل أوولد كِرِنْفِل كما يقول صاحب تاريخ السودان... (1)

ولم تكن هذه الخطابات هي الأخيرة التي طيّرت إلى امبراطورية سنغاي، فقد احتفظ التاريخ بعدد من الرسائل التي تنم عن الأمل الذي كان يساور المنصور في الوصول إلى حلّ آخر غير الحرب.

وقد كان جواب إسحاق على سفارة المنصور ورسائله... سبباً في وصول التوتر إلى قمته، وهكذا فعلاوة على تسويفه للرسول ومما طلته تعمد أن يبعث للمنصور بجواب شديد اللهجة على ما يقول «تاريخ السودان» ومع هذا الجواب كذلك هدية ترمز إلى المواجهة، وهي عبارة عن حراب سودانية تستعمل في حروب الأدغال كما كان من ضمن الهدية المحمولة للمنصور نعلان من حديد إشارة إلى القيد..!!

لقد اشتط المنصور غضباً من جواب إسحاق ... وهنا كانت دعوة «مجلس للشورى» من سائر أطراف المملكة الخلافية «جمع فيه الملأ من طبقات الأجناد وذوي الحل والربط وأولي البصيرة والحنكة وخبرة الأمور لم يستثن مُشَارٌ إليه ولا مشاور»(2).

1) السعدي : تاريخ السودان ص 157-156 .
2) الوفراني : نزهة الحادي ص 90.

وقد تبين للمنصور من خلال استشارته أن الرأي العام يتلخص في معارضة المغامرة بالجيش المغربي في تلك المجاهل والقفار، على نحو ما كان من المجلس بالأمس.

وقد أسهب المنصور في ذكر ما يتوفر عليه الجيش من استعداد حربي كامل يجعله على ثقة من نفسه... متلخصا إلى قضية جد هامة تستحق الوقوف عندها طويلا ولو أن بعض المؤرخين مرّوا عليها مرّ الكرام بينما هي حجر الزاوية في نظرنا...

إن المنصور، وهو يعرف أكثر من غيره عن «الوجود الأجنبي» الذي أخذ يستفحل في افريقيا... كان يعلل نظريته بأن الممالك الافريقية لم تكن معرضة بالأمس لاستغلال خارجيّ أو تهديد أجنبي، أما اليوم ... فإن وجود عنصر دخيل بتلك الجهات المجاورة له يعني تهديد المغرب واستنزافه وبالتالي الإجهاز على تلك الممالك بالغرب الإسلامي وهذا ما يقصده بقوله للعلماء :«والأقاليم الافريقية والأندلسية قد شغلت لهذا العهد بمن استولى عليا من العجم..[1] فصرف الوجهة لأصقاع الجنوب وممالك السودان أحق وأولى بالتفاف العزائم، فهي وإن كانت أصعب مراماً فإنها أغزر نفعاً للاستكثار من الأسطول لغزو عدو الدين والإجلاب عليه في عقر داره حسبما هو مبنى النية الصالحة... »

وهكذا راجع مجلس الشورى موقفه فزكي رأي العاهل فيما إليه يقصد... وصدرت الأوامر باتخاذ الاستعدادات اللازمة بما في ذلك إعداد المراكب والأساطيل وما في ذلك صدور الأوامر بحفر المئات من الآبار واقتناء المئات من الدواب وصنع آلاف القِرب وبعشرات الأحواض المتنقّلة [2].

ونفضل قبل الاستمرار في الحديث عن الاستعدادات - أن نقف عند حديث المنصور عن «الوجود العجمي» في الأقاليم الافريقية على حد نقل الفشتالي وهو شاهد عيان... فماذا كان يقصد بالعجم؟ إن سياق الحديث يوحي بأنه يقصد إلى إسبانيا وارثة البرتغال بعد وقعة وادي المخازن، ولكن الذين يعرفون لغة المنصور ويعيشون معه صراعه الظاهر والخفي مع العثمانيين لا يسعهم أن يتجاهلوا أن القصد إلى الأتراك أيضا..!

1) الفشتالي : مناهل الصفا ص 128 مطبوعات وزاة الأوقاف 1972.
2) الأحواض المتنقلة تعني صهاريج مصنوعة من جلود الأبقار والجمال يخاط بعضها ببعض وتملأ بالماء لسقي الدوابّ فكأنها تشرب من صهاريج...

وحتى نضع أنفسنا في الجو .. ينبغي أن نشير هنا إلى وثيقتين اثنتين : الأولى : التقرير الذي رفعه ميلتشيور بيطوني (Melchior Petoney) من جزيرة أرگين (Arguin) جنوب الرأس الأبيض إلى دون ميكيل دي مورا (Miquel de Moura) كاتب الدولة في ليشبونة بتاريخ 20 يناير 1591 حول التجارة السرية المزدهرة من داخل القارة الافريقية....

هذه المدن تدعى Couton وأخرى Xonigeton كما أن هناك مدنا أخرى Tubguer وAzegue وAmader وQuaherque وكذلك بلدة Farao. وهذه المدن كلها عامرة وكبيرة ويقطنها سكان أغنياء من المدن، كما أنها غنية بأنواع كثيرة من المواشي وبالشعير والتمر. وتوجد هنا كميات وافرة من الذهب فوق الرمال بجانب الأنهار إلى درجة أن السكان المذكورين من المدن يحملون هذا الذهب شمالا إلى مراكش وجنوبا إلى مدينة تُنْبُكْتُ Tombuto في بلاد الزنوج، وفي مدينة تقع على بعد 300 فرسخ من مملكة Dorha (ادرار؟) وهذه المملكة هي على بعد 60 فرسخا من هذه الجزيرة ومن حصن Arguin.

لذلك أتوسل إلى جنابكم أن تطلعوا صاحب الجلالة على كل ذلك، لأن المدن والقرى المذكورة ليست أبعد من سفر عشرة أيام من هنا. وأنني أتمنى من كل قلبي لو استطاع صاحب الجلالة أن يرسل تاجرين أو ثلاثة لكي يطلعوا على حالة البلاد ووضعها ويسافروا إلى المدن المذكورة ويتعرفوا على مدى ثروتها التجارية. فأي رجل يستطيع أن يسافر بأمان من تلك الأماكن. وهكذا، ودون أن أزعج عظمتكم بالمزيد من التفاصيل، استسمحكم عذرا لإنهاء رسالتي.

حرِّر في جزيرة وحصن أركين (Arguin) في 20 يناير 1591.

خادم عظمتكم

Melchior Petoney

وبعد هذا التقرير التي لا تخفى دلالته نشير إلى الوثيقة الثانية وهي عبارة عن رسالة فريدة بعث بها المنصور إلى إحدى الشخصيات السامية المسؤولة في الباب العالي نرجح أن تكون السلطان مراد، وهذه النسخة رغم أنها لا تحمل تاريخاً ورغم أنها تعبر عن الأشخاص بلفظ (فلان) وعن المدينة بلفظ (كذا) إلا أننا نستشف من ثناياها أنها تتعلق بتحرك المنصور عبر جنوب الصحراء في اتجاه بعض بلاد السودان!!

إن الأمر يتعلق بشكاية رفعت إلى الباب العالي «من جهة بلد كذا » ويتدخلٍ من أسطانبول لدى المغرب، حيث نجد السلطان المنصور يجيب بهذه الرسالة التي أوردنا نصها الكامل في المجلد الثامن للتاريخ الدبلوماسي للمغرب.

وهذه الوثيقة أيضا مما يكشف عما كان يقصده السلطان أحمد المنصور بكلمة (العجم) الذين يحتلون الديار الافريقية كما يكشف عن مدى اهتمام العثمانيين بالموضوع بل وتدخلهم بصفة مكشوفة في الشؤون الافريقية..!

ولقد فضل المنصور قبل إعطاء الإذن الأخير للجيش أن يبعث بخطاب إلى قاضي تنبكتو الشيخ عمر بن محمود بن عمر المسموع الكلمة في أجيال السودان أملاً في أن يصل إلى حلّ سلمي مع السلطان إسحاق، شوال 998 = غشت 1590 [1].

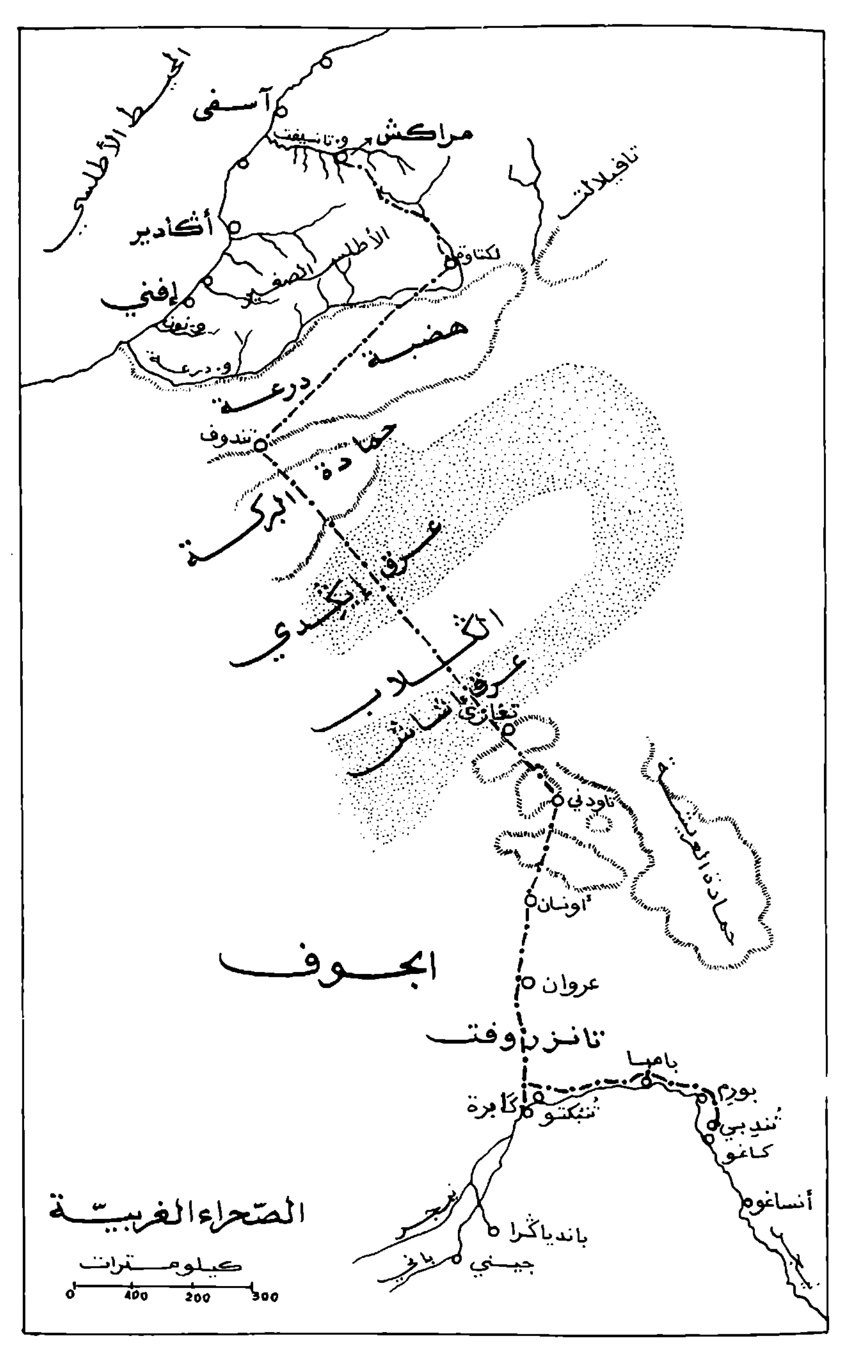
ولكن رسالة المنصور بقيت دون جواب وهكذا عهد بقيادة الجيش إلى القائد جؤذر باشا..وكان يوم الإثنين 16 ذي الحجة 998 = بقيت 16 أكتوبر 1590 موعدا لاستعراض الجيش الذي كان يتوفر على عدد من القواد.

وقد غادر الجيش الحضرة العلية في صدر المحرم عام 999 اكتوبر 1590 وسار على وثيرة الانضباط على ما يحكي الفشتالي ...وبعد أن خيموا بأصقاع درعة استقبلوا الصحراء يوم 24 صفر 999 = 22 دجنبر 1590 مستعينين بالبوصلة...على خطٍّ فصل الكلام عنه الكونط دوكاستري في بحثه عن فتح المنصور للسودان [2].

وقبل أن يصطدم الجيشان بعث القائد جؤذر إلى السلطان إسحاق برسالة يتوسل إليه أن يفكر في عروض المنصور ويتجنب إراقة دماء لا مبرر لها لكن مستشار السلطان فهم من هذا أن محاولة جؤذر تنم عن خوف وشعور بالهزيمة، وهكذا رفض إسحاق سائر ما جاء في الرسالة...

وكان الصدام المؤسف على بعد ثلاث مراحل من (كاغو) يوم 16 جمادى الأولى 999=13 مارس 1591 على ما يقول الفشتالي بينما تم اقتحام العاصمة يوم 20 رجب (13 مايه) حيث استقبله خطيب جامع العاصمة الشيخ محمد دارامي وحيث أعطى القائد جؤذر أمرا صارما باحترام أصحاب البلاد وبإعدام كل من سولت له نفسه الوصول إلى ممتلكات السكان.

1) د. التازي : التاريخ الدبلوماسي ص :256
2) Hesp 1923 P 446



_._._. طريق الجيش المغربي من مراكش إلى كاغو 999 هـ = 1591 م حسب دوكاستري

وبعد محادثات بين الجانبين كان المفاوض المغربي فيها القائد أحمد بن الحداد العمري تم الوصول إلي مشروع اتفاق مشروط بقبول المنصور. إن إسحاق يعترف بسيادة المنصوروقد توجه علاوة على هذا بهدية إلى المنصور تشمل على « عشرة آلاف مثقال ذهبا ومائتي من الرقيق والتزم له بأداء مبلغ من الودَع الذي كان السكان هناك يستعملونه كعملة...

وبمقتضى الاتفاق الموقت انسحب الجيش المغربي في بداية أبريل 1591 من كاغو في اتجاه تنبكتو التي دخلها يوم 6 شعبان 999 = 30 مايه 1591...

وفي نفس هذا اليوم كان القائد على العلمي مبعوث جوذر إلى المنصور قد وصل إلى مراكش يحمل معه مشروع الاتفاق المشار إليه كما يحمل أخبار انسحاب الجيش من كاغو...! وخلال انتظار جواب المنصور استمر القائد جؤذر في استعداداته في إنشاء السفن وبناء المراكب لاقتحام وادي النيجر في حالة رفض الملك لعروض سلطان كاغو على ما نقرأه في الظهير السعدي...

وفي هذه الأثناء تقلد محمود بن زرقون قيادة الجيش عوض حؤذر ..وكان محمود معززا بقائد كبير كان المنصور أسند له من ذى قبل استرجاع إقليمي توات وتيكورارين، هو القائد حمو بن بركة.

وفي هذه الأثناء كان أمبراطور سنغاي بعد العدة. للكرة على الجيش المغربي !

ولكن القائدين محمود باشا وابن بركة كانا بالمرصاد متتبعين - تساعدهم قطع الأسطول القوى - آثار إسحاق وراء نهر النيجر ...حيث فر عنه أشياعه بمن فيهم أخوه محمد كاغ الذي تطارح على قواد الجيش المغربي مظهرا أنه لم يكن على اتفاق مع أخيه إسحاق.

وقد فضل أمبراطور كاغو أن يلتجيء إلى مملكة وثنية مجاورة دون أن يرضى بالاستسلام أمام عساكر أحمد المنصور لكن تلك المملكة لم تلبث، وقد خافت على نفسها أن أقدمت على تصفية إسحاق !.

ومن جهة أخرى فقد تأكد أن الأمير محمد كاغ الذي كان قد تظاهر بمشاقة أخيه إنما كان يراوغ من أجل الإجهاز على محمود باشا الذي كان يحسب لذلك ألف حساب!.

لقد كان محمد كاغ اغتنم فرصة صدور الأمر بشمول الأمان لسائر السكان بعد مصرع أخيه فالتمس من قواد الجيش المغربي التنازل عن الأسطول الذي غنمه السعديون من السنغائيين بحجة

الحمد لله وحده — والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

هذا الظهير الكريم يبر رفع للجهاد أعز منار واستل للأعداء أعز الله عضبا ماضي الغرار وهيأ للجواري المنشآت
تبحر البحار أصدره عبد الله تعالى أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين أبو العباس المنصور
ابن أمير المؤمنين محمد الشيخ بن أمير المؤمنين محمد القائم أيد الله تعالى أمره وأعز نصره للفقيه الأجل الأحظى
الأرضى الجامع الأوجه الأكمل أبي سالم إبراهيم الشطر ولما كان ممن علمت كفايته واشتهرت في الجهاد
عنايته وأربت في البر والبحر على الغايات غايته ولحاكمت بتصاريف ذوات الألواح والدسر
درايته رأى أيده الله أن يقلده قيادة الأسطول ويفضي به لو كتيبه الجهادية ديمة المعقول
ويسند إليه رياسة الفكايع والشواني ويحكم زمامها من بيده الحازم اليقظ الذي لا يلم به
الكسل والتواني فليقم بما قلده أعلى الله قدره وعمره الخير والبركة في كل ما توجه إليه عزمه ويهمم
على العمارة البحرية والفكايع الجهادية وليستعد لذلك بما لا بد منه من الحجر والمها والكفاية
التي يستمد منها القاري المنتضي علما بما يقتضيه من أيه الثواب ومنا من يد العزيز ومن ...
الرضى وإنا لنسأل الله له توفيق الأعمال والبلوغ في هذا الظهير الكريم إلى أقصى مراتب الكمال
بيمنه وكرمه ممن وقف عليه وليعمل بمقتضاه ولا يتعداه والسلام

الظهير السعدي القاضي بتعزيز الاسطول ...وهو من إنشاء محمد بن عيسى

أنه ملك للرعية وليس لأخيه وقد أرضى طلبه تأليفا له لكنه عمد في أعقاب هذا إلى إجراء تغييرات في القيادة مبعدا كل الذين لهم صلة سابقة بالجيش المغربي!.

وحتى يعرف القائد محمود جلية الأمر بعث بسفيره محمد بن عبد الملك إلى الأمير الجديد وقد هاله السفير ما رأى من استعداد حربي يناهز ما كان معروفا لدى إسحاق الأمر الذي جعله يطير الأخبار إلى القائد محمود حاملا معه رفض الأمير لعروض القائد محمود !

وكان الصدام المؤسف مرة أخرى مع هذا الذي ورد يجر الشوك والمدر على حد قول الفشتالي ...فكانت نهايته في خاتمة عام ألف = اكتوبر 1592 وبه طوى تاريخ امبراطورية سنغاي !!

ويتحدث الفشتالي عن ستة أنفار من أبناء عسكية قصدوا الأطراف الشاسعة من تلك الممالك، لكن الملاحم أدركت أربعة منهم وألحقت الخامس بهم بينما نجى سادس يعتقد أنه عسكية نوح الذي قاد المقاومة ضد القائد منصور باشا...

ولقد عقد المنصور مجلسا بمراكش استمع فيه إلى القصائد الشعرية التي نظمت في هذه الوقعة التي حملت عند بعضهم إسم (**وقعة النيل**)، وكان مما أنشد أمامه قصيدة لأبي فارس عبد العزيز القشتالي يقول فيها :

جيش أواخره ببابك سيلُه عَرِمٍ، وأوله بكاغو مُحْـدِقِ !!

وكان مما أنشد أمامه أيضاً لابن عبد الله محمد ابن علي الفشتالي :

وطويتَ في السودان مملكةً لها بين المشارق والمغارب مجثم !

وكان مما قاله شاعر الدولة أبو عبد الله الهوزالي :

لئن أسلمت أرض الجنوب مقادها فعن كثب تلقي مقاليدها مصرُ !

وتزور زوراء العراق فتهتدي إليكم، وأعناق العدا خضع صغر ![1]

الى عدد من القطع الشعرية التي تكوّن ديواناً بكامله :

وتتحدث المصادر المغربية المعاصرة عن جواب المنصور على كتاب القائد محمود بالإذن له في العودة الى البلاد وتكليف القواد بتمهيد تلك الممالك التي انتظمت مع المغرب فيما بين

1) المناهل، تحقيق كنون 1964 ص 72-77-79 .

المحيط الأطلسي الى البلاد المتاخمة لمملكة بورنو التي بادر ملكها بتجديد إرسال سفرائه الى بلاط المنصور مؤكداً مسالمته...

وقد عهد بالقيادة العليا للباشا جوذر الذي عاد للمنطقة من جديد صحبة عدد من القبائل المغربية بقصد توطينهم هناك، وأوعز المنصور الى الباشا بملاك أمر معادن الذهب الثلاثة التي اكتنفتها تلك الممالك وأمره بالبناء عليها واختطاط الحصون حواليها وترتيب الجيش لحراستها...

وقد كان في جملة المشاريع العمرانية للقائد جؤذر باشا أن يقوم باختطاط الجدران وبناء السدود لنهر النيجر لتعود تلك الأمصار زاهية على جلق وشط الفرات...!

ونشير إلى رسالة المنصور إلى بعض رؤساء الأقاليم الجنوبية والمرابطين فيها يطلب إليهم أن يصفحوا عن كل من يظهر الإنابة والطاعة...

كما نذكر رسالة أخرى بعثها المنصور إلى داود كانته ملك كابية (Kebbi) وسنلاحظ أن أسلوبها مزيج بين الترغيب والترهيب [1].

لقد ظل القائد جوذر باشا ومنصور باشا عاملين على تلك الممالك، الأول في أقصى الجنوب، والثاني في الجنوب الأوسط الأدنى من المغرب [2]، وقد كانت ترد عليهما الرسائل من طرف السلطان المنصور مخبرة بما تجدد من أخبار المملكة المغربية.

وقد كان من ضمن ما تحدث به العاهل المغربي في رسالة على حدة - إلى القائد منصور باشا «...بما أنه تم القضاء على نوح عسكية فعليكم أن تتوكلوا على الله وتقلعوا عن تنبكتو إلى جهة (كوكية) و (دندي) وما يليهما طلبا لتوفر الخراج بتنبكتو، وتختم الرسالة بإعطاء تعليمات مدققة للقائد منصور حول الذخائر التي خلفها نوح ومصير أولاد عسكية بمن فيهم الذكور والإناث.

وتأكيداً لما سبق أن أشرنا إليه حول الهدف من توحيد إفريقيا تمهيدا للحركة نحو الأندلس، نجد أن المنصور يفصح عن ذلك أيضا في رسائله لقادة المشرق : صاحب مكة والمدينة وأرض الحجاز السلطان أبي المحاسن حسن بن أبي نمى بواسطة شيخ ركب الحاج المغربي المرابط محمد بن عبد القادر[3] وقاضي القضاة المالكية بمصر الشيخ البكري وبدر الدين القرافي...

1) كنون، رسائل سعدية، ص. 127.
2) كنون، رسائل سعدية، ص. 178-179.
3) مناهل الصفا، 187-188، الاستقصا، ص. 147-150-151.

ومما له تعلق بموضوع علاقات المنصور بالسودان قضية الشيخ أحمد بابا الذي نقل عنه في حاضرة تنبكتو انتقاده لصنيع المنصور إزاء تلك الممالك وتحريضه الناس على معاكسة الجيش المغربي، الأمر الذي أدى إلى القبض عليه سنة 1002 = 1593 وترحيله إلى مراكش صحبة عدد من الفقهاء حيث بقي رهن الثقاف إلى أن انجلت محنته يوم الأحد 21 رمضان 1004 = مايه 1506 بالإفراج عنه وإلزامه المقام بمراكش...

وقد أدركت الوفاة المنصور دون أن تتحقق جميع مشاريعه في السودان ودون أن يتمكن من الوصول إلى الأندلس...ولا شك أن البحوث العلمية المجردة التي أخذت في الظهور ستزيد في كشف الجوانب الخفية لحركة المنصور.

مهما يكن فقد ظلت تلك الممالك بعد وفاة المنصور على صلة تامّة بملوك المغرب تدعو لهم على المنابر بينما ظل هؤلاء يبعثون بممثلين عنهم، باشاوات وقوادا،، وهكذا نجد رسالة من السلطان المولى زيدان إلى المملكة الجوفية. وإلى جانب هذا يخبر زيدان قواد تلك الأقاليم بتوافد البعثات الدبلوماسية على بلاطه الأمر الذي كان يريد به أن يعلم أولئك القواد بأن الأمور تسير في طريقها وأنه يتمتع داخلا وخارجا بالقوة والمهابة...

ورغم أن الأمراء السعديين تعرضوا لظروف داخلية قاسية...فقد ظلوا يعتبرون أنفسهم مرتبطين بتلك الجهات، وهو الأمر الذي تفسره تسمية البشاوات هناك بظهائر رسمية، ويمكن أن نقرأ مثل هذا في التحلية التي كان الملوك السعديون يصدرون بها رسائلهم السياسية إلى ممالك أوروبا...وهكذا نجد السلطان محمد الشيخ الأصغر في آخر رسائله إلى هولاندا ينعت نفسه بأنه «خضعت لأوامره جبابرة الملوك السودانية وأقطارها القاصية» وذلك بتاريخ رجب 1054 = 1644...!.

ومن هنا نرى أن البعثات السودانية إلى الديار المقدسة كانت تتم سنويا تحت قيادة رئيس الركب المغربي الذي ينتظر وفود حجيج السودان ليشق بها طريق الصحراء نحو المشرق على ما تفيده رحلة ابن مليح التي ترجع لتاريخ 1040 = 1630 والتي تتحدث عن وصول باشا السودان القائد علي بن عبد الله الشرقي صحبة الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بابا السوداني ...[1].

1) ابن مليح، أنس الساري والسارب، تحقيق محمد الفاسي، فاس 1388-1968.

الفصل السابع

علاقات المغربية مع البلاد المنخفضة

- العوامل التي قربت البلاد المنخفضة من المغرب.
- سفارة أفوقاي إلى لاهاي 996 = 1588
- تبادل الرسائل بين المملكة المغربية والولايات العامة.
- قرض من المغرب للولايات لمساعدتها على بناء استقلالها.
- المعاهدة المغربية مع البلاد المنخفضة.
- توسيط المغرب للولايات لاسترجاع خزانة الأمير زيدان.
- خبراء في بناء المراسي يعملون في الجنوب.
- أول بعثة مغربية مقيمة هي التي كانت بلاهاي...
- الموقف الهولاندي من الزعامات المحلية بالمغرب.
- لُيدكيرك في مراكش وابن عسكر في لاهاي.

العلاقات المغربية مع البلاد المنخفضة

عندما استقلّت البلاد المنخفضة أواخر القرن السادس عشر كونت حكومة فيدرالية متركبة من سبع دويلات تحتفظ كل منها باستقلالها الداخلي تحت اسم جمهورية الأقاليم السبعة وقد تكون من مجلس الأقاليم ما سمي بالولايات العامة [1].

وتعتبر هولاندا - وهو الاسم الذي غلب عليها - من الدول الأوربية السباقة إلى التقرب إلى المغرب وخاصة بعد وقعة وادي المخازن عام 986 - 1578 التي لقى فيها ملك البرتغال دون سباستيان مصرعه وبعد موقعة نهر النيل 1000 = 1592 التي أتت على أمبراطورية سنغاي.

وكانت هناك عوامل متعددة ساعدت على هذا التقارب، منها شعورهما المشترك ضد اسبانيا، وإقامة جالية يهودية من المطرودين من الأندلس في البلاد المنخفضة فكوّن أفراد هذه الجالية اليهودية الثرية علاقات تجارية مع إخوانهم المقيمين في بلاد المغرب وربطوا معهم صلات متينة فكانت السفن الهولاندية تتردد بدون انقطاع على الموانيء المغربية...

وهكذا لم تلبث لاهاي أن بعثت إلى السلطان أحمد المنصور برسالتها بتاريخ 31 أكتوبر 1592 = 9 ربيع الأول 1005 تطلب إليه أن يمنح رعاياها جوازات على نحو ما يمنحه لإنجلترا والأصدقاء المقربين إلى المغرب، وأن يساعد على إيواء اللاجئين إليه من الولايات

1) تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص. 122، تعليق 1.

العامة...

ولقد احتفظت هولاندا بصداقتها مع المغرب بعد وفاة السلطان المنصور السعدي، وهكذا نجد جوابا باللسان العربي من أبي فارس ابن السلطان المنصور وكان مرفوعا من مراكش بتاريخ 18 رمضان 1014 = 27 يناير 1606 إلى الكونت موريس دوناصو (MAURICE de Nassau).

ويظهر أن الخطاب كان جوابا عن رسالة من الولايات العامة حملها المبعوث الهولاندي بييطر مارتينيز كوي (Pieter Maertenez coy) وقدمها لأبي فارس عند الاستقبال الذي تم من طرف العاهل يوم 5 يوليه 1605 = 18 صفر 1014.

إن السلطان أبا فارس لم يكن على علم كامل بالتنظيم السياسي للولايات العامة، ولهذا فإنه يكتب إلى دوناصو (de NASSEAU) على أنه ملك هولاندا.

لقد أخبر العاهل المغربي الكونط الهولاندي بأنه استقبل سفيره كوي (Coy) وأنه يرحب به.

ولم تلبث هولاندا أن ربطت علاقاتها بالسلطان زيدان ابن أحمد المنصور الذي تمكن من مراكش أواخر 1015 = أربيل 1606، فبعثت إليه الولايات العامة برسالة من لاهاي بتاريخ 27 يوليه 1607 = 2 ربيع الثاني 1016 تذكره بالعلاقات الحسنة الموجودة بين البلدين إلى الأيام الأخيرة....وتشكو من توقيف سفيرها بـ.ن. كوي (Coy) بدسائس من بريطانيا ! والولايات تعتبر هذا التدبير جائرا، وتطلب التدخل لتحرير مبعوثها مع سائر الهولانديين الأسرى...وبالإضافة إلى هذا فإن الرسالة تذكر بأن التعليمات أعطيت للسفن الهولاندية لضمان أمن مواطنيها ولكن من غير نية سيئة حيال الامبراطورية المغربية ويتخلص الخطاب بعد هذا إلى مناشدة السلطان زيدان بالعودة إلى ما تفرضه الصداقة التقليدية بين الدولتين...

وقد كان إطلاق سراح كوي (Coy) خطوة نحو تحسين العلاقات وهو الأمر الذي يشعر به طلب تقدم به من لاهاي بتاريخ 31 يبراير 1609 وكيل المغرب صاموبل بالآش (Samuel Pall-ache) إلى أمير أورانج باسم السلطان زيدان، يتعلق بتسليم المغرب بعض السفن الحربية للحاجة البهاء.

وبعد هذا نجد رسالة من الولايات إلى السلطان زيدان بتاريخ 11 أبريل 1609 تخبره بأن باخرتين حربيتين جاهزتان استجابة لطلبه السابق على لسان وكيله صامويل بالاش...

وقد اغتنمت الولايات هذه الفرصة لتجدد طلبها للعاهل بأن يبذل مساعدته للرعايا الهولانديين بالمغرب على نحو ما تقوم به الولايات بالنسبة للرعايا المغاربة المقيمين في هولاندا...

وتقديراً من السلطان لاستجابة الولايات العامة في إرسال السفينتين الحربيتين المطلوبتين منه كتب باللسان العربي من مراكش إلى لاهاي بتاريخ 18 ربيع 1018 = 21 يوليه 1609 يشكر على إرضاء طلبه، ويخبر بأن الباخرتين وصلتا فعلا إلى أسفي.

وقد شفع الرسالة العربية بأخرى باللاتينية يخبر فيها بأنه توصل بعروض الولايات العامة عن طريق مبعوثها القائد وولفير هيرمانز (Wolffaert Hermansz) وأنه جوابا على ذلك يبعث سفيره القائد حمو بن بشير ليؤكد عن عواطفه نحو هولاندا...

وقد تميز مقام السفير بن بشير في لاهاي بعدد من الاتصالات، وهكذا نجد رسالة له من لاهاي بتاريخ 12 اكتوبر 1609 = إلى رؤساء الولايات العامة يخبرهم فيها بأن السلطان زيدان عهد إليه برفع رسالة خاصة إلى المسؤولين في أمستردام...

كما نجد له رسالة أخرى بتاريخ 7 نونبر 1609 يشكرهم فيها على الاستقبال الذي خصصوه له ويطلب إليهم تزويده بنسخة من مختلف القرارات التي اتخذوها ليرفعها للعاهل المغربي.

ورسالة ثالثة منه إلى الرؤساء حررها في لاهاي بتاريخ 18 نونبر 1609 حول الخشب الذي كان العاهل المغربي اقتناه لمصالحه الخاصة ...

وقد ظهر من خلال الوثائق اللاحقة أن القائد حمو بن بشير وعد هولاندا - باسم العاهل المغربي - بتقديم مبلغ مالي هام مساعدة لهولاندا على بناء استقلالها..كما نجد رسالة من لاهاي بتاريخ 19 دجنبر 1609 تشكر السلطان زيدان على جهوده المبذولة من أجل ضمان الأمن للتجار الهولانديين المشتغلين في المغرب وتضمن له المعاملة المماثلة بالنسبة للرعايا الموجودين في هولاندا...

وقد وجه السلطان زيدان إلى الولايات العامة بتاريخ 10 ذي الحجة 1018 = 6 مارس 1610 يخبرها بأن الهولانديين العاملين بجيشه يعاملون معاملة حسنة وبعد هذا يتقدم بطلب لصالح وكيليه : أحمد بن عبد الله المرني، وصامويل بالاش...ثم يشير إلى أن موقف اسبانيا من المغرب يقرب العاهل إلى هولاندا أكثر فأكثر ويتخلص في الأخير إلى طلب العاهل بناء ثلاث أو أربع سفن.

وقد تميز وجود السفارة المغربية في لاهاي بالتفاوض حول عقد اتفاقية بين المغرب وهولاندا بتاريخ 29 يونيه 1610 وقد تضمنت رسالة من البعثة المغربية إلى الولايات العامة بتاريخ 8 يوليه 1610 توضيح التوجيهات المرسلة إلى البعثة حول بنود الاتفاقية المقترحة...

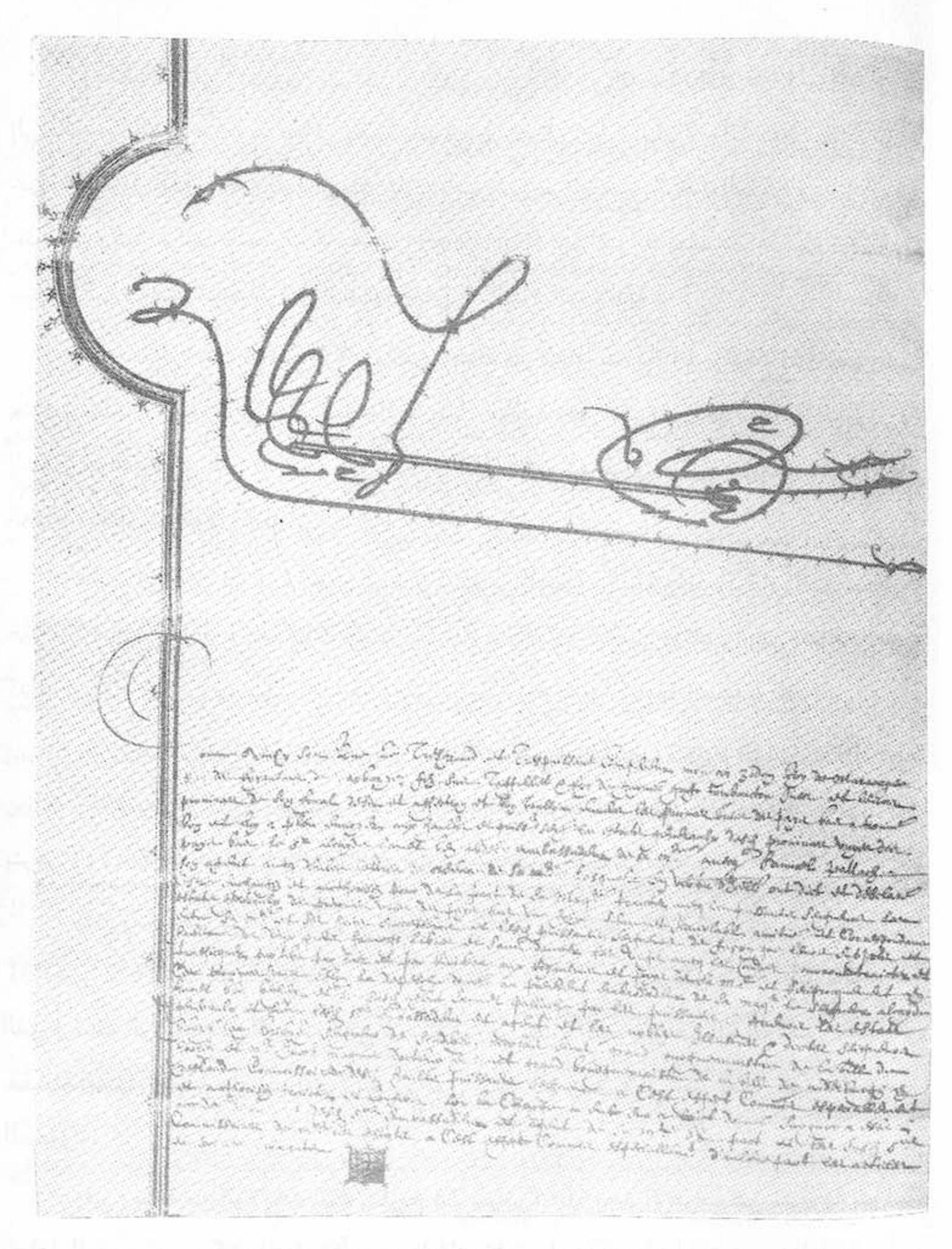
وقد تم اتفاق الطرفين أخيرا بتاريخ 24 دجنبر 1610 = 8 شوال 1019 على معاهدة تحتوي على تسعة عشر فصلا حررت باللغة المستعملة لدى الولايات وترجمت منها إلى العربية...

وقد ختم آخر بند فيها بتوقيع أحمد بن عبد الله المرني وتحته توقيع صامويل بالاش.

وهذا يدل على أن المعاهدة كانت تتوقف على مصادقة العاهل المغربي بالرغم من أن المؤرخين الهولانديين يؤكدون أن المعاهدة لم تحتج إلى مصادقة السلطان زيدان لأنه كان قد خول مبعوثيه كامل الصلاحية لتوقيعها في لاهاي بعد التوجيهات التي أرسلها.

وقد بعث السلطان زيدان إلى الولايات العامة من مراكش بتاريخ 30 جمادى الأولى 1020 = 10 غشت 1611 يتوجه بالشكر للولايات على الحفاوة التي وجدها سفراؤه وهو يخبر الولايات بأنه قد صادق على الاتفاقية المعقودة بين الطرفين...ويطلب بهذه المناسبة إرسال مهندسين هولانديين من أجل بذل المساعدة والخبرة لبناء بعض الحصون في عدد من المراكز بالمغرب، وقد أحاط الولايات علما بأنه يعتزم إرسال سفارة إلى اسطانبول من أجل الحصول على مساعدة ضد اسبانيا.

ونجد بعد هذا رسالة أخرى من مولاي زيدان إلى الولايات العامة بتاريخ 20 رجب 1020 (28 شتنبر 1611) يخبرها بأن أسطول فيليب الثالث هاجم الأسطول المغربي الذي يتألف أصلا من سفن هولاندية...وقد نجت سفينة بينما عطلت اثنتان. وتأجل إرسال السفارة إلى تركيا ...وقد اتخذت التدابير لمواجهة التحرك الإسباني الذي زاد في حنقه الاتفاق الذي تم بين المغرب وهولاندا، ويتخلص السلطان زيدان إلى أن يطلب من الولايات العامة منح المساعدة اللازمة.



صورة للترجمة الفرنسية التي حررها سامويل بالاش كديباجة للمعاهدة المغربية الهولاندية التي أبرمت بلاهاي يوم 24 دجنبر 1610 (8 شوال 1019) والتي صادق عليها العاهل المغربي يوم 24 محرم 1020 (8 أبريل 1611) بمراكش.

ويكتب المولى زيدان من ضواحي مراكش بتاريخ 10 ذي الحجة 1020 = 13 - 2 - 1612 إلى نائبه في لاهاي صامويل بالاش يخبره بأنه في طريقه إلى زيارة أسفي، وأنه ينتظر بفارغ الصبد عودة صامويل الذي يطلب إليه أن يلح على الأمير موريس ليبعث باليخت الملكي ويخبر العاهل نائبه بأن وكيل فرنسا بالمغرب كاسطيلان (Castelane) قدم اقتراحا بعقد معاهدة مع فرنسا وأن مشروع البنود الذي قدمه الوكيل المذكور يتفق مع البنود الهولاندية .

وتجيب الولايات العامة مولاي زيدان برسالة من لاهاي بتاريخ 14 يونيه 1612 تخبره فيها بأنها توصلت برسائله وأنها على استعداد لإرضاء مطالبه وهي تخبره بأن خلاف نائبه صامويل مع التجار سوف يعرض على القضاء كما أنها أي الولايات ستعرض ريسبيرجن (Rysbergen) على العدالة امتثالا لشكوى السلطان زيدان.

ولابد أن نذكر هنا مرة أخرى السفير المغربي الحَجَري المعروف بأفوقاي الذي سجل له عام 1021 = 1612 - 13 مذكرات جد طريفة عن مهمته لدى الأمير دوناصو وعن نشاطه العلمي كذلك في لاهاي التي يسميها (الهاية) والتي تزامنت زيارته لها أيامها الصيفية الطوال.

وفي رسالة من السلطان زيدان إلى الولايات العامة بتاريخ 27 ربيع الثاني 1021 = 27 يونيه 1612 يعرض كارثة اختطاف أمتعته وخزانة مخطوطاته من قبل القراصلة الإسبان...وهو يترجى الولايات العامة في مساندتها لدى ملك فرنسا لويس الثالث عشر...

وفي رسالة من مولاي زيدان إلى الولايات العامة من الصويرة بتاريخ 8 ذي القعدة 1021= 31 دجنبر 1612 يخبرها بأنه توصل بمشروع تعديل الاتفاقية بين الطرفين وأنه توصل بالتعويض الذي أرسلته الولايات عن البضائع التي شحنت...وهو يطلب التعويض عن المبالغ التي دفعها في مقابلة افتداء طائفة من بين الهولانديين الذي كانوا قد وقعوا في أسر بعض العناصر الغير المسؤولة.

وفي رسالة من الولايات إليه بتاريخ 28 يبراير 1614 نجد الإعراب عن سرورها بتوفيق العاهل المغربي في حركاته لفرض الأمن في البلاد وتتمنى له ملكا مظفرا بعد مصرع الثائر ابن أبي

محلي.

وفي رسالة أخرى من الهولانديين إلى العاهل بتاريخ 22 مارس 1614 يطلبون إليه المواطن الهولاندي بـ ڤان ليبيلو (PVan Lippello) وإرجاع أمواله إليه.

وفي رسالة كذلك من لاهاي بتاريخ 27 مارس 1614 يخبرون العاهل بأنهم بعثوا بثلاث سفن هولاندية لمساعدته على مقاومة الخارجين عليه، وتأتي رسالة أخرى من لاهاي بتاريخ 2 مايه 1614 تلتمس التدخل لتحرير ستة من الرعايا الهولانديين وقعوا في أسر بعض المغاربة، .

وفي هذا الصدد نجد رسالة من السلطان المولى زيدان من مراكش بتاريخ 7 جمادى الثانية 1023 = 15 يوليه 1614 مرفوعة إلى جان ليفانس (Jean Lievens) يخبره بأنه تدخل فعلا بواسطة قائده لتحرير الأسرى الهولانديين الذين وقعوا في أسر حكام سلا، ثم يحيطه علما بأنه قد يرسل - على متن سفينة إنجليزية - بسفارة إلى اسطانبول ويطلب من ليفانس أن يقود البعثة الدبلوماسية إلى فان إيفيرتسين (Van Evertsen) حيث يسلمون الرسالة الملكية..[1].

وقد بعث زيدان إلى الولايات من مراكش بتاريخ 18 صفر 1025 = 7 مارس 1616 يطلب إليها أن تجعل رهن إشارته بميناء أسفي سفينة لتنقل بعض أغراضه، وفي جواب منهم إلى زيدان بتاريخ 6 يونيه 1616 يعربون فيها عن استجابتهم لطلبه وسيبعثون له بسفينة حربية، ويختمون بالإعراب عن الأسف من فشل جهودهم مع ملك فرنسا لصالح استرجاع خزانته العلمية !.

وأخيرا نجد رسالة منه إلى الولايات من مراكش بتاريخ 24 شوال 1025 = 4 نونبر 1616 وفي هذه الرسالة يخبر العاهل بأن صامويل بلاش لم يخبره إطلاقا بالطريقة التي تصرف بمقتضاها في الأموال التي أمنه عليها ليقضي بها أغراضا للدولة.

وهناك رسالة من زيدان أيضا إلى الولايات من مراكش بتاريخ 14 صفر 1026 = 21 يبراير 1617 يوصيها خيرا بمواطنين مغربيين من أصل برتغالي هما : إسرائيل بن شلوحة وموسى ليفي التحقا بهولاندا بتكليف من السلطان زيدان للقيام ببيع بعض البضائع المغربية...وهما في نفس الوقت يقومان باقتناء بعض السلع الهولاندية ...[2].

1) لعل السفير المرشح لهذه السفارة كان هو صامويل بالآش. دوكاستري، 2، 578.

وبعد هذا نجد رسالة من زيدان إلى الولايات بتاريخ 5 جمادى الأولى 1028 = 20 أبريل 1619 بعث بها بواسطة جاك فابر (JFABRE)- يزف أليهم البشرى بالعودة الوشيكة إلى هولاندا لعشرة من الأسرى الفلامنكيين افتداهم العاهل المغربي من الأتراك بماله الخاص وهو يغتنم هذه الفرصة ليطلب إلى هولاندا تسهيل عودة طائفة من المواطنين المغاربة كانوا قصدوا الأراضي الواطئة لتذويب عدد من المدافع...

وقد كان مما تشير إليه بعض الرسائل وجود أطباء جراحين بالبلاط المغربي منذ ذلك التاريخ...حيث نجد رسالة تطلب فيها الولايات العامة من السلطان زيدان بتاريخ 29 يونيه 1619، الإذن بعودة طبيب جراح يحمل اسم سيبرانت ألبيرتز (Sibrant Albcrtze) إلى هولاندا حيث إن والدته توجد في حاجة إلى مساعدته....

وفي جواب من الهولانديين إلى العاهل بتاريخ 13 اكتوبر 1621 زفوا إليه التهاني باسترجاع حصن المنكب من قبضة يحيى الحاحي...[1] وشكروا مساعيه لتحرير أسرارهم كما شكروه على الامتياز الذي أعطاهم لاستخراج ملح البارود (LE SALPETRE)، وأخبروه بأنهم أعطوا الإذن ليوسف بالاش بتجهيز مركبين وفق رغبة العاهل.

وفي رسالة من لاهاي بتاريخ 6 غشت 1622 تشكر الولايات مولاي زيدان على مبادرته نحوها...وتخبره بأنها بعثت إليه بالكومسير ألبيرت رويل (ALBERT Ruyl) صحبة المركب الحربي المخصص للخدمة التي طلب ويترجون الثقة الكاملة بمبعوثهم الجديد الذي ورد صحبته المستشرق الهولاندي المعروف البروفيسور جاكوب فان كول (Jacob Van Gool) [2].

وفي أثناء مقام (رويل RUYL) بالمغرب وردت رسالة من الولايات إلى زيدان بتاريخ 20 يونيه 1623 تترجاه تحرير سفينة هولاندية أسرت من طرف أحد القواد السلاويين...

1) رسائل سعدية، ص. 227-228.

2) هذا هو بالذات (گوليوس) الذي أصبح أستاذا للغات الشرقية بجامعة ليدن، والذي نال حظوة كبيرة لدى السلطان زيدان، كان يقرأ العربية ويكتبها بإتقان ولو أنه لا يتكلمها بطلاقة، وقد اجتمع بعلماء جامعة القرويين من فاس... وأخذ تصميمات للقصر الملكي بالعاصمة العلمية... هذا التصميم - يقول ويندوس - هو الآن بيد المستشرق (Corbier) يعنى بالتعليق عليه... واعتقد أنه بهذه المناسبة حصل على نسخة من تاريخ ابن صاحب الصلاة عادت الى مكتبة بودليان باكسفورد.
عبد الملك ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق د. عبد الهادي التازي، الطبعة الثالثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1987، ص. 32.

وفي خطاب من السلطان زيدان من مراكش إلى الولايات العامة بتاريخ 27 محرم 1033 = 20 نونبر 1623 يخبرهم بأنه خصص استقبالا لائقا لألبيرت رويل ALGERT) (Ruyl الذي سلمه رسالة اعتماده، وبعد أن يجدد عبارات الود بخير بأن المبعوث المذكور قدم له مطلبين :

أولهما - يتعلق بأسر حكام سلا للسفينتين الهولانديتين وأنه سيعطي أوامره لإرجاع ما أخذ...

ثانيهما - يتعلق بأداء مصاريف الأنفاط المصنوعة في هولاندا والمنقولة إلى المغرب، وبهذا الصدد يخبرهم بأنه سلم المبالغ المستحقة إلى رجال ثقاة في أسفي ريثما تسمح الفرصة بإرسالها إلى هولاندا.

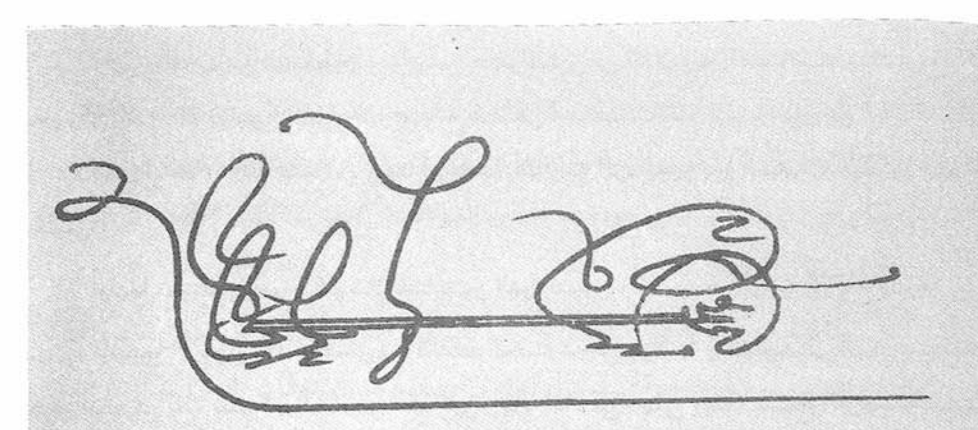
ونظرا لحدة الظروف التي صاحبت مقدم المبعوث الهولاندي ألبيرت رويل نجد رسالة أخرى في نفس التاريخ 27 محرم 1033 = 20 نونبر 1623 مرفوعة إلى الولايات العامة يخبرهم العاهل فيها أن يوسف بالاش حمل إليه رسالة الولايات ويشكرهم على عواطفهم.

وبعد هذا نجد رسالة من مراكش بتاريخ 6 شعبان 1033 = 24 مايه 1624 مرفوعة من السلطان زيدان إلى « المملكة الفلامنكية » وهو يعلن فيها عن إرساله لسفيره يوسف بيسكاينو الذي تسميه الرسالة الملكية يوسف (بن مامي) وقد عهد إليه السلطان بالتفاوض مع هولاندا...[1] أن يوسف سوف يسلم للسلطات الهولاندية مبلغ خمسة آلاف مثقال (Once) كتعويض لما دفعته هولاندا عن الأنفاط والمدافع المنقولة من طرف يوسف بالاش[2]، وقد كان بيسكاينو مصحوباً بمواطن يهودي عهد إليه الشريف بقضاء بعض المهام الشخصية ويطلب من الولايات العامة مساعدته على قضائها...

وتأتي رسالة من وكلاء المملكة الهولاندية الى مولاي زيدان من لاهاي بتاريخ 22 أكتوبر 1624 يلتمسون من العاهل أن يعامل البرتغاليين المقيمين في أمستردام والذين يتعاطون

1) SIHM Pays-Bas

2) بالرغم من الصداقة المتينة التي كانت تجمع بين المغرب وهولاندا فقد كانت مبنية على أساس الأخذ والعطاء، ولم يقبل زيدان مرة واحدة أن يستجدي، وهو ما يؤكده جوابه العظيم للثائر يحيى بن عبد الله بن سعيد الحاحي عندما قال له : لو أردت من الفلامنك خمسمائة ألف مثقال لما توانت في دفعها... الاستقصا،



رسالة مولاي زيدان إلى الولايات العامة، بتاريخ 27 محرم 1033 = 20 نونبر 1623

التجارة بالمغرب بنفس المعاملة التي يتمتّع بها الهولانديون.

وتستمر مراسلتهم للسلطان زيدان فنجد رسالة بتاريخ 4 نونبر 1624 يطلبون مساعدته من أجل تحرير مركب لهم، كما نجد جواباً لهم بتاريخ 8 نونبر يخبر عن وصول رسائله المعبّرة عن عواطفه والتي تؤكد المنع الباتّ لبيع السلاح في الموانئ المغربية...!

ويظهر أن جشع بعض التجار الهولانديين كان يصمّ آذانهم عن الإعلان بتحريم التجارة في السلاح بالموانئ المغربية بالرغم من توالي التذكير بذلك..!! وهكذا نجد السلطات المغربية تصادر كمية من السلاح في حوزة جاكوب أدريانز J Adriandesz وتهدّد بسحب سفيرها من لاهاي إن استمرت هولاندا في مطالبة وكيل المغرب يوسف بالآش بالتعويض.. ! وكان هذا مضمون رسالة صارخة من السلطان زيدان الى الولايات العامة بتاريخ 26 رمضان 1034=2 يوليه 1625...

ولقد توفي زيدان في مطلع سنة 1037= شتنبر 1627 فكانت وفاته نذيراً بالخطر والتمزّق.

إن الموريسكيين الذين كانوا يقيمون بسلا والرباط والقصبة أصبحوا يحرّرون الخطابات للولايات العامة بتاريخ 15 يناير 1628 معربين عن عواطف حيال الولايات ويخبرونها بأنهم على اتصال أيضا مع ملك بريطانيا صديق هولاندا... !

ولم يلبث الموريسكيون أن قطعوا صلاتهم ببلاط مراكش وأقاموا عنهم عاملاً عليهم جعلوه مسؤولاً أمام مجلس مختارٍ لمدة محدودة يقع تجديده بطريق الانتخاب، حيث أخذنا نسمع عن «جمهوريات بورگراگ» الثلاثة.

وفي خضم هذه التطورات وجدنا رسالة من الولايات العامة الى السلطان الجديد مولاي عبد الملك بن زيدان بتاريخ 31 مارس 1628 تخبره بأن السفير المغربي يوسف بالآش نعى إليها السلطان زيدان، وأنها إذ تعرب عن تأثرها تتمنّى للعاهل الجديد التوفيق والعون، وتختم الرسالة بالتذكير في الاتفاقية المغربية الهولاندية التي وقعت أيام والده ويعتمدون عليه في معاملة المواطنين الهولانديين بروح تلك الاتفاقية.

1) يظهر أن الوليد تابع الاهتمام بمشروع (زيدان) لبناء مرسى شمال آسفي بساحل دكالة وهو المشروع الذي حضرت من أجل إنجازه بعثة أليبرت رويل صحبة المستشرق گوليوس... ويبدو أن هؤلاء الخبراء الجدد هم الذين خططوا سنة 1634 ميناء (الوليدية) الذي أسهم في بنائه عدد من الأسرى الأجانب والتي نعتها الزياني في كتابه الترجمان المعرب بأنها من أحسن المراسي... الكانوني : آسفي وما إليه، ص. 41.

دوكاستري، هولاندا-المغرب، سلسلة أولى، مجلد 4، ص. 587، فرنسا-المغرب، سلسة أولى، مجلد 3، ص. 55.

وتمضي الأيام ويجلس الوليد بن زيدان على العرش وتعرف العلاقات نوعاً من التحرك، وهكذا نجد رسالة من السلطان مولاي الوليد بن زيدان الى الولايات العامة، من مراكش بتاريخ 19 صفر 1041=16 شتنبر 1631 يخبر هولاندا بأن الأمن مستتب في سائر جهات مملكته، وأنه بالنسبة للسياسة الخارجية سيتبع نهج أسلافه حيال الولايات العامة... وبهذه المناسبة أحاط الولايات علما بأنه سيبعث بيوسف بالآش للتفاوض حول بعض القضايا، من بينها استقدام خبراء من هولاندا من أجل المساهمة في تصنيع المغرب...[1].

ويختم رسالته - التي توجد في أعلاها كلمة (الله أكبر) - باعلان القرار الذي اتخذه في متابعة الحرب ضد القشتاليين الذين يحتلون بعض الأرضي المغربية وأنه من أجل هذا يطلب الى الولايات مساعدة أسطولها لمحاصرة الإسبان في المعمورة...

وقد عين السلطان الوليد داود بالآش كوكيل لمتابعة القضايا المعلقة وزوده برسالة «أمان» بتاريخ 5 ربيع الأول 1041= أكتوبر 1631.

ومع احتفاظ هولاندا بعلاقاتها المنتظمة مع الوليد بن زيدان فانها استمرت - حفاظاً على مصالحها - في صلاتها بديوان سلا جمهورية بات بورگراگ سالفة الذكر.

وقد وردت رسالة من الولايات الى السلطان الوليد بتاريخ 29-12-1635 ينقلون إليه تصميمهم على إصلاح الأحوال واحترام النظام بارسال قنصل عنهم الى الديار المغربية، هو جوريان فإن بيسطير فيلت (Jurian Van Bystervelt) ولكنهم يخبرونه بأن القنصل سيقيم حيث ديوان سلا !! ويلتمسون من الشريف الاعتراف به وتسهيل مهمته !

وقد أرسلت الولايات مثل هذه الرسالة الى ديوان سلا... لقد كانت الولايات حريصة على أن يعالج قنصلها في عين المكان ما يجدّ بينها وبين سلا معتمدةً على أن صداقتها مع السلطة المركزية لا تعني مقاطعة الآخرين !!.

ويصفّى السلطان الوليد ليبايع أخُوه محمد الشيخ (الصغير) الذي نجده يوالي صلاته بهولاندا فيبعث إليها من مراكش بتاريخ 10 جمادى الثانية 1046=9 نونبر 1636 يؤكد بأنه أيضا سيحافظ على العلاقات الطيبة التي كانت موجودة بين هولاندا وبين أسلافه ويتصدر أعلى الرسالة شعار (هو) على نحو ما كان في بعض رسائل والده السلطان زيدان...

وجوابا على رسالة محمد الشيخ الصغير نجد الولايات تبعث بتاريخ 12 نونبر 1636 معزية



رسالة محمد الشيخ الصغير ابن السلطان زيدان بتاريخ 10 جمادى الثانية 1046 = 9 نونبر 1936.

في أخيه الوليد ومهنئه باعتلائه الحكم ومؤملة في استمرار معاهدة 1610 مطالبة بمعاملة الهولانديين المقيمين بالمغرب على أساس تلك الاتفاقية...

وتنقطع رسائل الولايات عن محمد الشيخ الصغير الى سنة 1638 حيث نجد من بين الرسائل الواردة رسالة مهمة إليه بتاريخ 1 أبريل 1638 تؤكد طلبا بوسق الحبوب المغربية علاوة على تزويدهم بكمية من ملح البارود (Le Salpêtre) لأن حربهم مع الإسبان لا تغنيهم عن هذه المادة الستراتيجية...

ويستفحل أمر زعيم جديد في إيليغ جنوب المغرب وهو المرابط أبو حسون الذي نراه يستولي على سفينة هولاندية أواخر سنة 1638... وهكذا فإن هولاندا - مع احترامها للسلطة المركزية ! لم تر مانعاً أيضا من مكاتبة «السيد المحترم المعظم» بتاريخ 21 مايه 1639 تخبره بأنها سترسل إليه بسفير يعهد بتطمين الزعيم عن نواياها الودية والإعراب عن الرجاء في تحرير الهولانديين المحجوزين «تحت سيطرة حكومة عظمته» على حدّ تعبير الرسالة الهولاندية !

السفارة الهولاندية بمراكش على عهد السلطان محمد الشيخ الصغير

لقد أمسى قرار الولايات العامة نافذاً فيما يتعلق بارسال سفارة الى السلطان محمد الشيخ، فقد كانت ظروف اعتلائه الحكم مناسبة لمثل هذه التهنئة كما أنها كانت مناسبةً لدعم المعاهدة المبرمة بين الطرفين منذ 1610 مع السلطان زيدان، هذا الى علاج بعض المشاكل التي كان سببها تعرض قواد سلا وقواد إيليغ لبعض المراكب الهولاندية...

لقد كانت السفارة برئاسة القابطان ليديكيرك (Liedekerke) الذي ورد على متن سفينة حربية صحبة حاشية هامة كان من بينها الرسام الهولاندي أدريان ما ثام الذي أثرى السفارة بما تركه من لوحاتٍ جميلة لقصر البديع الذي قال عنه إنه «أعجوبة الأعاجيب».

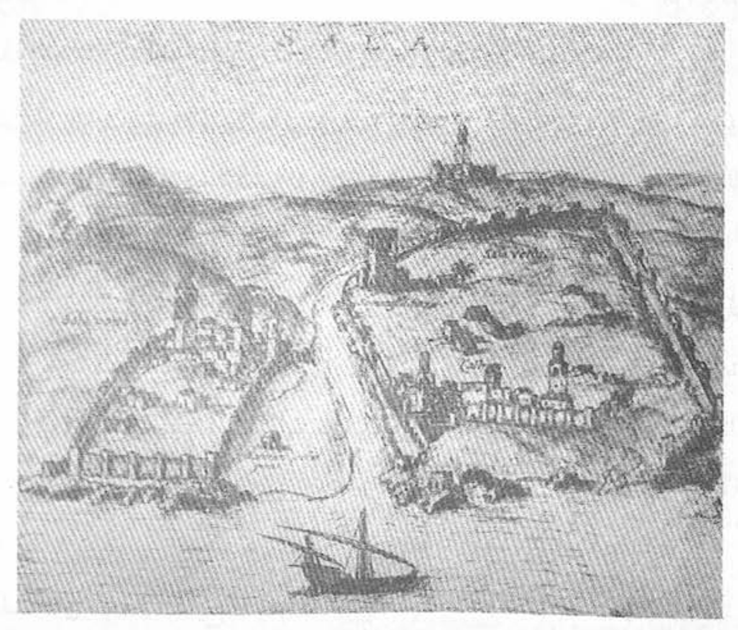
1) لم يكن الكاتب مرتاحا من مباشرة السلطان بنفسه لعملية الذبح واعتبرها «طليعة شؤم بالنسبة للمهمة ! (C'est un mauvais presage pour ce royaume) ! فياله من فرق بين العقليتين !

لقد وصلت السفارة الى أسفي يوم 24 دجنبر 1640 حيث أخرجت إحدى عشرة طلقة. ودخلت السفارة للعاصمة مراكش دخولاً رسمياً رائعاً يوم الاثنين 26 ذي القعدة 105=11 مارس 1641 حيث تجمع الناس لرؤية ترتيبات المرور بما صحبها من جند وخيالة...

وبعد أربعة أيام أيضا قضتها البعثة في تقبل بعض الزيارات والقيام ببعض الجولات، تم استقبالها من لدن السلطان مولاي محمد الشيخ باحدى الردهات الجميلة بقصر البديع يوم السبت 16 مارس فاتح ذي الحجة...

وقد صادف تاريخ 25 مارس يوم عيد الأضحى الذي وصف الرسام فيه موكب خروج السلطان للمصلى مصحوباً بأعضاء الحكومة والحاشية وبجوقة للموسيقى... وبعد أن يتحدث عن انطباعاته حول قيام العاهل نفسه بسنة ذبْح الأضحية [1] يحكي عن انطلاق الأصوات التي تردد الدعاء للملك «الله يبارك في عمر سيدي !!».

وقد استقبل السفير مرة ثانية في البهو الداخلي من طرف مَن نعته بالباشا الذي كان مرفوقا بشخصيتين ساميتين وبالكاتب الخاص للعاهل، وكان الباشا هو الشخصية الثانية في الدولة بعد الملك وقد كان مثلاً في اللياقة والبشاشة والرقة والنباهة، بينما تمت المقابلة الوداعية من طرف



منظر لمدينة سلا في القرن السادس عشر

العاهل نفسه حيث تناول الحديث عدداً من المسائل التي تهم الدولتين واستعرضت طائفة من القضايا...

ويتحدث ماثام في مذكراته عن بعض الهدايا التي قدّمها ملك المغرب الى السفير الهولاندي فيذكر أن جملتها عشرة جياد أصيلة وإثني عشر صقراً وجملين نادرين وسيفاً ثميناً ذا مقبض مطرز بخيوطٍ من ذهب... وقد غادرت السفارة مدينة مراكش يوم ثامن مايه في حفلة وداع مشهودة...

وتحكي مذكرات أدريان ماثام عن صلاتٍ ناجحةٍ تمت أوائل شهر يونيه في (سانطاكروز) بين السفير وبين من نعته بأخي أبي حسون صاحب إيليغ من أجل افتكاك الأسرى الهولانديين المحجوزين هناك عندما حرثت سفينتهم.

وبعد مغادرة السفارة الهولاندية للمغرب أواخر نونبر 1641... وعودتها لبلادها أوائل سنة 1642 توالت المراسلات بين الطرفين، حيث نجد رسالة من الولايات العامة إلى محمد الشيخ من لا هاي بتاريخ 8 مايه 1642 تقدم الشكر الى العاهل المغربي على حسن الاستقبال الذي خصصه للسفير لُيبيدكيرك (Liedkerke) وعلى العواطف الودية التي يكنها العاهل للولايات العامة وهم يتقدمون بهذه المناسبة بطلب كميات أخرى من القمح المغربي.

ويظهر أن مراضاةً تمت بين الجانبين على أن يتولى القنصل الهولاندي الجديد لدى محمد الشيخ الصغير أيضا معالجة المشاكل والقضايا التي تمس هولاندا مع صاحب إيليغ وحكام سلا !.

وهكذا توالت المراسلات بين لاهاي من جهة وبين سلا وإيليغ من جهة أخرى وفي خضمّ هذه الاتصالات مع العناصر الانفصالية تستمر علاقات الولايات العامة مع السلطان محمد الشيخ الصغير وهكذا فجواباً على رسالةٍ منهم إليه يعرب العاهل المغربي بتاريخ 1 رمضان 1053=13 نونبر 1643 عن رضاه حول العواطف التي تضمنتها رسالتهم، ويعد بمنح الهولانديين سائر المساعدات.

إن السلطان محمد الشيخ - إدراكاً منه لحقيقة الموقف - استمر كالسابق في علاقته

بالولايات وهكذا نجد رسالة منه من مراكش الى لاهاي بتاريخ أوائل رجب 1054=13-22 شتنبر 1644 يخبر الولايات بمقابلة تمت بينه وبين القنصل دوبر الهولاندي حيث تسلم رسالةً من الولايات تتعلق بطلب إذن لوسق الحبوب، وأنه سيرضى طلبهم، وفي مقابلة هذا فهو يعرب عن حاجته الى سفينة تتوفر على عشرين مدفعا... وبهذه المناسبة يحيطها علما بأنه سيرسل سفيره القائد محمد بن عسكر للسهر على المهمة، وأنه من ناحية الثمن مستعد لأدائه بالحبوب أو ملح البارود...

وأمام الأخبار التي تناهت الى العاهل عن أن التجار الهولانديين يتاجرون في السلاح مع خصومه الدلائيين أصحاب سلا يتساءل : هل ما إذا كان الهولانديون يهدفون الى فسخ اتفاقيتهم مع السعديين !!

إن اتجاه هولاندا نحو قواد سلا ما يزال ينمو نظرا للضغط المتوالي من هؤلاء على المصالح الهولاندية وهو ما تفسره رسالة الولايات الى السلاويين بتاريخ 21 يناير 1649 تطالب بتحرير من تبقى لديهم من أسرى سفينة القابطان زيل (Zeyl).

لكن سعيد أجنوي النائب عن الدلائيين والمتحدث باسم المجالس (الجمهوريات) الثلاثة : مجلس سلا والرباط والقصبة أجاب بتاريخ 27 مايه 1649 أن السفينة المذكورة وقعت من جديد في الأسر عندما وقفت في مالقة !

وأمام تزايد نفوذ الدلائيين في المغرب وتقلص دولة السلطان محمد الشيخ تحولت أنظار الولايات العامة نهائيا عن بلاط مراكش وهكذا فباستثناء رسالة من هولاندا الى محمد الشيخ قبل سنة من وفاته، نجد الثقل كله يلقى على ديوان سلا...

وقد انتهت سلسلة تلك الاتصالات بما مرت به من احتكاكات وانفراجات الى إبرام اتفاقية بين البلاد المنخفضة وديوان سلا تمت المصادقة عليه في 11 من ذي القعدة 1068=10 غشت 1657.

وقد تبع هذه الاتفاقية إرسال سفارة في السنة الموالية من عبد الله الدلائي أمير سلا الى الولايات العامة... (1)

---

1) دوكاستري، هولاندا، سلسلة أولى، مجلد 4، ص. 598.

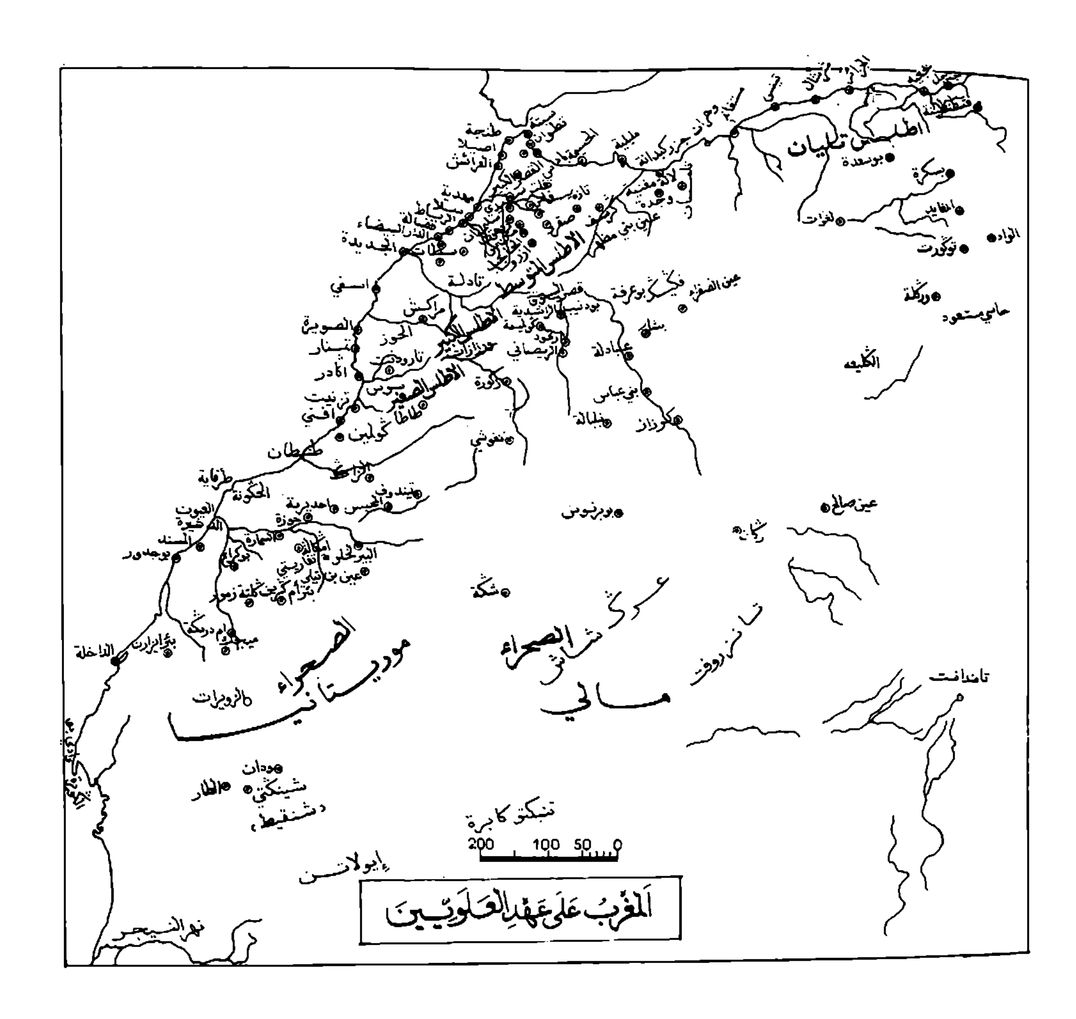
الباب الثامن

القسم الأول

1375-1064هـ - 1912-1654م

علاقات المغرب على عهد الدولة العلوية مع :

1. تركيا
2. فرنسا
3. اسبانيا
4. انجلترا
5. البرتغال
6. هولاندا
7. النمسا
8. بروسيا
9. الروسيا
10. الدانمارك
11. السويد
12. النرويج
13. جنوة
14. الطوسكان
15. فينيسيا
16. سردينية-موناكو
17. صقيلية- نابولي
18. الكرسي البابوي
19. الولايات المتحدة الأمريكية
20. دوبروفنيك
21. مالطة
22. اليونان
23. ألمانيا
24. بلجيكا
25. مع غرب افريقيا وشرقها
26. الاتفاقيات المتعددة الأطراف
27. مع دول أمريكا الوسطى والجنوبية
28. حيدر أباد



الخريطة السياسية للمغرب عند ظهور الدولة العلوية

الفصل الأول
المغرب - تركيا

- حرص المغرب على استقلاله عن العثمانيين
- مناصرة المغرب للعثمانيين
- دور الأجانب في التوتّر بين أقطار المغرب !
- صلة المغرب المباشرة بالإيالات التابعة للعثمانيين
- استنجاد العثمانيين بالمغرب عند احتلال نابوليون لمصر
- الموقف في المغرب بعد تقلص النفوذ العثماني

الفصل الأول

المغرب - تركيا

لقد أصبح المغرب في منتصف القرن الحادي عشر الهجري = منتصف القرن السابع عشر الميلادي سبعة مغارب ! وفي هذه الأثناء ذاتها ظهر العلويون بقوة في الجنوب (تافيلالت)، وقد كان أول اتصال لهم بالعالم الخارجي هو الذي تمّ بين سيدي محمد بن الشريف (محمد الأول) وبين ممثل الباب العالي في الجزائر :

وهكذا فعلى إثر الحركة التي قام بها نحو المغرب الشرقي من أجل استخلاصه من حكم الترك إثر ذلك بعث أحمد باشا بتاريخ منتصف رجب 1064=1654 بسفارة الى محمد الأول وهو بسجلماسة تحمل رسالة بإمضاء الباشا أجاب عنها الملك محمد الأول بتاريخ أواخر شعبان 1064=15 يونيه 1654.

وهكذا فبعد أن يحمل هذا على أطماع داي الجزائر يشير الى المؤامرة التي دبرها الأتراك لاغتيال العاهل المغربي محمد الشيخ على ما أسلفناه في الباب السابع.

وقد كان من نتائج هذه الاتصالات تخطيط الحد الذي يفصل بين المملكة المغربية والإيالة التركية بوادي (تافنة)، وقد التزم محمد الأول أن لا يتخطى هذا الوادي[1].

وفي أعقاب وفاة محمد الأول وجلوس أخيه المولى الرشيد على كرسيّ الحكم وجدنا بعثة تركية لدى المولى الرشيد تطلب إليه أن لا يسمح لجيشه بالتوغل في الأراضي التي توجد تحت نفوذهم على أن يقلعوا بدورهم عن كلّ محاولة للتوسع.

1) د. التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج. 9، ص. 14.

وقد تميزت أيام السلطان المولى إسماعيل بطائفة من المناوشات، ظهرت آثارها سواء في الوثائق المغربية أو التركية أو الفرنسية وغيرها كذلك بالرغم من اتفّاق جديد منذ بداية أيام مولاي اسماعيل على إقرار ما تمّ مع أخويه محمد والرشيد.

وقد اغتنم العاهل المغربي فرصة اعتلاء السلطان سليمان الثاني كرسيّ الحكم فبعث برسالة حملها الى القسطنطينية عبد الملك الأيوبي وذلك لرفع التهنئة، وتجديد العهد، الأمر الذي دفع بالسلطان سليمان الى إرسال سفيره الحاج خليل آغا متمنياً أن يستمر تبادل الرسائل.

وقد حدث أن نشبت على الحدود أيام السلطان أحمد الثاني أزمة يتساءل المرء عن سرّ «تزامنها» مع الموقف المتشدّد الذي كان للسّلطان مولاي اسماعيل مع الملك لويز الرابع عشر.

ولعل من المهم أن نتصفح رسالةً هامة من الداي الى الوزير الفرنسي بونت شارطران Pontchartarain راحت من الجزائر بتاريخ 3 رجب 1103=21 مارس 1692 يخبر الوزير المذكور بأنه يعبء الجيش لضرب عسكر السلطان اسماعيل ! وأنه بالرغم من أن العاهل المغربي كتب إليه بثلاث رسائل تدعوه للسلام فإنه ماضٍ في طريقه !!

وقد اشتبك الجيشان : جيش الامبراطور العثماني مع جيش الأمير مولاي زيدان بن مولاي اسماعيل فأنزل الجيش التركي بالأمير ما يمكن أن نتصوره من نقمة. وقد كان هدف الجيش التركي بعيداً. فإنه كان يقصد الى التقدم نحو قواعد المغرب الأقصى في محاولة لضمِّه الى الإيالات التركية على نحو الحكم القديم ! وقد تحرك السلطان المولى اسماعيل بنفسه نحو الشرق وبعث سفارة هامّة تتألف من مائة وعشرين فارساً على رأسهم ابنه الأمير مولاي عبد الملك ومن أعضائها مفتي الديار المغربية أبو عبد الله الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي ووزيره الشهير أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب الغساني وذلك بتاريخ 27 شوال 1103=12 يوليه 1692.

وبالرغم من الغموض الذي تخيّم على حقيقة مادار في لقاء وجدة الذي تم بين مولاي اسماعيل والداي شعبان فإن الشيء المؤكد هو أن اسماعيل فوّت الفرصة على الأتراك في أن يتقدّموا خطوة واحدة في الأراضي المغربية، وبذلك خيّب أيضاً آمال لويز الرابع عشر الذي كان يؤمل أن تسفر الأحداث عن وضع يمكّنه من إملاء اتفاقية على المغرب تجعل هذا الأخير يقبل محالفة فرنسا على النحو الذي تريده هي !

ويتوتر الجو من جديد بين فرنسا والمغرب للأسباب ذاتها أوائل سنة 1106 = أواخر 1694، ويتحرك من جديد داي الجزائر الحاج شعبان الذي كان يجد في ملك فرنسا قابليةً زائدةً لكل مناوشةٍ تمس المغرب، وهكذا نجد رسالة غريبةً منه بتاريخ 11 محرم 1106=1 شتنبر 1694 يقول فيها إن السلطان المولى اسماعيل يتفق مع باي تونس من أجل مهاجمة الجزائر !!

ولقد وردت في رسالة داي الجزائر الى لويز الرابع عشر بهذا التاريخ عبارة تستحق الوقوف عندها[1] حتى نتصور الى أي درجة تستغل المصالح الأجنبية زعماء المنطقة لأغراضها، لقد كان الداي يشعر بدالّته على فرنسا، ولذلك شبّه الجزائر بأنها لفرنسا كالإجاصة بالنسبة للعطشان !

ومن جهة أخرى فقد رأينا «الباب العالي» يبعث في السنة الموالية 1108-1697 سفارةً الى بلاط المولى اسماعيل الذي كان أرسل بوفادة تهنئة للسلطان مصطفى الثاني بمناسبة تقلّده الحكم عام 1107=1695. لقد وصلت السفارة ومعها رسالتان كانتا ضمن ما عثرتُ عليه في أرشيف اسطامبول.

وتعبيراً من السلطان المولى اسماعيل عن فرحته الكبرى بتحرير وهران أواخر 1120=16 أبريل 1708. وجهّ سفارةً خاصة الى السلطان أحمد الثالث بقصد حمل التّهاني بالانتصار.

وفي أعقاب أخبار الضربات الموجعة التي كانت تلحقها جيوش الامبراطور النمساوي وحلفائه بآل عثمان يسجل السلطان المولى إسماعيل موقفا من أشرف المواقف ذلك أنه يتناسى احتكاكاته مع الأتراك ليعرض مساعدته لهم في مقارعتهم للنمسا... بل ولينسى تشدده مع الملك لويز الرابع عشر الذي كان يناصر العثمانيين.

وبالرغم من الظروف العصيبة التي أعقبت وفاة السلطان المولى اسماعيل بسبب التنافس على الحكم بين بنيه فقد استمرت صلات المغرب باسطامبول.

وهكذا سجلت سنة 1143=1731 حركة هامة قام بها السلطان المولى عبد الله في إطار علاقته بالعثمانيين والمشرق : تلك إرسال سفارة خاصة من لدنه لتقديم التّهاني بجلوس السلطان محمود الأول على عرش أجداده، وكانت برئاسة الحاج أحمد البخاري الذي كان يحمل رسالةً الى الحرمين الشريفين.

وقد عرفت أيام السلطان محمد بن عبد الله (محمد الثالث) جسراً يربط البلاط المغربي بالباب العالي حيث نجد العشرات من السفارات المتبادلة.

والحرم العتيق المتمسك منهما بالله وسنة نبيه بالحبل الوثيق ايده الله
بالملائكة المقربين وابد خلافته الى يوم الدين ووفقه لما فيه صلاح العباد
وربط خيام سلطنته باقوى الاوتاد السلطان ابن السلطان السلطان
مصطفى ايده الله ونصره وهو حسبه وكفى الى السيد الشريف المستغني
عن التوصيف الجليل ابن الجليل مولاي اسمعيل بعد سلام الله الاسنى وتحياته
المباركة الحسنى فلا يخفاك ان الامتثال لامر الله تعالى العزيز العليم واجب
على كل ذي لب سليم وان العاقل من تمسك من تقوى الله بحبل متين القوى وابتغى
اليه الوسيلة في مخالفة ما يدعوا الى الهوى وان مما ينبغي ان يذكر الانسان
صباحا ومساء ورواحا وغدوا ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا
وان مخالفة امر الله موجبة للعذاب السرمدي والخذلان الابدي وان من
يتصف بالعبودية ويتحلى بنور الايمان يكون متصفا بما في ضمن قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ولقد قال صلى الله عليه وسلم القلوب
جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فمن التناكر ان
يخرج عن محبة المجاهدين فيكون قد مزق صك الست بربكم قالوا بلى في اتحاد
كلمة المتقين فالواجب التوجه بالقلب واللسان وتتبع مظان اجابة
الدعاء من الزمان والمكان لان السلطان قلب وجميع العالم جسم فاذا افترقت
طائفة من الموحدين عن حزب المجاهدين كانوا من المارقين بشهادة سيد المرسلين

جانب من الخطاب العثماني عام 1108 =1627 عن الأصل الذي وقفت عليه في اسطانبول

لقد دشن محمد الثالث علاقته بالسلطان مصطفى الثالث بإرسال بعثة ترأسها شخصيتان بارزتان الأولى : الحاج الطاهر بناني مفتي الديار المغربية، وأمير ركب الحاج عبد الله الخياط الملقب بعديّل، حيث عبّر السفيران المغربيان لسلطان تركيا عن عواطف الودّ التي يكنها العاهل المغربي للباب العالي، وقدما طائفة من الهدايا من نفائس المغرب لقيت صدى طيباً لدى السلطان مصطفى الذي قدر المبادرة المغربية وأصحب السفارة بوفادةٍ أخرى من تركيا حملت، فيما حملت، هدية اشتملت على مدافع وآلة حرب وأدوات مراكب الأمر الذي ابتهج له الملك محمد الثالث.

وقد عثرنا في أرشيف اسطامبول في جملة ما عثرنا عليه، على نص (الخطاب الهُمايوني) الذي بعث به السلطان مصطفى الى العاهل المغربي جواباً عن السفارة المغربية، وقد كان الخطاب المؤرخ في أواخر شعبان 1175 = أواخر مارس 1762 مرفوقاً بقائمة الهدايا المرفوعة.

وقد عثرنا إضافة الى هذا على جواب السلطان مصطفى الثالث على رسالة محمد الثالث وهو بتاريخ أوائل ذي الحجة 1180 = مايه 1767 وفيه يخاطب العاهل المغربي بأرفع صفة ويحييه بأرق سلام ويقول إنه توصّل بكتابه المعبر عن صدق المحبة وإخلاص الود بواسطة الحاج عبد الكريم راغون وأنه انبسط جدا من قبول المغرب للصلح مع حليفته جمهورية دوبرووفيك...

ويجلس السلطان عبد الحميد الأول على كرسي الحكم عام 1188=1774 فيولي اهتمامه كذلك بالمملكة المغربية وهكذا نجد أخباراً دقيقة بتاريخ 24 رجب 1197 يونيه 1788 عن السفارة المغربية الى النمسا حيث تتبعت تركيا باهتمام لائحة الهدايا التي رفعت الى العاهل المغربي من امبراطور النّمسا [1] وتساءلتْ عن سرّ التقارب المغربي مع النمسا التي كانت في حالة حرب مع تركيا !

وقد كان من الوثائق التي وجدناها في أرشيف اسطانبول وثيقة تحمل تاريخ 23 شعبان 1197 = 22 يوليه 1783، وكان بعضها ترجمة للخطاب الملكي الوارد على يد السفير

1) لقد شوشت السفارة المغربية بالنّمسا الى حد كبير على رجال الحكم من اسطامبول.
Ramon Laurido Diaz : Relacion De l'alawi : Sidi Mohammed en la Seconda Mitad del Sultano 1775-1790, Hesp Tamouda, 1986, p 231
التاريخ الدبلوماسي للمغرب، 9، 33، 218، 219، التازي، ندوة لندن حول القدس، نونبر 2000.

رسالة العاهل المغربي الملك محمد الثالث الى السلطان عبد الحميد
بتاريخ 23 شعبان 1197 =22 يوليه 1783

المكي برگاش... وفيه يجدّد عواطفه نحو أخيه السلطان عبد الحميد ويبعث إليه بهدايا نفيسة.

وبهذا الصّدد عثرتُ على نص الجواب الذي بعثه عبد الحميد الى الملك محمد الثالث يشير فيه لانعقاد الصلح بين العثمانيين وبين اسبانيا 1783=1197.

وقد زود السفير المغربي بنسخة من ذلك العقد لاطلاع العاهل عليه «لأن تعاون الإخوان واجب لأهل الإيمان في كلّ آن لاسيما في آخر الزمان...».

وفي عام 1199=1785 توجهت - في أعقاب سقوط القرَم (La Crimée) سفارة هامة الى الباب العالي، ومعها أربعة مراكب تحمل اثني عشر ألف قنطار من ملح البارود، وقد حمل السفير المغربي معه رسالة العاهل المغربي المتعلقة ببعض التجاوزات التي تقع على الحدود مع الجزائر.

وهنا وجدنا أن الباب العالي يتدخل لدى داي الجزائر محمد عصمان باشا حتى يحمله على الاستجابة لرؤسائه في اسطامبول.

وفي سنة 1203=1789 أرسل السلطان سيدي محمد بن عبد الله بسفيره القائد محمد الزوين وكان مصحوباً بطائفة من الأسرى الأتراك الذين افتداهم العاهل المغربي من نابولي إضافة الى هدية من جملتها سفن أربع عدة رجالها نحو أربعمائة رجل بين رؤساء وبحرية وطبجية.

ونجد أثر هذه البعثة في رسالة موجهة من اسطانبول الى المغرب أواسط جمادى الأولى 1204=1789 يخبر فيها السلطان سليم الثالث العاهل المغربي بأن كتابه قد وصل «الى عمنا المرحوم السلطان عبد الحميد خان والواجب علينا من جهة الوحدة الإسلامية الإخبار بما كان وما سيكون، والتعاضد فيما يمكن لنا ولكم في الظاهر والباطن.

وإذا كانت سياسة الخارجية المغربية تعثرت إثر وفاة الملك محمد الثالث بالنسبة لبعض الدول فإنها ظلت بالنسبة للقسطنطينية وللولايات التابعة لها على نحو ما كانت عليه.

وقد صادفت السنوات الأولى لتملك السلطان المولى سليمان مداهمة نابليون الأول للأسكندرية، صيف سنة 1798 = أوائل سنة 1213 وهكذا اتجه الباب العالي نحو العاهل المغربي برسالة تفيض عاطفة، وتصف أهداف نابليون داعيةً الى توحيد الجهود من أجل دمره.

شكوى السلطان سليم الثالث من هجوم نابليون الأول على مصر

إخبار المولى سليمان بهجوم نابليون الأول على مصر بغتة وما اقترفه المحتلون من فضائح ضد العلماء والرؤساء والهيئات العلمية وبأنه عين القائد الحاج أحمد باشا الجزار لمناهضة الفرنسيين، ويعلمه بأن العثمانيين تحالفوا بهذا الصدد مع بريطانيا ويطلب للعاهل المغربي المساعدة على تسهيل نقل الذخائر عبر جبل طارق حتى تخليص الديار المصرية من هول الهجوم وهي بتاريخ 19شعبان 1213 = 27 يناير 1799

وقد عثرتُ في اسطانبول على نسخة من الرسالة التي أردفها السلطان سليم الثالث الى السلطان المولى سليمان وكانت بتاريخ 19 شعبان 1213=27 يناير 1799 بفصل له فيها أخبار هجوم نابليون الأول على مصر بغتة، وما اقترفه المحتلون من فظائع ضد العلماء والنساء والصبيان، ويعلمه بأنه عيّن القائد أحمد باشا الجزار لمناهضة المهاجمين، كما يعلمه بأن العثمانيين تحالفوا بهذا الصدد مع بريطانيا ويطلب للعاهل المغربي المساعدة على تسهيل نقل الذخائر عبر جبل طارق.

ولم يتجلّ العون المغربي في مساندة العثمانيين بالقول فقط ولكنه تجاوزه إلى وجود طائفة من المقاتلين المغاربة على أرض مصر ضد حملة نابليون على ما تؤيده إفادات الجبرتي...[1].

وبالرغم من موقف الخدلان الذي اتخذه الأتراك ونحن نعاني من أزمتنا الحادة مع امبراطورية النمسا، هذا الموقف الذي يتجلى في المرسوم الذي أصدره السلطان محمود الثاني بتاريخ 15 ربيع الأول 1245=14 شتنبر 1829 الى داي الجزائر بعدم مساندة المغرب ضد النمسا فقد تجاهل المغرب هذا الموقف ملتمساً العذر لظروف العثمانيين آنذاك... ومن ثّم عبر العاهل بمناسبة انتزاع فرنسا للجزائر من تركيا سنة 1830 عن مشاعر الحزن والأسى...

وبهذا أيضاً نفسر وجود سفير للسلطان مولاي عبد الرحمن لدى بلاط العثمانيين، يعزيهم في السلطان الراحل محمود الثاني ويهنئ السلطان الجديد عبد المجيد.

ولابد أن نلاحظ الاهتمام البالغ الذي كانت توليه الخارجية العثمانية للتحركات الدبلوماسية في عهد الحسن الأول وذلك عن طريق السفراء الأتراك المقيمين في بعض العواصم الأروبية.

ولعلّ من الفائدة أن نشير هنا للرسالة التي عهد الأتراك بحملها للمغرب بواسطة الشيخ ابراهيم السنوسي[2]. في محاولة لفتح ممثلية في المملكة المغربية تهدف لتحقيق تواصلها...

وقد وجدنا رسالة جديدة تحمل تاريخ 15 ربيع الآخر 1304=11 يناير 1887 تتوجه من وزير خارجية الدولة العثمانية الى وزير الخارجية المغربية مطالبة بإنشاء علاقات سياسية. إلا أن الدبلوماسية المغربية ظلت لاسيما والوضع الدولي والمحلي كذلك كان على حال لا يسمح باتخاذ موقف صريح. وبخاصة في عهد السلطان مولاي عبد العزيز بن الحسن...

1) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، 9، 44.
2) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج. 10، ص. 170.

وبالرغم من أننا لم نتوفر لحد الآن على المصدر الذي يتحدث عن الاتصالات الأولى للسلطان المولى عبد الحفيظ الذي خلف أخاه المولى عبد العزيز... فإنه عملاً بما ورد في بنود **البيعة** المعقودة له كان مدعواً للاتصال بتركيا ومن ثمت قرأنا عن السفارة التي بعث بها هذا السلطان الى اسطامبول في محاولة لإيجاد صيغةٍ لوحدة إسلامية ولضمان عدم الاعتراف بالإصلاحات الفرنسية بالمغرب[1].

بيد أن جلّ أعضاء السلك الأجنبي في المغرب تمالأوا ضد الوجود العثماني على الأرض المغربية وهكذا أجهضت سائر المشاريع التي كانت تعمل على تقرب المغرب من العثمانيين... وقد كان مما زاد في ضعف تركيا ووهنها الثورات التي قامت ضدها في بلاد المشرق هنا وهناك الأمر الذي سيؤدي قريباً الى تغيير النظام في تركيا.

ومع الجهات السائرة في فلك العثمانيين

وبإزاء تلك الاتصالات مع الباب العالي كانت للمغرب علاقات مباشرة مع الإيالات التي كانت تخضع لإسطانبول بمعنى أن المغرب كان غير راض على الوجود العثماني التركي في تلك الإيالات.

ونذكر في البداية أنه بطلب من داي وهران قام المولى سليمان بمحاولة إصلاح ذات البين بين الداي وبين طائفة شنت عليه الحرب، ويتعلق الأمر بالفتنة التي شبّت بين عرب تلمسان وتركها..[2].

وقد شهدت أواخر أيام هذا السلطان حدث مداهمة قطعة من الأسطول الإنجليزي لولاية الجزائر... ونظراً لما تركه هذا الحادث من أثر خراب مدمّر فقد قام العاهل بإرسال وفدٍ برئاسة ابنه الأمير مولاي ابراهيم الذي حمل رسالة مواساة الى الباشا مصحوبة بعطاء جزيل للتخفيف من الخسارة اللاحقة... وقد عكس أبو العلاء في مخطوطته «الابتسام»... مشاعر المغاربة إزاء ما حدث بين الأتراك والفرنسيين على أرض الجزائر... ولم يهمل تطارح أهل تلمسان على العاهل المغربي [3].

1) تتحدث بعض المصادر عن إرسال الحاج العربي بريشة التطواني للاستانة واستقباله من لدن السلطان عبد الحميد وذلك في إطار استمزاج الرأي حول الاتحاد الإسلامي المذكور.

2) Cour : L'établissement, p 266-277

3) مخطوط (الابتسام) لأبي العلاء ادريس، ص. 19/18، تقديم د. التازي، مجلة المناهل المغربية، 36 يوليه 1987.

ومع تونس نذكر أن العلاقات ظلت دوماً متسمة بالودّ المتبادل الأمر الذي يدل عليه وجود وكيلٍ للمغرب مقيم بها منذ هذا التاريخ...

وهكذا كان حديث الذين زاروها من المغاربة مليئاً بالمعاني الطيبة.

وأن من أروع المواقف التي تسجلها الدبلوماسية المغربية في تاريخ نضالها لصالح جيرانها تلك الرسالة التي تحمل تاريخ 6 ذي القعدة 1184=3 مارس 1770 والتي وجهها الملك محمد الثالث الى لويز الخامس عشر يقوم فيها باحتجاج شديد اللهجة على قصف فرنسا لسوسة... !

وفيما يتعلق بطرابلس يظهر من خلال الوثائق الموجودة أنه كان هناك نشاطٌ تجاري بين السوق المغربية والسوق الطرابلسية... حيث نجد والي طرابلس الغرب يكتب سنة 1168=1755 رسالة للسلطان المولى عبد الله حول الموضوع.

ويتحدث شارل فيرّو في كتابه «الحوليات الليبية» عن اتفاقية تمت بين إيالة طرابلس وبين المملكة المغربية كان المفاوض فيها عن الجانب الطرابلسي هو أحمد الخوجة[1].

وفي أعقاب توسط المغرب بين إيالة طرابلس وبين الولايات المتحدة الأمريكية قرر الباشا عليّ القرَهْ مَانْلِي أن يبعث بوفادة هامة تشرح للعاهل المغربي ظروف ليبيا، وقد كان على رأسها العميد الحاج عبد الرحمن آغا الذي صحبته عدة شخصيات، وحيث شاهد القصر الملكي بمدينة مراكش مأدبة غذاء كبرى أقامها الملك محمد الثالث في منتصف رجب 1204= ربيع 1790 على شرف السفير الحاج عبد الرحمن وحاشيته وأهداه العاهل ساعة ثمينة منبتة بالجواهر المرصعة كما أهداه سبعة من الجياد من أكرم الخيل مع سروجٍ غاليةٍ وأسلحة متنوعة وكميات كبيرة من شحنات القمح.

وقد كان ارتفاع عدد الجالية المغربية في بداية أيام السلطان المولى سليمان، وعلى سبيل التحديد عام 1210=1795، باعثاً على تعيين «وكيل» يُعْنَى بمصالح المغاربة هناك على نحو ما كان بالنسبة لتونس.

---

1) ذكرت في كتابي «أمير مغربي في طرابلس» مطبعة فضالة (المحمدية، المغرب) 1976، ص. 78/77 تعليقاً حول جامع مولاي محمد... وافترضت احتمال أن يكون القصد الى الأمير سيدي محمد نظراً لما قرأته في إدارة الأوقاف من نعته بأنه أحد سلاطين المغرب وقد وجّه إلي مشكورا الأستاذ محمد عبد السلام الحفائري وثيقة عدلية تذكر «زاوية مولاي محمد» وهي بتاريخ أواخر رجب عام 1041=21 يبراير 1632. فلعلّ القصد الى جدّ أولاد محمد الفاسي الذين حكموا الفزان ما يزيد على ثلاثة قرون – مصطفى خوجة : تاريخ فزّان، منشورات مركز جهاد الليبيين... 1979، ص. 52.

كتاب أحمد الغزال ـ وعبد الهادي السلاوي عن محمد الثالث إلى لويز الخامس عشر بتاريخ 6 ذي القعدة 1184 = 21 فبراير 1776 احتجاجا على قنبلة وقصف سوسة وإعطاء مهلة أربعة أشهر وإلا إشهار الحرب على فرنسا ...والإخبار بدعوة السلك الدبلوماسي بسلا لإبلاغه الأمر.

وقد تجلى التضامن المغربي الليبي في أبهى مظاهره عندما كانت الولايات المتحدة الأمريكية تضرب حصارها على طرابلس عام 1218=1803 ونشبت الحرب بين أمريكا وليبيا.

وكان مما ألفت النظر في أحداث شعبان 1226 = شتنبر 1811... الحدث السعيد الذي تجدد للمرة الثانية، ذلك مصاهرة السلطان المولى سليمان مع ليبيا بعد أن كانت تمت مصاهرة سابقة سنة 1201-1787 مع زعيمٍ كبير من أولاد سليمان.

أما مصر فقد شهدت العلاقات منذ أيام السلطان مولاي اسماعيل 1117=1744 علاقات جيدة مع مصر حيث وجدنا رسالة مسهبة حول موضوع «المماليك» الذين اشتراهم العاهل المغربي ليكون منهم الجيش المغربي وجهها العاهل الى علماء الأزهر الشريف [1].

وقد كانت مصر - علاوة على ما نعرف - تتميز باحتضان عدد كبير من الأسر المغربية المرموقة حتى لأصبح الاقتصاد المصري في وقت من الأوقات بيد بعض الأسر المغربية[2].

وقد قرأنا عن اتصال الحكومة المغربية 1197=1783 مباشرة بعلماء الأزهر الشريف ورواق المغاربة ليس فقط لرفع الصلات الملكية ولكن لغرض كان يأخذ باهتمام الملك محمد الثالث ألا وهو معرفة رأي العلماء هناك حول بنود الإصلاح الذي العاهل على نظام الدراسة بجامعة القرويين من فاس، وهنا لابدّ أن نسجل أن هذا الملك سبق له أن زار مصر صحبة جدته عام 1143=1731.

علاقة المغرب مع قادة الحجاز

لعل الشيء الذي ظل الى الآن مجهولاً هو صلات جدّ الأسرة العلوية الحالية محمد ابن الشريف (محمد الأول) باشراف الحجاز : مكة والمدينة، وينبع. وهكذا نجد محمد الأول يبعث - منذ أيامه الأولى - برسالة الى أولئك الأشراف في أعقاب الخلاف الذي كان يشبّ فيما بينهم.

ولم يكن غريباً علينا - أن نجد المولى اسماعيل يعزز علاقاته - بأشراف الحجاز حيث نجد رسالة منه حوالي سنة 1104 الى الشريف سعد بن زيد أمير مكة[3].

1) د. التازي، العلاقات بين المغرب ومصر، ندوة جمعية أبي رقراق، يوليه 1988.
2) د. التازي، جامع القرويين، ج. 2، 555، رواق المغاربة في الأزهر، دعوة الحق، يونيه 1983 (المنصور) المصرية عدد 2 مارس 1984.
3) ابن زيدان، العز والصولة، المطبعة الملكية 1381=1961، الرباط، ص. 279.

وقد وقفنا على رسالة هي الأخرى بنصح يتوجه به السلطان مولاي اسماعيل للشخصية المذكورة سعد بن زيد، وقفت عليها ضمن مجموع مخطوط في الخزانة الحسنية بالرباط [4].

ولا بد أن نشير مرة أخرى للرحلة التاريخية التي قامت بها عام 1143=1731 الى البقاع المقدسة الأميرة الجليلة **أم سيدنا** التي كانت تنعت بالسلطانة والتي دونت عن زيارتها رحلة هامة بقلم الوزير الإسحاقي وصف فيها تلك الديار ابتداءً من ينبع التي وصلوها براً من مصر [1].

وأخيراً نذكر وفادةً وردت على السلطان المولى عبد الله من مكة المكرمة وصلت الى فاس يوم 4 ذي القعدة 1168=12 غشت 1755 بقصد رفع التعزية الى العاهل المغربي في الكارثة التي حلت بمركب الحجاج المغاربة والتي أودت بحياة مئاتٍ منهم حيث لقوا مصيرهم في البحر....

وقد شاهدت سنة 1193=1779 حدثاً من أبرز الأحداث التي كانت محلّ تعليقات من القناصل الأجانب المقيمين بالمغرب ومن العثمانيين كذلك ويتعلق الأمر بالمصاهرة التي تمت بين سلطان المغرب وأمير ينبع.. إن الحدث كان يعدو أن يكون مجرد مصاهرة أسرتين الى أن يكون دعماً للصلات بين العلويين مغرباً ومشرقاً.

وقد شهد مطلع سنة 1226=1811 سفارة تتنقل الى مدينة فاس لدى السلطان المولى سليمان مرسلة من الأمير سعود بن عبد العزيز (الأول) : الذي أبطل الدعاء للسلطان العثماني في خطب الجمعة منذ 1218=1809 وكانت الوفادة تحمل رسالة تشرح فيها مبادئ الدولة الجديدة التي ترتكز على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي زعزعت الوجود التركي بالمنطقة. وقد بعث العاهل المغربي ابنه الأمير ابراهيم على رأس وفد هام عام 1226=1812 يحمل رسائل نثرية وشعرية حيث تم الاتصال المباشر بالأمير سعود الأمر الذي نقرأه في المصادر المغربية والمشرقية [2]...

---

4) مجموعة رسائل سعدية وعلوية تحت رقم 12598 (الزيدانية).

1) د. التازي : أمير مغربي في طرابلس، مطبعة فضالة، المغرب، 1976.

2) عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري، الملك عبد العزيز، الطبعة الأولى، بيروت، أكتوبر 1997، ص. 46-52. د. التازي، سفارة السلطان المولى سليمان لدى الإمام سعود بن عبد العزيز، مجلة الدارة السعودية، 1422-2001.

الفصل الثاني

المغرب - فرنسا

- تبادل السفارات بين الدولتين
- الاتفاقيات الثنائية
- نموذج من مظاهر الاتصالات
- اثر النزول الفرنسي بالجزائر
- معركة ايسلي
- اتفاقية 1880 لتوزيع افريقيا في غيبة الأفارقة !
- بسط الحماية الفرنسية على المغرب 1912

المغرب - فرنسا

عرفت أيام السلطان المولى الرشيد، علاقات له مع بعض دول أروبا وقد كان في صدرها المملكة الفرنسية التي دشّنت أول لقاء لها بالدولة العلوية مع السلطان المذكور في مدنية تازة.

وهكذا كتب رولاند فريجيس من المزمّة Albouzème[1] بتاريخ 5 أبريل 1666 الى السلطان المولى الرشيد وهو بمدينة (تازة) يطلب منه الإذن بزيارة للعاهل الأمر الذي وافق عليه حيث عيّن للمبعوث الفرنسي ستين بعيراً لحمل أثقاله[2].

وقد تسلم الرشيد كتاب ملك فرنسا المورخ يوم 19 نونبر 1665=11 جمادى الثانية1076[3]. وبعد انتهاء حفلة الاستقبال وجّه السلطان المولى الرشيد من تازة الى السفير الفرنسي جوابه على كتاب ملك فرنسا وهو يحمل تاريخ 26 شوال 1076 = مايه 1666.

---

1) عرف الإسبان منذ القرن السادس عشر مجموعة من الجزر الصغيرة الموجودة في الخليج الذي يصب فيه وادي نكور، ووادي غيس وكانوا يدعونها جزيرة بوزيما (Busema) أو بوسيم (Bucime) وهذا الإسم الذي تأتي منه كلمة الحسيمة (Alhuce mas) بالإسبانية والبوزيم (Al Bouzème)بالفرنسية هو تحريف للإسم العربي (المزمة) الذي تعطيه المصادر المغربية لتلك الجزر وللخليج وكذلك لمدينة كانت على الساحل خرّبها مولاي الرشيد عام 1666 هذا والمزمة غير مدينة النكور خلافا لما يقوله ابن خلدون عنها. وإن كبرى هذه الجزر المعروفة بحجرة النكور هي التي أسس فيها الإسبان مستودعا لهم عام 1673، وإن الخزامى (El Houzama) التي زعم بعض المؤلفين أنها هي الإسم العربي لهذه الجزر اسم مجهول تماماً...
البكري، ص. 91، ابن خلدون، ج. 6، ص. 440، SIHM France-Maroc-Deuxième Serie, T 1, p 21, note 2, p 440, 135 note 2

2)التاريخ الديبلوماسي للمغرب، المجلد الثاني، ص. 130-135-134 SIHM France S 2, T 1, P


المولى الرشيد بريشة الرسام العالمي «فاكلان هولار» FHollar

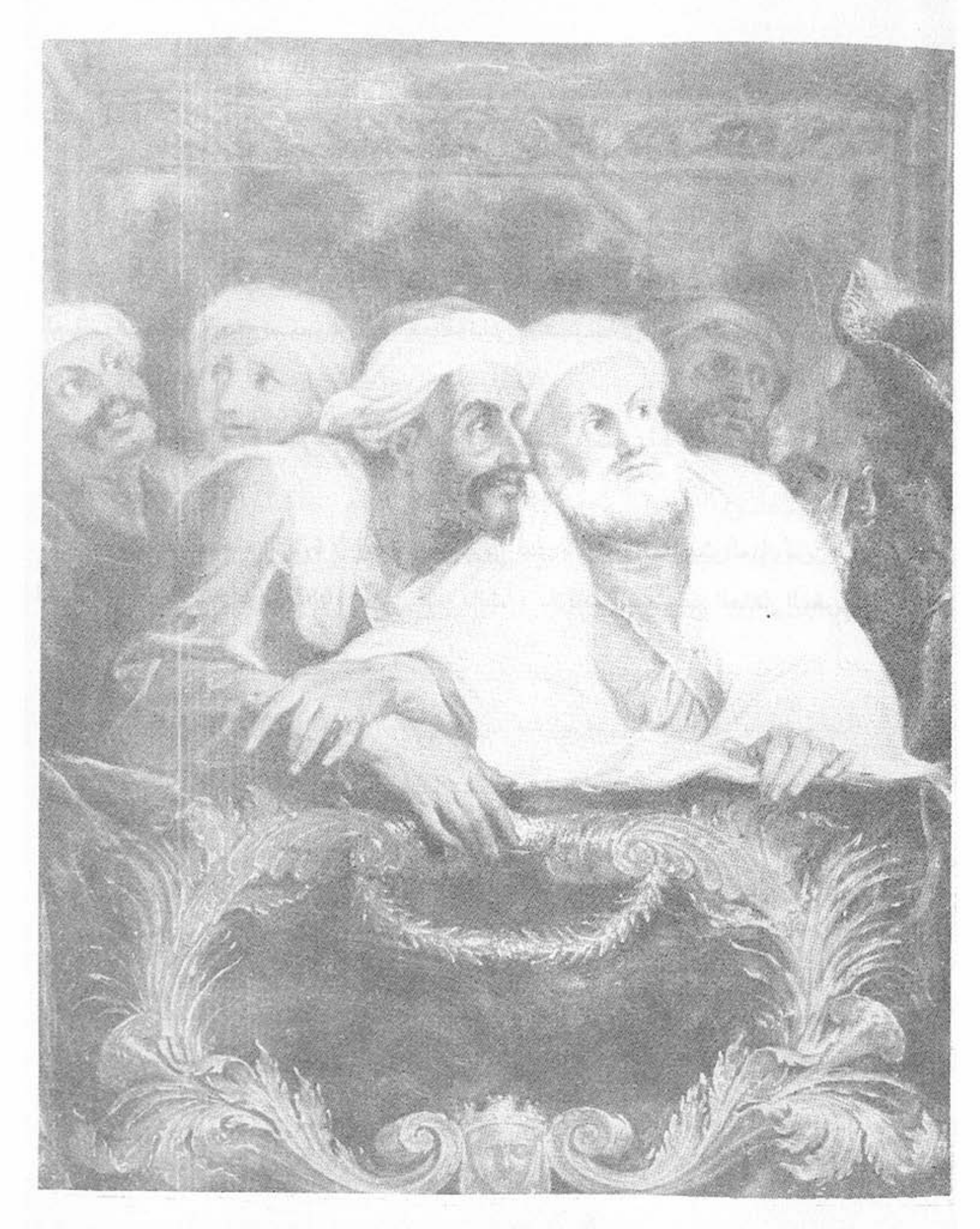
ولم تكن تلك المراسلة الوحيدة التي تمّت بين لويز الرابع عشر والسلطان المولى الرشيد[1]، وهكذا نعثر على رسالة أخرى مرفوعة من قصر (سان جيرمان آن لي) الى العاهل المغربي بتاريخ 8 دجنبر 1666=10 جمادى الثانية 1077. وأخيراً نجد خطابا آخر من ملك فرنسا الى المولى الرشيد وقد كتبه إليه من باريز بتاريخ 21 يبراير 1672 يوصيه فيها بمبعوثه روى صاموبل (Roy Samuel) الذي كلفه بالمفاوضة في شأن تبادل الأسرى[2].

بيد أن هذا الكتاب قدّر له أن يسلّم الى السلطان الجديد المولى اسماعيل بن الشريف بتاريخ 13 غشت 1672 وكان يتضمن مفاتحه السلطان بشأن إبرام اتفاقية لم ير الجانب المغربي فيها ما يخدم مصلحته.

وقد كان في صدر ردود الفعل إزاء تشدّد العاهل المغربي أن صدرت التعليمات بتاريخ 23 مارس 1680 الى القابطان شاطورُونو (Château-Renault) ليضرب الحصار بقطع أسطوله على مدينة سلا وذلك في محاولة لفرض شروط السلام المقترحة من ملك فرنسا !

بيد أن هذه الأزمة لم تلبث أن أخذت طريق الانفراج حيث عقدت هدنة أدت الى عقد اتفاقية بين الدولتين بتاريخ 13 يوليه 1681 وقّعت بالمعمورة من طرف القائد عمر ابن حدّو ولوفيفر دولابار Lefebvre de la Barre وهي من ستة عشر فصلا.

1) الإتحاف 3، ص. 59-164 SIHM, France S 2, T1, p
2) SIHM France, S2, T1, p 414



السفير المغربي محمد تميم يتفرج في المسرح على بعض التمثيليات 1093 = 1682

ونتيجةً لهذا الاتفاق كتب المولى اسماعيل الى لويز بتاريخ أوائل شعبان 1092=4 شتنبر 1681 يؤكد له إفراجه عن الأسرى الفرنسيين، ويخبره بأنه عهد الى القائد ابن حدّو بمواصلة المفاوضات مع الضابط الفرنسي لوفيفر Le Febre المعيّن لهذا الغرض.

ويصل المبعوث المغربي الحاج محمد تميم الى فرنسا نيابة عن القائد بن حدّو حيث أبرمت اتفاقية بين الطرفين في (سان جيرمان آن لي) يوم 20 محرم 1093=29 يناير 1682 وقد وقّعها عن الجانب المغربي الحاج تميم وعن الجانب الفرنسي دُوسينيلاي (de Seignelay) ودوكرواسي (de Croissy).

ولقد ألقى الحاج تميم خطاباً أمام العاهل الفرنسي وبمناسبة وجود السفير هناك شاهد بباريز تمثيلية إيطالية [1].

وفي أعقاب هذه الزيارة لأول مبعوث مغربي لدى بلاط فرنسا بعث الملك لويز الى السلطان اسماعيل بتاريخ 12 يبراير 1682 يهنئ نفسه بإنشاء علاقات السلام مع العاهل المغربي [2].

1) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج. 72.
2) المصدر السابق، ص. 673.

سفارة البارون دوسانت أمان

ولقد صدرت التعليمات الى دوسانت أمان De Saint Amans بتاريخ 3 يونيه 1682 بأن يقصد بلاد المغرب لهدف أساسي وهو الحصول من السلطان المولى اسماعيل على تأكيد معاهدة 29 يناير 1682 [1] بينما تتحفظ التعليمات حول قضية الأسرى المغاربة الموجودين في فرنسا، كما تعهد التعليمات الى أحد الأساقفة بيتيس دولاكروا (Pétis de la Croix) بالبحث عن مخطوطات عربية توجد في فاس...

وفي نفس التاريخ الذي صدرت فيه تلك التعليمات رفع الملك لويز رسالة الى المولى اسماعيل يعتمد فيها المبعوث المذكور، وجواباً على رسالة لويز كتب ملك المغرب الى لويز بتاريخ 14 ذي الحجة 1093=14 دجنبر1682 يذكر فيها من جملة ما يذكر أن السفير الفرنسي قد وصل الى بلاد المغرب بيد أنه لم يصحب معه الأسرى المغاربة الذين كان يتوقع العاهل الإفراج عنهم ! وأن السلطان المولى اسماعيل، تعبيراً منه عن حسن النية، يبعث بعشرين أسيراً فرنسياً هدية منه الى فرنسا وأنه يغتنم هذه الفرصة ليقترح تبادل الأسرى رأسا برأس !

وبهذا نفسر أسلوب الرسالة التي بعث بها السلطان المولى اسماعيل الى لويز بتاريخ 9شعبان 1095=22 يوليه 1684 تلك الرسالة التي يقارن فيها بين طريقة الفلامنك وانجلترا معه من جهة وبين سلوك فرنسا حيّاله من جهة أخرى وهو إذ يعاتب ملك فرنسا على تردده في تحرير الأسرى المغاربة لحدّ الآن يطلب الالتجاء الى العدالة في القضايا المطروحة وتختم الرسالة الإسماعيلية خطابها الى لويز بما مفاده : إنه إذا كان العاهل الفرنسي يرغب حقيقة في الاحتفاظ بقواعد السلام بين البلدين فإن عليه أن يبعث شخصية كفؤة لتسوية المشاكل المعلقة.

---

1) SIHM France, S2, T2, p 434



حصار مدينة سلا عام 1684 من لدن أسطول فرنسا

سفارة دو سانت أولون الى المغرب

وأمام هذا كتب لويز الرابع عشر الى السلطان المولى اسماعيل من فيرساي بتاريخ 14 يناير 1693 يعتمد فرانسو بِّيدو دوسانت أولون (F Pidou de Saintolon) مذكراً أن التعليمات قد أعطيت له بإبرام الاتفاقية الجديدة التي تؤكد اتفاقية 1682 بإنهاء ما يتعلق بفداء الأسرى.

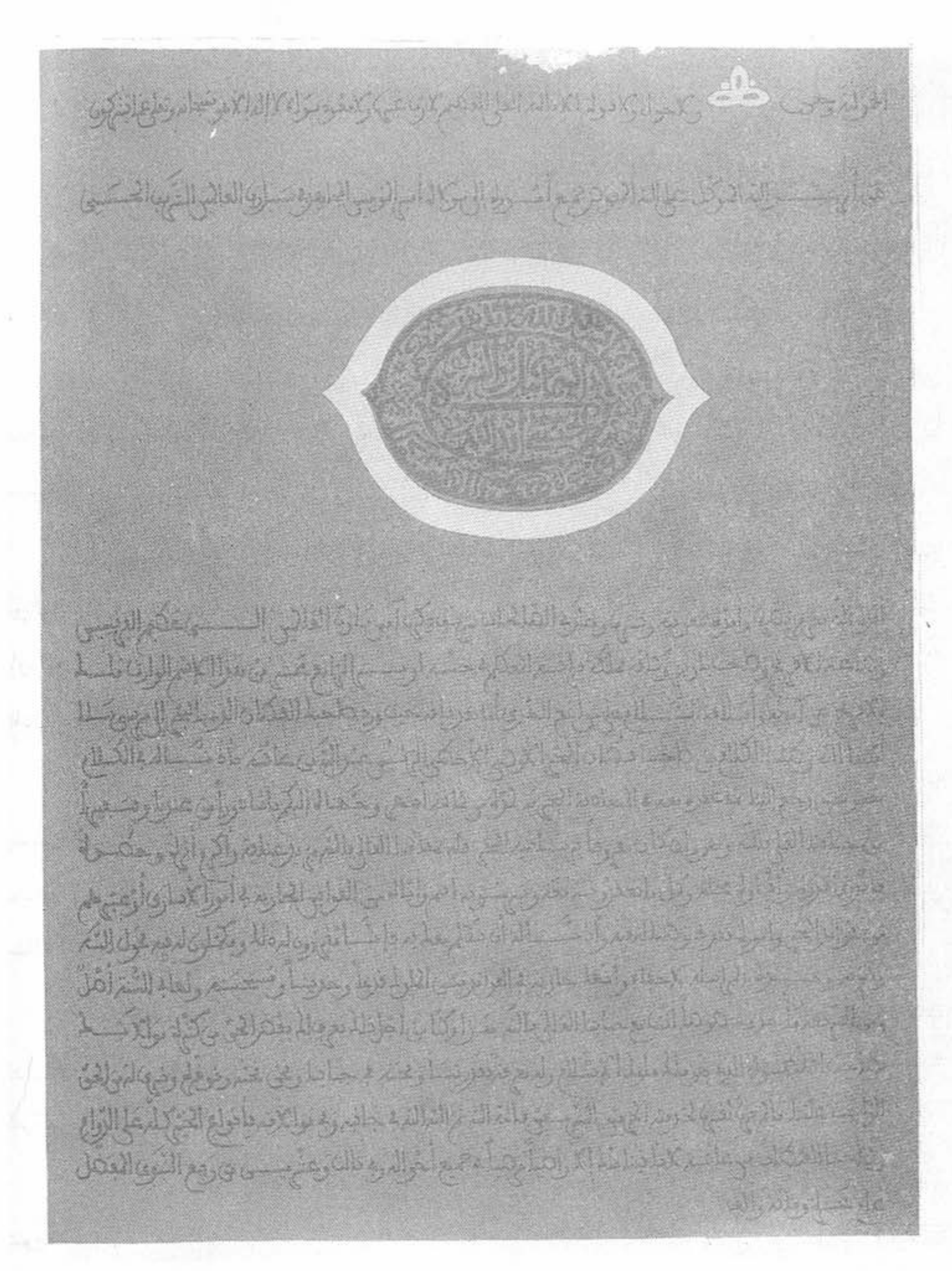
ويصل المبعوث الفرنسي الى بلاد المغرب... ويتجه نحو مكناس العاصمة آنذاك (فيرساي المغرب) ليستقبله السلطان المولى اسماعيل الاستقبال الأول يوم 11 يونيه 1693 ثم ليستقبله استقبال الوداع يوم 19 يونيه...

وقد جاء في مذكرات سانت أولون أن حديث العاهل المغربي اقتصر فقط على ذكر سبتة طوال الاستقبال، يعيده ويعيده، ولكأنما كان ورود السفير من أجل موضوع سبتة ! ومن دون شك فإن الجهات المغربية استشفّت عدم استعداد فرنسا لمساعدة المغرب على تحرير سبتة، ومن هنا يظهر نحس الطالع بالنسبة لمهمة دوسانت أولون الذي ترجم عن فشله بقطعة شعرية حاقدة !

لكن الطرفين اقتنعا بفتح الحوار من جديد وهكذا ظهرت فكرة اعتماد مبعوث عن المغرب ليتناقش مع الجانب الفرنسي حول بنود الاتفاقية، ولم يكن هذا المبعوث غير القابطان عبد الله بن عائشة الذي اعتمد سفيراً لدى ملك فرنسا لمفاتحة الجهات الفرنسية حول المسائل المعلقة، وتحمل رسالة الاعتماد تاريخ 23 ربيع الأول 1110=29 شتنبر 1698.

تمّت سفارةُ ابن عائشة لدى بلاط فرنسا من 11 نونبر 1698 الى 25 مايه 1699 وكانت من أبرز السفارات التي كانت محلّ عناية من لدن طائفة من المهتمين بأمر العلاقات المغربية الفرنسية،وكتبت حوله التقارير الدبلوماسية والتعليقات الصحفية.

وقد رفع السفير ابن عائشة تقريره الى العاهل المغربي بكلّ ما حصل، وهكذا نجد رسالة تتوجه من السلطان المولى اسماعيل الى الوزير جوردان من مكناس بتاريخ 15 محرم 111=13 يوليه 1699 يشكره على معاملته الخاصة لسفيره ويعده بتشجيع سائر العمليات التجارية التي يباشرها.



رسالة اعتماد عبد الله ابن عائشة سفير مولاي إسماعيل لدى ملك فرنسا
بتاريخ 23 ربيع الأول 1110 =29 شتنبر 1698.

وقد تبعت هذه الرسالة الإسماعيلية رسالة أخرى الى لويز من مكناس بتاريخ أواخر ربيع الأول 1111=25 شتنبر 1699 يعتب عليه أنه رضي بعودة السفير المغربي دون إبرام اتفاقية مشيراً بعد هذا لما جاء في رسالةٍ سابقة لملك فرنسا تلوّح باستعمال القوة «إن موارد المغرب يقول مولاي اسماعيل من القوة بحيث تجعلنا لا نعبأ ولا نكترث بأن نكون في حرب أو سلم مع فرنسا !!» إن مكاتب الملوك، يؤكد العاهل المغربي، لا يكون فيها إلا كلام الصدق بلا كذب ولا التواء المعاني فذلك نقص في حقّ الأمراء ما يرضاه أحد، ما جاءنا شركم ولا صلحكم في شيء !! [(1)].

وقد ظهرت بوادر انفراج جديدة في العلاقات المغربية الفرنسية في أعقاب تعيين القنصل الفرنسي الجديد جان بيريليي (Jen Périllié) الذي وصل الى مدينة سلا أواخر سنة 1703 حيث نجد رسالة من السلطان المولى اسماعيل الى لويز الرابع عشر بتاريخ 10 رمضان 1115=17 يناير 1704 يخبر فيها العاهل الفرنسي أنه استقبل مبعوثه بيريليي ووعده بإعطاء سائر التسهيلات.

وبالرغم من أن البلاد تعرّضت في أعقاب وفاة السلطان المولى اسماعيل الى رجات داخلية عنيفة فقد استمرت المراسلات مع البلاط الفرنسي.

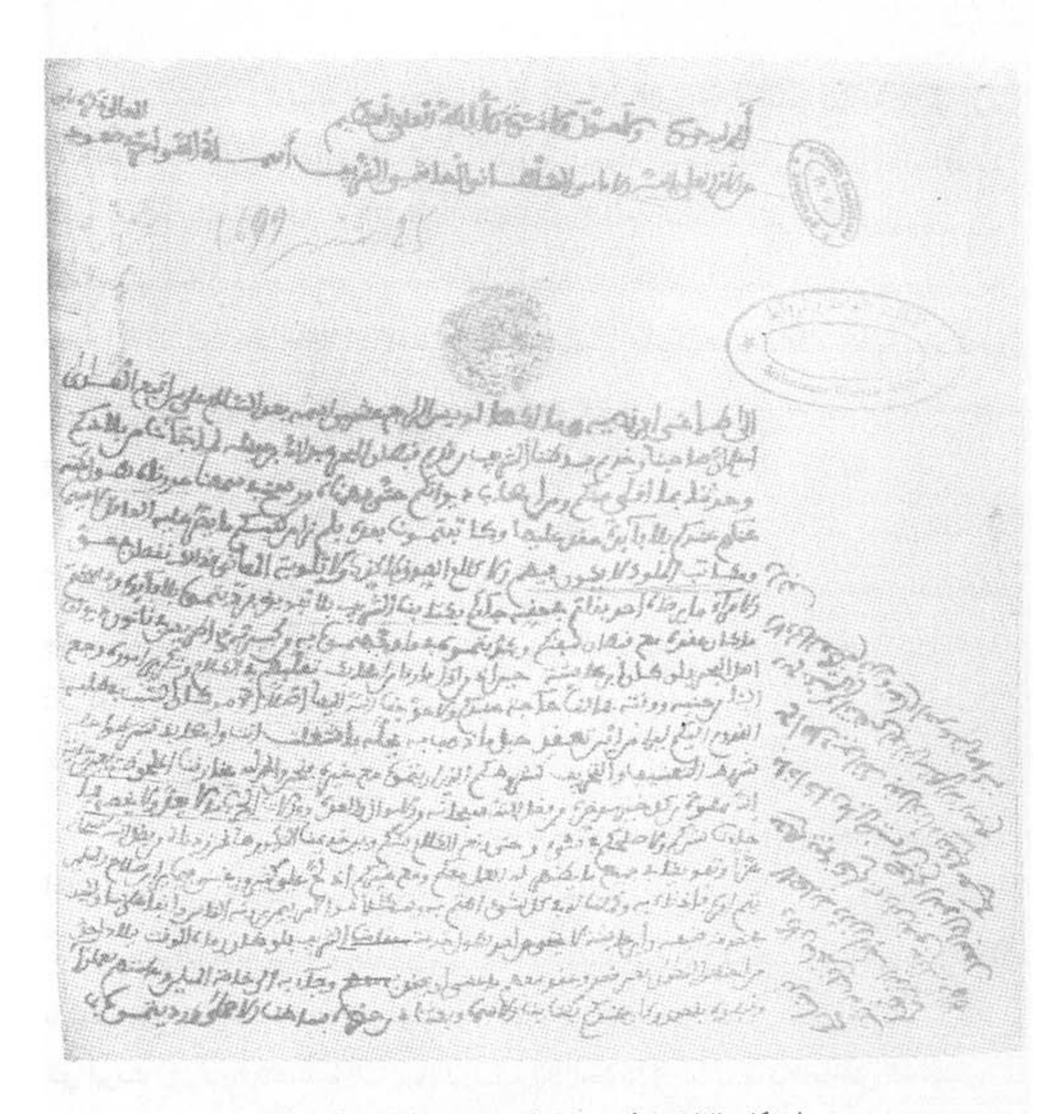
ويعتبر السلطان سيدي محمد بن عبد الله (محمد الثالث) أبرز شخصية دولية في هذه الفترة بما أوتيه من قوة شخصية وبعد نظر، وقد عرف عهده بأنه العهد الدبلوماسي للمملكة المغربية. وهو الذي أبرمت في أيامه الاتفاقية المغربية الفرنسية 1180=1767. بعد معركة العرائش العظيمة.

لقد ورد على المغرب سفير هو الكونط دوبرنيون (Comte de Breugnon) وتم إبرام اتفاقية سلام بين الملك محمد الثالث وبين لويز الخامس عشر بتاريخ 29 ذي الحجة 1180=28 مايه 1767[(2)].

ومن المهم أن نشير هنا الى أهمية الفصل التاسع الذي يضمن حياد فرنسا في حالة وقوع

1) S.I.H.M. France, S.2, T.5, p. 399-400.

2) ابن زيدان، الاتحاف III، 266 طبعة ثانية، تقديم د. التازي، استقصا 8 و 21.



«... إن مكاتب الملوك لا يكون فيها إلا كلام الصدق بلا كذب ولا التواء المعاني».

رسالة من المولى اسماعيل إلى لويز الرابع عشر ملك فرنسا ،أواخر ربيع الأول 1111 = 25 شتنبر 1699

وبمناسبة وفاة لويز الخامس عشر بعث العاهل برسالة الى لويز السادس عشر وكانت بتاريخ 10 جمادى الثانية 1188=18 غشت 1774 جواباً عن رسالة لويز بتاريخ 12 مايه 1774وفيها يخبره بوصول الرسالة التي ينعي فيها الملك لويز الخامس عشر، وهو لأجل ذلك يتقدّم بالتعازي الى الملك الجديد ويجدد معه العهد. وقد حمل الرسالة الى فيرساي عبد الله شكالانط...

سفارة الطاهر فنّيش بباريز

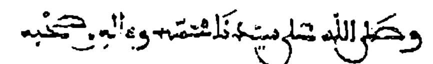
وفي أثناء سنة 1191=1777 حدث أن غرقت سفينة فرنسية «لالويز» في عرض سواحل الصحراء المغربية وبالضبط في : رأس بوجدور فهبّ رجال السلطة الى إنقاذ من كان فيها من البحارة، وبهذه المناسبة بعث محمد الثالث سفارة برئاسة القائد الطاهر فنيش الذي أخبر «عظيم الفرانصيص» بما قدّمه المغرب من إسعافات رعيا للمهادنة والصلح.

ولابدّ أن نذكّر هنا، بما رددتْه مختلف المصادر عن الهجوم الفرنسي الذي تعرضت له سلا و العرائش عام 1178-1765، باعتبارهما قاعدتين لبناء الأسطول المغربي. وقد مني المهاجمون بهزيمة منكرة الأمر الذي أرغم الحكومة الفرنسية على الاعتذار، وأبرمت اتفاقية صلح مغربية فرنسية عام 1180-1767.

وسنسجل للتاريخ أنه، نتيجةً لتدخل القائم بالأعمال الفرنسي وجه السلطان مولاي سليمان ابن محمد الثالث يوم 15 ربيع النبوي 1222 = (23 مايه 1807) الى نابليون الأول يخبره بأن القنصل أورنانو (Ornano) أنهى إليه ما حدث من الوقائع والحروب مع أعدائه من أجناس النصارى الى أن أظفره – الله على خصومه، وعليه فإننا – يقول العاهل المغربي – وجهنا إليكم بقصد التهنئة سفيرنا الحاج ادريس الرامي مع بعض الهدايا للذكرى.

وبوفاة السلطان المولى سليمان جلس على العرش المغربي وبوصية [1] منه ابن أخيه السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام الذي نراه يدشن علاقته مع فرنسا بإقرار الاتفاقية التي أبرمها جده محمد الثالث مع فرنسا سنة 1180=1767، وكان هذا الإقرار بتاريخ 1239=1823.

1) كان الذي كشف عن وصية السلطان مولاي سليمان هو الحاج الطالب بن محمد بن جلون، أبو العلاء : الابتسام عن دولة ابن هشام، مخطوط، تقديم عبد الهادي التازي، مجلة (المناهل) المغربية 1987، المخطوط صفحة 76-77.

الحمد لله وحده 



يعلم من هذا الكتاب الكريم أسماه الله وأعز أننا عقدنا الصلح مع جنس الموسكوس هذه العقدة التي تتضمن الاستلزام بعدة الفصول المذكورة في هذا الكتاب لما رأينا في ذلك من الصلاح والسداد والرفق للجانبين وذلك على سبيل الدوام والتأبيد إن شاء الله

الفصل الأول إن العمل في فداء الأسارى مسلمين ونصارى رأس برأس مسلم في نصراني أو نصراني في مسلم ولا يزاد على ذلك من الجانبين

الفصل الثاني إذا كان لكم أسارى عندنا ولم يكن عندكم أسارى مسلمين تفدون بهم إخوانكم وكان لنا أسارى عندكم ولم يكن عندنا من جنسكم ما نفدي به أسارانا فإن الجانب الذي لم يكن عنده أسرى يعطي مائة ريال كبيرة عن كل أسير والأسارى كلهم سواء لا يعتبر فيهم غني ولا فقير ولا مرتبة

الفصل الثالث عند رأس كل سنة يكون فداء الأسارى على الوجه المذكور وهو رأس برأس إذا كان الأسرى موجودين في الجانبين أو مائة ريال عن كل أسير إن الجانب الذي لم يكن عنده أسارى ولا يبقى الأسير في الأسر أكثر من سنة وإذا كان أسير عند أحد من الرعية فالسلطان يلزمه الفداء على الوجه المذكور

الفصل الرابع الشيخ الذي جاوز سبعين سنة والمرأة مطلقا كيفما كانت كبيرة أو صغيرة لا سبيل لأحد عليهم ولا يؤسرون

الفصل الخامس المركب الحامل للقوت وهو القمح والشعير والرز وجميع الحبوب وأما الإدام مثل الزيت والسمن والشحم والعسل فليسوا من القوت وسواء حمل القوت من بلاد المسلمين أو من بلاد النصارى فلا يتعرض له أحد من المسلمين ولا من النصارى لأنه يمكن أن يكون متوجها به إلى قوم جائعين فإذا حيل بينهم وبين ذلك القوت هلكوا ويكون متسببا في هلاك كل نفس من المخلوقات وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم في كل ذي كبد حراء أجر وإذا كان في مركب القوت سلاح أو سلعة فإن السلعة والسلاح يوخذ والمركب والبحرية والقوت لا يتعرض لهم أحد في سابع من شعبان عام إحدى وتسعين ومائة وألف

تصريح مكناس 1191 - 1777 الذي رفعه فنيش الى باريز

وبعد احتياج الجزائر من لدن فرنسا (محرم 1245 = يونيه 1830) اتخذت علاقتنا مع الجار الجديد شكلاً آخر، وأصبح علينا من جهة أن نسند إخوتنا في الجزائر، كما أمسى واجباً أن نعرف أننا أمسينا أمام دولة قوية يحسب لها حسابها !

ولقد كان في صدد القرارات التي تبنّاها المغرب فتح صدره لكل الذين يعانون من ذلك الاحتلال، ولاشك أن مثل هذا القرار لم يكن بالذي يرتاح له المحتل، ومن هنا وجدنا أن السفارات الفرنسية تتقاطر على الحكومة المغربية مستعملة اللغة الدبلوماسية والعسكرية !

وفي هذا الإطار شاهدنا بعثة فرنسية بمكناس 1248=1832 برئاسة الكونت دومُورني (DE MORNAY) الذي كان مصحوباً بالرسام المعروف دولاكروا...

وردت البعثة على العاهل المغربي مولاي عبد الرحمن لحمل المغرب على وقف مساعدته للجزائر، ومن هنا ابتدأت السلسلة الجديدة من علاقتنا بفرنسا : اثنان وثمانون سنة من المنغصات والاستدراجات والمواربات.

وهكذا فأمام المناصرة المغربية المتوالية تقرر إرسال البارون فريديريك دولاري F De Laru الى العاهل المغربي لتقديم احتجاج فرنسا وتهديد المغرب بأسوأ العواقب.

لقد عثروا على رسالة للعاهل المغرب موجهة للأمير عبد القادر يقول فيها من جملة ما يقول :

«... إن عادة الله في هذا العدوّ الأصفر أن يوبقه ببغيه كما وقع له بمصر وغيرها وأذكرك غزوة وادي المخازن على عهد السعديين فإن أعداه الله خرجوا من مائة وخمسة وعشرين ألف فارس فهزم الله الكافرين...».

وتدهورت العلاقات ورأينا قطعة من الأسطول الحربي الفرنسي تتألف من 28 بارجة تدخل خليج طنجة في فاتح غشت 1844... وتم قصف المدينة على مرأى ومسمع من البعثات الأجنبية المعتمدة بطنجة.

وقد تحرك الجيش المغربي نحو شرق المغرب لما بلغه من أخبار عن تهديد وجدة وتازة وفاس !

ولم يشعر الجنود المغاربة إلا وهم أمام جيش جراراً حيث جرت يوم 15 شعبان 1260=14 غشت 1844 معركة ايسلي التي قصمت ظهر المغرب في وقت كانت فيه مدينة الصويرة تتعرض



السفارة المغربية التي حضرت احتفالات 14 يوليه 1885 بأمر من الملك الحسن الأول، يتصدر المقعد عامل وجدة عبد الملك السعيدي وعن يساره قاضي فاس عبد الواحد بن المواز الذي جلس عن يساره ابنه الكاتب أحمد بينما جلس عن يمين العامل كاتبه الحاج بوبكر، يقف خلف السفارة القواد المغاربة يحتف بهم ثلاثة ضباط فرنسيين والكل بالزي الوطني الرسمي

تصوير : بيير بوتي عن مجلة اليسطر اسيون عدد 11 يوليه 1885 .

للقصف. وكان على المغرب أن يوقع اتفاقية مهادنة وصلح كانت بنودها على نحو ما تكون عليه الاتفاقيات التي تبرم في ظروف مثل هذه الظروف...

وحتى تتم تنسية هذه الأحداث أصرت فرنسا على إرسال سفير مغربي الى باريز، ويتقرر ارسال الحاج عبد القادر اشعاش عامل تطوان الذي حمل خطاب الاعتماد بتاريخ 17 شوال 1216=9 أكتوبر 1845.

وقد قررت فرنسا إرسال سفارة الى مراكش برئاسة دوشا سطو DE CHASTEAU حيث تم استقبالها يوم عيد الأضحى 12 دجنبر 1846.

وفي ظروف جد صعبة، بسبب احتلال اسبانيا لتطوان وتوقيع المغرب لاتفاقية 26 أبريل 1860 التي تقضي بأداء عشرين مليون ريال لافتداء تطوان، في هذه الظروف بعث السلطان (محمد الرابع) بسفارة مغربية الى فرنسا برئاسة ابن ادريس العمراوي... ويرسل نابليون بقنصل جديد هو بيكلار Beclard حاملا رسالة تطلب ابرام اتفاقية جديدة...

وفي إطار البحث عن تسوية لقضية الحدود راحت سفارة مغربية لمقابلة الأمبراطور نابليون برئاسة الحاج عبد الرحمن العاجي... تبعتها أخرى برئاسة القائد الشركي... ثم أخرى برئاسة الحاج محمد الزبدي وكانت تهدف الى الحدّ من الحمايات التي أخذت القنصليات الأجنبية تمنحها للمواطنين المغاربة الأمر الذي زاد في إضعاف الدولة المغربية !

وتتوالى التدخلات والمنافسات بين أطماع الدول الأروبية ويسجل التاريخ عام 1880 توزيع سائر افريقيا بين تلك الدول في غيبة الأفارقة أصحاب الأرض [1].

وفي محاولة دبلوماسية لاستدراك ما يضيع حضرت سفارة مغربية برئاسة عامل وجدة عبد المالك السعيدي معززا بقاضي فاس عبد الواحد ابن المواز حضرت حفلات 14 يوليه 1885 بأمر من الملك (الحسن الأول) وتتوالى البعثات المتبادلة بين الجهتين على نحو ما تتوالى سياسته الاستدراج والاستغفال والتطويع !

وبعد وفاة الملك الحسن خلفه ابنه مولاي عبد العزيز الذي سار على نهج والده في مصانعة فرنسا فأعطى موافقته على مشاركة المغرب في معرض باريز على نحو ما كان في الماضي.

---

(1) Carte extraite du Grand Atlas de l'histoire mondiale publié par les éditions AL BIN MICHEL - Encyclopaedia universalis

لكن كل هذا لم يمنع الجنود الفرنسيين المحتلين للجزائر أن يتحركوا لتوسعة خطوط حدودهم مع المغرب ! وعبثا كانت السفارات والاحتجاجات.

وإن الذي يعرف عن الحالة التي وصل إليها المغرب ليدرك بسهولة أنه لم يبق هناك من أمل في كبح أطماع الدول الأروبية التي كانت تتسابق الى توزيع المغرب الذي وجدناه يعلق الآمال على حركة مولاي عبد الحفيظ الذي انتزع الملك من أخيه مولاي عبد العزيز في رجب 1325=غشت 1907.

وقد كان هذا الملك يحلم بالاعتماد على مساعدة من العثمانيين الأتراك الذين كانوا بدورهم على شفير الهاوية... !

وتوالت المتاعب على هذا المغرب الذي كان الى أمس القريب محل ثلاثين دولة كانت له معها علاقات دبلوماسية على ما عرفنا...

لقد أمسى مولاي حفيظ يواجه المجموعة الدولية كلها بينما كانت الحالة الداخلية تزداد انهياراً ولم يكن غريبا أن نسمع عن وجود الوزير الفرنسي المعتمد رونيو يقوم بزيارة للعاصمة فاس حيث قدم للعاهل المغربي مشروع وثيقة الحماية الفرنسية للمملكة المغربية !!

وهكذا انتهت الاجتماعات المتوالية بوضع خاتم السلطان على الاتفاقية (30 مارس 1912) التي كان من أبرز فصولها إسناد الشؤون الخارجية فيها الى المقيم العام الفرنسي، علاوة على ما تتضمنه من فصول أخرى لقد كانت الحماية ضرورة سياسية لا مناص منها أمام الأوضاع...

الفصل الثالث

المغرب - اسبانيا

- العلاقات المغربية الاسبانية
- الموقف من احتلال الثغور المغربية
- السفارات المتبادلة
- رفض مولاي سليمان لضرب اسبانيا من الخلْف وارجاع سبتة !؟
- الوضع مع اسبانيا بعد النزول الفرنسي بالجزائر
- اجتياح تطوان بعد موقعة ايسلي !
- المحاولات المغربية للإنقاذ
- احتلال اسبانيا لجنوب المغرب في أعقاب اتفاقية 1880
- نصب الحماية الاسبانية لشمال المغرب

العلاقات المغربية الإسبانية

مهما كان شعور الدولة العلوية بالثمار التي يمكن أن تقطفها من حفاظها على سياسة حسن الجوار بينها وبين الذين يوجدون على مرمى حجرة منها، فإن هذا الشعور كان يتلاشى في أكثر الأحيان أمام رؤية الجيران وهم يحتمون على قطعٍ من ترابها الوطني ! وبالرغم من أن المغرب كان يلجأ في بعض الظروف لاستعمال القوة من أجل استرجاع ثغوره فإنه قد خارت قواه العسكرية كان يلجأ لاستخدام الوسائل الدبلوماسية المتمثلة في مواصلة الحوار...

وهكذا نجد المولى اسماعيل يحرر المعمورة من الإسبان يوم 11 ربيع الثاني 1092=30 أبريل 1681 حيث أخذت من الآن اسم «المهدية».

وبعد أن يحرر طنجة من يد الإنجليز 1095=1684 يتجه نحو العرائش المحتلة من الإسبان[1].

وبمقدار ما تعاظم الإسبان عن قبول عرض السلطان مولاي اسماعيل بالجلاء عن العرائش بمقدار ما زاد تصميم العاهل على استخلاص المدينة معتمداً في ذلك على قوة إيمانه وعظمة جيشه، وهكذا رفع المحتلون راية الاستسلام يوم 27 شوال 1100=24 غشت 1689 وسيق زهاء ألفى أسير نحو العاصمة مكناس، وغنم سائر ما في المدينة من معدات.

---

1) Tomas Garica Figuera, Carlos Rodriguez Joulia Saint-Cyr., Laracha, Madrid, p. 411-412

ولقد عمت الفرحة سائر جهات المغرب وطيّر الخبر لتحرير العرائش الى تنبكتو، ومن هنا استبدل الناس لباس النعال السود بالنعال الصفراء الزاهية الألوان ولكن من غير أن ينسوا سبتة !

ولقد استدعى أسر المئات من عيون الضباط الإسبان، تحرك الدبلوماسية الإسبانية لدى العاهل المغربي. وبعث دون كارلوس الثاني بالفرايلي خوان Frailc Jnan الذي كان يحمل رسالة الى السلطان المولى اسماعيل حول الأسرى الأمر الذي أجاب عنه العاهل حالاً...

وهكذا بعث مولاي اسماعيل بسفارة يرأسها الوزير حمّو بن عبد الوهاب الغساني معززاً بالكاتب عبد السلام جسوس حيث وجد في استقباله مبعوثين من لدن الملك كارلوص وعلى رأسهم «النصراني الحلبي» الترجمان [1].

ولقد ألقى على سفير المغرب سؤال حول العادة المتبعة في مثل هذه المقابلات وكان أن أخبرهم الغساني بأننا نقول : السلام على من اتبع الهدى ! ويذكر الدبلوماسي المغربي أن ملك اسبانيا تعجب من صيغة هذا السلام لأنه لم يعتدها ولكنه لم يسعه إلاّ قبولها !![2].

لقد رحّب بنا الملك - يقول الغساني - ولم يقصر في الترحيب والإكرام وسأل عن سيدنا المنصور بالله، وحين ذكره أزال شمريره (قبعته) من على رأسه إجلالاً وتكريماً [3] فقلنا له : بخير بحمد الله تعالى... وناولناه الكتاب السلطاني بعد تقبيله ووضعه على الرأس فتناوله بيده وقبله.

كانت الرسالة التي حملتها السفارة بالغة الأهمية من الناحية القانونية، فهي ولو أنها تناولت قضية استرجاع المخطوطات المغربية التي استولى عليها القراصنة منذ عهد السلطان زيدان بن أحمد المنصور الذهبي[4]، وعلاوة على أنها أعادت الى الأذهان ما عاش فيه مسلموا الأندلس بالأمس

1) ماروني من حلب الشام كان يرافق السفير المغربي في اسبانيا...

2) لا بدّ أن أشير هنا لردود الفعل التي كانت تخلقها هذه التحية سواء في البلاطات الأوربية... بل وكذلك لدى الرؤساء الأمريكان أيام الملك محمد الثالث !!

3) مجلة القنطرة 1985 Mariano Arribas Palau : AMB. Alghssani (Alqantara)

4) راجت حول (المخطوطات المطلوبة) عدة مناقشات بين مختلف المجالس الإسبانية المعنية وقد اعترضت الكنيسة بصفة جدّ قوية على المطلب المغربي باستعادة المخطوطات، وهكذا ادعى كارلوص أن بعضها تلف مع الزمن، وبعضها تعرض لحريق الأسكوريال سنة 1671 بل إن الأوامر صدرت الى المشرفين على دير الأسكوريال بأن لا يجعلوا مرور السفير على مكان تكون له صلة بالمخطوطات !!

من معاناة نتيجة لعدم الوفاء لهم بالمواثيق والشروط، علاوة على كل ذلك تتناول الرسالة الموضوع الهام عند المغاربة بالأمس واليوم وغداً وهو موضوع الثغور المحتلة التي حسم فيها السلطان مولاي اسماعيل على أساس أن كل ما أخذ تحت الضغط فهو غير مقبول من الناحية الشرعية.

وقد ودّعت السفارة مدريد في اليوم الأول من رمضان عام 1102-29 ماي 1691 في اتجاه الديار المغربية، وقد اغتنم الغساني هذه الفرصة ليتحدث في رحلته أيضا عن المعالم التي شاهدها أثناء العودة وأعطى معلومات جدّ ثمينة عن مسجد طليطلة، ولكن بتر الرحلة من الآخر حال دون اطلاعنا على ما كان وعد به من إعطاء تفاصيل عن مسجد إشبيلية[1].

استرجاع أصيلة

والمفاوضات حول تحرير الأسرى جارية، والهدايا الإسبانية في طريقها الى مكناس، يقوم المولى اسماعيل بمحاصرة أصيلا لتحريرها من قبضة الإسبان الذين تغلبوا عليها عند انهيار دولة السعديين...

وهكذا صدرت الأوامر بضرب الحصار الذي نال من معنوية الحامية الإسبانية التي تعلم الشيء الكثير عن مصير حامية العرائش بالأمس القريب !!

ولم يسع الحامية إلا أن تطلب الأمان وترفع الراية البيضاء الأمر الذي استجاب إليه قادة الجيش المغربي الذي سمع للمتحلّين بمغادرة المدينة.

حصار سبتة

وقد تجلى للإسبان أن السلطان المولى اسماعيل مصمم العزم على استرجاع الثغور التي ما تزال ترزح تحت نيرهم فقذفوا بكل قواهم ومعداتهم الى سبتة ومليلية وبادس.

واتجه العاهل المغربي بدوره نحو سبتة فأمر بحفر الخنادق وإقامة المتارس وإجلاب الجيش إليها من كل صوب وهنا يبتدئ الطويل المرير سواء في الميدان العسكري أو على الصعيد الدبلوماسي[2].

1) نشرت هذه الرحلة مبتورة من لدن ذ. الفريد البستاني، انظر التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج. 9، ص. 109 تعاليق 9.

2) حول حصار سبتة راجع ابن العياشي في تأليفه البستان، وأيضا دوكاستري : فرنسا - المغرب سلسلة 2، مجلد 4، ص. 429/361.

خزانة التازي

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

من عبد الله إسماعيل المتوكل على الله المفوض أموره إلى الله أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين الشريف الحسني أيده الله آمين



إلى عظيم الروم وملك أقاليم إسبانية وسائر بلاد [illegible] والمتولي أمورها والمتصرف في أقطارها دون كارلوس

[illegible]

الخطاب الهام الذي وجهه السلطان مولاي إسماعيل إلى كارلوس بتاريخ 16 ذي الحجة 110 =21 شتنبر1690

« إن كل ما أخذ من الثغور المغربية بالقوة باطل شرعا...».

وقد جدّ حادث في هذه الأثناء علق عليه المولى اسماعيل أملاً كبيراً من أجل استرجاع سبتة عن طريق بريطانيا، فقد احتلت جبل طارق يوم 2 ربيع الثاني عام 1116=4 غشت 1704 أثناء صراع الأمبراطور النمساوي ومعه حلفاؤه انجلترا وهولاندا وإيطاليا والبرتغال، ضدّ ملك اسبانيا فيليب الخامس وضد جده لويز الرابع عشر ملك فرنسا. لكن موقف بريطانيا لم يكن إيجابيا...!

وحسبما يرويه ابن العياشي في مخطوطته «البستان» فإن مولاي اسماعيل تمكن فعلاً من طرد الاسبان عن سبتة وبادس[1].

وبالرغم من بعض الاضطراب الذي عرفته البلاد بعد وفاة السلطان المولى اسماعيل فقد رأينا السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل يعود الى حصار تلك المواقع منذ أيامه الأولى سنة 1141=1732.

ويصبح الأمير سيدي محمد سيد البلاد بعد وفاة أبيه المولى عبد الله فتعرف الثغور المغتصبة تطورات جديدة.

وهكذا أصبح هذا العاهل الجديد يخطط لمحاصرة سائر المواقع سواء منها التي توجد على البحر المتوسط أو على المحيط الأطلسي...

ومن هنا قصد شمال المغرب وزار نواحي سبتة ليقف بنفسه على ما يمكن عمله من أجل استرجاع المدينة، وكان ذلك خلال سنة 1172=1758-1759.

وفي هذه الأثناء كانت هناك قضية أخرى تشغل بال العاهل المغربي : تلك هي مشكلة الأسرى التي أقلقت دول أروبا ! فقد تجمع في المغرب عدد مهم من هؤلاء ممن كانوا يقعون في قبضة رؤساء البحرية المغربية... كما أن هناك عدداً آخر من المسلمين ممّن كانوا وقعوا في يد القراصلة الأروبيين وهكذا قرر الملك محمد الثالث إرسال سفارة الى اسبانيا لمقابلة الملك كارلوص الثالث حول الأسرى، وهكذا رشح بالفعل الكاتب أحمد بن المهدي الغزّال ليقوم بدَوْر الوسيط...[2].

فهل نسي العاهل المغربي محمد الثالث ملف الثغور المحتلة ؟

1) لا يبعد عندي ذلك لأن الأمر يتعلّق بإحكام التربّص للحامية الموجودة في الثغر، وهكذا فإنه من الجائز جداً أن يتم الإجلاء ثم أن يعود الاحتلال عند ضعف التربّص...

2) يوجد قبر أحمد الغزّال (ت 1191) في ليكسوس (العرائش) انظر كتاب : مدينة ليكسوس الأثرية، لأحمد المكناسي، تطوان 1961، وتذكر مخطوطة الروضة السليمانية للزياني وكتاب الاستقصا كذلك (8-23-24) أن الغزال إنما كان ملحقاً في البداية بالبعثة وأنه لم يلبث أن سمى على رأسها...

إننا نجد الجواب في القرار الذي اتخذ الملك لِمحاصرة مدينة مليلية والمواقع المجاورة...

لقد وردت في كتاب هوست القنصل الدانماركي حول تاريخ الأمبراطور محمد بن عبد الله الإشارة الى الرسالة التي بعث بها ملك المغرب الى ملك اسبانيا بتاريخ 17 رمضان 1188=21 نونبر 1774 بعد أن قرر الالتجاء الى السلاح للدفاع عن البلاد وأنه سيقوم بالجهاد ليس من أجل الحصول على مكاسب دنيوية ولكن أداءً لما يفرضه الواجب !

وقد بدأت الأعمال الحربية يوم 5 شوال 1188=9 دجنبر 1774 واستمرت ثلاثة أشهر على ما يذكره المؤرخون وتؤيده كتب الفتاوي. لكن الملك اضطرّ تحت خذلان الجار الى ترك الحصار[1]... ولقد عرفت العلاقات بعد هذا ظروفاً أقرب الى الحوار منها الى الصدام، وهكذا نتوفر على عدد من الوثائق والمراسلات تعكس جوّ التفاهم الذي أخذ يسود الصلات بين البلدين...

وفي هذا الإطار تأتي السفارة الهامة التي بعث بها محمد الثالث الى ملك اسبانيا كارلوص والتي كان على رأسها الكاتب السيد محمد بن عثمان يعززه الرايس علي بيريس وقد ابتدأت من شوال 1193 = أكتوبر 1779 وانتهت في شهر المحرم 1194 = يناير 1780.

وقد أسفرت المفاوضات عن عقد الاتفاقية المغربية الإسبانية بتاريخ 26 جمادى الأولى 1194=30 مايه 1780 كما أسفرت عن الحصول على بعض المخطوطات.

1) انظر التاريخ الديبلوماسي للمغرب، الجزء التاسع.



سفارة ابن عثمان لاسبانيا، شوال 1193 محرم 1194 أكتوبر 1779 يناير 1780 عن لوحة في قاعة اجتماعات الديوانة في برشلونة مهداة من عميد جامعة برشلونة جوزيف بريكول عام 1992 إلى المؤلف.

من كتاب القدس والخليل في الرحلات المغربية تأليف د.عبد الهادي التازي نشر منظمة ايسيسكو 1418 =1997 صفحة 27.

وبمجرد وفاة الملك محمد الثالث بتاريخ 24 رجب 1204=9 أبريل 1790 بويع ابنه المولى اليزيد الذي مضي في جمع العتاد الحربي في تطوان تمهيداً للغارة على سبتة.

وهنا عزم المولى يزيد على قبول الاقتراح الذي عرضه عليه الملك كارلوص بإيفاد سفير الى مدريد وعين لهذا المنصب السفير محمد بن عثمان وذلك حسب رسالة الاعتماد التي كانت تحمل تاريخ 4 ربيع الثاني 1205=11 دجنبر 1790.

ولكن المولى اليزيد سرعان ما اضطر للالتحاق بمراكش بسبب تزايد معارضة الأمير مولاي هشام أخيه للأب وهكذا جمّد ملف سبتة بعض الوقت... ولم تلبث الأحوال الداخلية للبلاد أن قادت السلطان مولاي سليمان بن محمد بن عبد الله الى الحكم.

ومن المعروف أن السلطان المولى سليمان دشن سياسته الخارجية بتعيين الدبلوماسي المعروف محمد ابن عثمان وزيراً مكلفاً بالاتصال بالسفراء الأجانب. وقد كان تعيين ابن عثمان فرصةً لطرح قضية العلاقات المغربية الإسبانية وبخاصة مسألة الحدود.

وكما حصل أيام الملك محمد الثالث فقد تقدم كارلوص الرابع ملك اسبانيا والهند بمشروع اتفاقية اسبانية مغربية، وقد انتهت المفاوضات الى اتفاقية مكناسة الزيتون الموقعة يوم 22 رمضان 1213=1 مارس 1799 من طرف الكاتب محمد بن عثمان عن الجانب المغربي[1].

ولقد صادفت أيام المولى سليمان اكتساح نابليون لطائفة من الأراضي الإسبانية وإرسال البعثات السياسية من طرف نابليون لطلب مساعدة العاهل المغربي ضد اسبانيا...

وذكر المؤرخ البريطاني نيفيل باربر أن نابليون عرض على المولى سليمان إرجاع سبتة ومليلية للمغرب إذا ما اعترف السلطان به ملكا على اسبانيا وقطع مساعدته لبريطانيا في جبل طارق... ولكن العاهل الذي كان يقدر الموقف تقديراً صحيحاً ودقيقاً لاسيما وقد توصل من استانبول برسالة عن وضع مصر بعد دخول نابليون إليها رفض عرض نابليون ! [2].

1) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج. 9، ص. 130-129.
2) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج. 9، ص. 132-131.

ولقد لاحظنا أن العلاقات تتدهور بين اسبانيا والمغرب في أعقاب النزول الفرنسي بالجزائر حيث كنّا مضطرين، ونحن في مواجهة هذا الطارئ الجديد، الى تجميد ملف مشاكل حدودنا في المناطق التي تستعمرها اسبانيا على البحر المتوسط...

ونحن في شغلٍ شاغلٍ مع الجيش الفرنسي في الواجهة الشرقية، وبينما المغرب يئن من جراحه في أعقاب انتكاسة إيسلي (1844)، إذا بالأطماع الإسبانية تجد الفرصة في نفس عام 1844 لتتقدم بمطالبها السبعة التي تحمل تاريخ 5 رجب 1260=23 يوليه 1844.

ولم تكمل ثلاثة شهور حتى فوتحت الحكومة المغربية من جديد في شأن توسيع حدود سبتة أيضاً حيث نجد الوثيقة التي تحمل تاريخ 23 رمضان 1260 = 7 أكتوبر 1844 [1].

وقد جاءت بعد كلّ هذا «التسوية» التي وقعت بالعرائش بتاريخ 28 ربيع الثاني عام 1261=6 مايه 1845 وهي تحمل توقيع قنصلي بريطانيا واسبانيا وطابع العامل بوسلهام...

فهل اكتفت اسبانيا بمكاسب اتفاقية سادس مايه 1845 ؟

لقد أقدمت يوم 6 يناير 1848 على عملٍ جديد، ذلك أنها، منافسةً لفرنسا، قامت باحتلال الجزر الجعفرية الثلاثة [2] المعروفة بجزر كبدانة أو جزر ملوية شرقي مدينة مليلية !

وبالرغم من أن المغرب لم يكن يستغل هذه الصخرات على هذا العهد فإن السلطان مولاي عبدالرحمن قام برفع شكواه الصارخة الى الملكة فيكتوريا (بريطانيا) ضد هذا الاحتلال، وقد كانت الشكوى الى بريطانيا تشبه الشكوى اليوم الى مجلس الأمن [3].

وفي أعقاب اشتباك على الحدود وجد الجيش الإسباني الفرصة للتوغل داخل التراب المغربي بتاريخ محرم 1276 = غشت 1859 في وقتٍ كان فيه السلطان مولاي عبد الرحمن يجود بأنفاسه الأخيرة !!

---

1) الإتحاف 3، ر. 202.

2) الجعفرية نسبة الى قبيلة بني جعفر أو الجعافرة كما يسميهم الناصري في الاستقصا 7، ر. 21.

Comision Historia : Geograifia de Marruecos, T. II, Madrid 1936, p. 305.

د. التازي، الثغور المغربية المحتلة، البحث العلمي، عدد 26، 1396=1976

3) مجلة الوثائق المغربية، 2، ص. 136.

وهكذا كانت اتفاقية تطوان 24 محرم 1276=24 غشت 1859 التي وقعها عن اسبانيا دون خوان بلانكوديل فال (Blancodi Fall) ووقعها عن المغرب محمد الخطيب[1].

ولقد علمتنا التجربة في جيراننا سواء في شرق المغرب أو شماله أنهم يختارون لتنفيذ مخططاتهم ظروف الوفيات، وهكذا فعلى إثر وفاة السلطان مولاي عبد الرحمن رحمه الله بعث القنصل الإسباني الى النائب السلطاني محمد الخطيب بمطالبه الجديدة في أعقاب الاشتباكات التي شبت بين قبيلة أنجزه وبين حامية سبتة بتاريخ 5 شتنبر 1859=6 صفر 1276 تلك «المطالب» التي تراها دولته كفيلة برد الاعتبار للشرف الإسباني!

وهكذا جُرَّت المملكة المغربية المتهالكة الى الحرب في الشمال مع دولة أوربية أخرى ولما تستجمع أنفاسها من نكستها في وقعة إيلسي !

وتمّ اقتحام مدينة تطوان صباح الإثنين 13 رجب 1276=6 يبراير 1860 ! وانتهت هذه النكسة كما انتهت سابقتها في (يسلي) الى معاهدة للصلح والسلام، من ستة عشر بندا[1].

لقد مكنت حرب تطوان الإسبان من تحقيق رغباتهم، ولم تكن جلجلة العشرين مليوناً المفروضة على المغرب بكافية، ولا كذلك (توسعة) الحدود في كل من مليلية وسبتة، فإن المادة الثانية عشرة من الصلح تنص على إبرام اتفاقية تجارية بين البلدين «المتصالحين» ولهذا فقد أصرت اسبانيا على أن تتوجه سفارة مغربية الى مدريد ليس فقط للتعبير عن (ضرب الصفح عن الماضي) أمام الرأي العالمي، ولكن لإبرام اتفاقية جديدة تتناول ما سمي «بالمسائل التجارية» !

ولقد كان على العاهل - زاد الله في عونه - أن يجتاز مؤامرةً جديدة من نوع خطير، فإن (معاهدة الصلح) تجاوزت منطقة الشمال الى الجنوب لتنص المادة الثامنة منها على الوعد بالتنازل عن بقعةٍ كافيةٍ لإنشاء مركز للصيد على المحيط الأطلسي !!

وقد تقرر إرسال سفارة برئاسة الأمير مولاي العباس الى مدريد في أواخر ربيع الأول 1278 = أواخر أكتوبر 1861 حيث تم إبرام عددٍ من الاتفاقيات منها اتفاقية الجلاء عن تطوان التي تضمنت طريقة الأداء، كما اشتملت أيضاً على عدد من النقاط التي أملتها الظروف وقد وقعت بمدريد بتاريخ 30 أكتوبر 1861= 25 ربيع الثاني 1278.

---

1) محمد داود، تاريخ تطوان 4 ,301-303.

وعندما اعتلى الملك الحسن (الأول) العرش (18 رجب 1290=11 شتنبر 1873) استيقظت اسبانيا للمطالبة بمضمون ما ورد في البند الثامن، وقد كان مما زاد في إلحاحها تنافس الدول الأخرى على كسب موقع قدم في بعض الثغور من الجنوبي المغربي...! [1].

ولو كان سهم واحد لا تّقيته ولكنه سهمٌ وثانٍ وثالث !

وفي هذه الأثناء وبالضبط عام 1880 وقعت الاتفاقية المعروفة بين الدول الاستعمارية، وهي تفضي باقتسام افريقيا في غياب الأفارقة !

وقد صدرت بتاريخ 18 ذي الحجة 1300=20 أكتوبر 1883 التعليمات الى النائب بطنجة تذكر أنه نظراً لاتّصال الدولتين ومحبتهما من قديم فإن لاسبانيا أن تبني محلاً بناحية إفني على وجه الخير والإحسان لا على وجه الشّرط.

وفي الوقت الذي كانت الحكومة المغربية تنتظر من الحكومة الإسبانية تقدير النية الحسنة أقدمت الجيوش الإسبانية على مبادرة طائشة عندما قامت كتيبة عسكرية باحتلال رأس بوجدور ومتابعة سيرها فارضةً حمايتها على رؤساء القبائل... ولم تلبث أن بعثت بتاريخ 26 دجنبر 1884=27 ربيع الأول 1301 بمنشور الى الدول الأجنبية تعلن فيه أنها بسطت حمايتها على الشاطئ الغربي الافريقي طبعاً في إطار اتفاقية 1880 سالفة الذكر !

ومع ذلك وحفاظاً على رباط الود تقرر إرسال سفارة مغربية أخرى أبحرت يوم السبت 13 صفر 1303=41 نونبر 1885 للاجتماع بالملك الفونسو الثاني عشر الذي لم يقدّر له أن يجتمع بالبعثة الدبلوماسية المغربية لأن المنية اخترمته في نفس اليوم الذي وصلت فيه السفارة المغربية الى مدريد... وكانت السفارة برئاسة عبد الصادق بن أحمد الريفي الذي كان مصحوباً بأمين سر السفارة أحمد الكردودي الذي دوّن هذه الرحلة...[2].

ومن المهم أن نشير هنا للخطاب الذي بعث به السلطان المولى الحسن بتاريخ 4 رمضان 1303=6 يونيه 1886 الى النائب الطريس حول الحدود الجنوبية الحقيقية للمغرب بعد عودة السفير عبد الصادق.

1) التاريخ الديبلوماسي للمغرب، ج. 10، ص. 51-52.

2) حملت الرحلة عنوان «التحفة السنية للحضرة الحسنية بالمملكة الإصبنيولية لأبي العباس أحمد بن محمد الكردودي (1383=1963) المطبعة الملكية، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج. 1، ص. 273.



سفارة بريشة إلى إسبانيا 29 رجب 1312 =26 يناير 1895.

وإن ما يصور لنا سهر المغرب الزائد إزاء مشاكل الحدود والثغور التي تقضُّ مضاجعه أن نجد بعثة مغربية أخرى تروح الى اسبانيا في 20 ذي الحجة 1308=27 يوليه 1891، وكانت بقيادة القائد عبد الحميد الرحماني يصحبه الكاتب العباس الفاسي والمستشار الحاج العربي بريشة... وقد عرفنا الكثير عن تفاصيل هذه السفارة وما راج فيها من اقتراحات، ومقترحات مضادة...[1].

وقد كانت هذه التحركات وراء إرسال مبعوث اسباني للمغرب في رمضان 1311=1894 كان هو الماريشال مارتينيز دي كامبوس Martinez Decampos.

1) الإتحاف 2، ص. 337.

وقد أدت هذه الزيارة التي اجتمع فيها العاهل الحسن الأول بالمارشال الى توقيع اتفاقية أبرمت في مدينة مراكش بتاريخ 5 مارس 1894 حيث وقّعها عن اسبانيا ذي كامبوس المذكور وعن المغرب المفضل بن محمد غرنيط وزير الخارجية آنذاك...

ولكن المشاكل مع المحتل لم تنته، فقد تجددت الاحتكاكات مما دعا الى إرسال السفير الحاج عبد الكريم بريشة الى مدريد بتاريخ 29 رجب 1312=26 يناير 1895 من أجل إدخال تعديلات على اتفاقية 1894...

ولم تلبث الأحوال أن تطورت في المملكة المغربية فقد توالى العدوان عليها من كل جانب، بل إن العدوان اتخذ طابعاً جديداً، ذلك أنه «تنسّق» بعد أن كان مبدّداً، وهكذا وجدنا اسبانيا تقوم بعقد اتفاقية سرية جديدة في باريز مع فرنسا بتاريخ 3 أكتوبر 1904 تتضمن ستة عشر فصلاً حدد فصلها الرابع - وفي غيبة عن المغرب طبعاً - منطقة ماسمّي : صانطا كروزدي ماربيكينيا وسلّمها لاسبانيا على حد قول الاتفاقية بمقتضى اتفاقية 1860 !

ويبدو أن آخر سفارة راحت لاسبانيا هي التي تقرر إرسالها من لدن السلطان مولاي حفيظ بن الحسن بتاريخ 9 جمادى الثانية 1326= 3 يوليه 1909 وقد كانت برئاسة الحاج محمد المقري معززا بادريس البوكيلي...

وتستمر العلاقات سائرة من سيء الى أسوأ، ولم يكن في الإمكان تجنب الكارثة أمام تنافس المطامع الأروبية وتردي أوضاعنا الداخلية وهكذا لم يكن هناك اختيار غير خضوع البلاد كلها الى الحماية الأجنبية، ومن تمت وزّع المغرب بين فرنسا واسبانيا عام 1912.

الفصل الرابع

المغرب - انجلترا

- بين السلطان مولاي رشيد والبلاط الانجليزي
- العلاقات المغربية الإنجليزية بعد تحرير طنجة
- الملك محمد الثاني وبريطانيا
- الملك محمد الثالث وجورج الثالث
- المعاهدة المغربية البريطانية في عهد مولاي سليمان
- أيام السلطان محمد الرابع
- العلاقات أيام الملك الحسن الأول

العلاقات بين المملكة المغربية وانجلترا

سجلت أيام السلطان المولى الرشيد منذ البداية تجديد العلاقات بين المغرب وانجلترا، وهكذا فمن أجل تطوير تجارة طنجة التي كانت تحت السيطرة الإنجليزية فكر شارل الثاني في إرسال سفارة الى العاهل المغربي للحصول على الإذن بتنشيط التجارة في ناحية طنجة من جهة، ولمعالجة قضية الأسرى الموجودين في قبضة المغرب من جهة أخرى...

وقد عين على رأس السفارة اللورد هنري هوارد (Henry Howard) الذي وصل الى طنجة بتاريخ 11 غشت 1669 ضمن حاشية فيها الرسام العالمي فاكلاف هولار (Vaclav Hollar) أستاذ شارل الثاني...

وقد وجدت انجلترا نفسها وجهاً لوجه مع السلطان المولى اسماعيل الذي توجه بكل ثقله للضغط على طنجة فور قضائه على الخضير غيلان الذي ظل يتزعم المنطقة.

ومن هنا جاء التفكير في إرسال سفارة مغربية الى انجلترا لمفاتحة الملك شارل الثاني في قضية انسحابها من طنجة، حيث اختار السلطان مولاي اسماعيل لرئاسة هذه البعثة محمد بن حدّو الذي وصل الى انجلترا معززاً بوفد هام كان فيه الكاتب أحمد لوقّش والقائد محمد الحافظ وعدد من المساعدين، استقبل استقبالاً حافلاً على ما تذكره المصادر والتقارير الإنجليزية [1].

1) د. التازي، محمد بن حدو، مجلة أكاديمية المملكة المغربية، عدد 2، 1985، عدد 3، 1986.

ونسجل هنا أن السفير محمد بن حدّو زار الأكاديمية البريطانية وكانت حديثة النشأة وألقى فيها خطابا ووقع على سجلها الذي وقفنا عليه...

ولقد عاد السفير ابن حدّو الى طنجة ما بين الثلاثين غشت وتاسع شتنبر 1682 ومن طنجة سافر ابن حدّو الى مكناس حيث قدم تقريره الى السلطان مولاي اسماعيل مع مشروع الاتفاقية التي كان السفير شرط لتنفيذها عرضها على السلطان. بيد أن العاهل المغربي رفض المصادقة على الاتفاقية التي أبرمها سفيره محمد بن حدّو وقرر تحرير المدينة بالقوة.

من هنا أصدر العاهل البريطاني أمراً بإخلاء المدينة وإفراغها بعد تحطيم المعالم والبروج والأسوار وبخاصة الرصيف الذي أنشأته الحامية البريطانية، وهكذا أرجع السلطان المولى اسماعيل لطنجة وجهها الإسلامي الناصع بعد أن كان الاستعمار حول مسجدها الأعظم الى كاتدرائية !

وبعد استرجاع طنجة تحسنت العلاقات المغربية الإنجليزية بالرغم من بعض أعمال القرصلة، ولم يلبث المولى اسماعيل أن بعث بتاريخ 10 ذي القعدة 1101=15 غشت 1690 برسالة الى ويليام الثالث حول افتداء الأسرى الإنجليز.

وقد ابتدأت المفاوضات بين الجانبين المغربي والإنجليزي حول الموضوع إلا أن الطرفين لم يتوصلا الى اتفاق حول الشروط المقترحة من طرف المغرب لتحرير الأسرى الأروبيين، وهكذا توترت العلاقات بين السلطان المولى اسماعيل وبين ويليام الثالث.

ولم يلبث العاهل البريطاني ويليام أن كتب للمولى اسماعيل بتاريخ 23 يونيه 1700 يقول له : إن دولافال (Delaval) الذي أرسل سفيراً للمغرب ليفاوض حول الأسرى الإنجليز قد أحاط ملك انجلترا علماً بمهمته، وأن الملك مرتاح من النتيجة، ولذلك فإنه أصدر أوامره بقبول الشروط المقترحة من لدن العاهل المغربي لفداء رعاياه وأنه سيبعث من جديد برسوله (دولافال) الى قادس لتسلم الأسرى.

وبعد وفاة الملك ويليام 8 مارس 1702 ترك عبئاً ثقيلاً للملكة آن (Anne). لقد كانت الملكة تحتاج المغرب ليساعدها في جبل طارق الذي احتلته بريطانيا مؤخراً وهكذا بعثت بسفارة برئاسة بول ميثوين (Paul Methuen) الذي زُود بسائر الصلاحيات وعزّز بالمستعرب جوزريل جونيس (Jozreel Jenes) الذي قام بعدة زيارات للمغرب والذي كان يعرف اللغة العربية.



لوحة جميلة للسفير المغربي محمد بن حدو، سفير مولاي إسماعيل لدى شارل الثاني
نشرت بإذن مكتبة صاحبة الجلالة البريطانية.

ولقد رأى السلطان المولى اسماعيل في نزول انجلترا بجبل طارق فرصةً سانحةً لطلب مساعدتها على تحرير مدينة سبتة التي ما انفك الجيش المغربي يحاصرها من جهة البر...

وهكذا نجده يبعث برسالته التاريخية الى البرلمان الإنجليزي في شهر مارس سنة 1706 في الوقت الذي كان يوجد فيه بلندن فيه مبعوثه أحمد بن أحمد كاردنياش (Gardenash) الى الملكة وذلك بهدف اقتراح إرسال سفير جديد من قبلها والحصول على عون بريطانيا لتحرير المدينة المغربية المحتلة... وحتي يبرهن على أنه لا يرغب من وراء تحرير المدينة في الحصول على كسب مادي لا يتردد في التصريح بأنه يفضل تخريبها ومسحها من الخريطة دون أن تبقى في حوزة الأجنبي.. !

ولم تلبث انجلترا - بعد أن مكنت أقدامها في جبل طارق أن أرسلت من جديد بوفادة بقيادة جورج بادّون (G Paddon) تستهدف عقد هدنة بحرية بين البلدين وتحرير المزيد من الأسرى...[1].

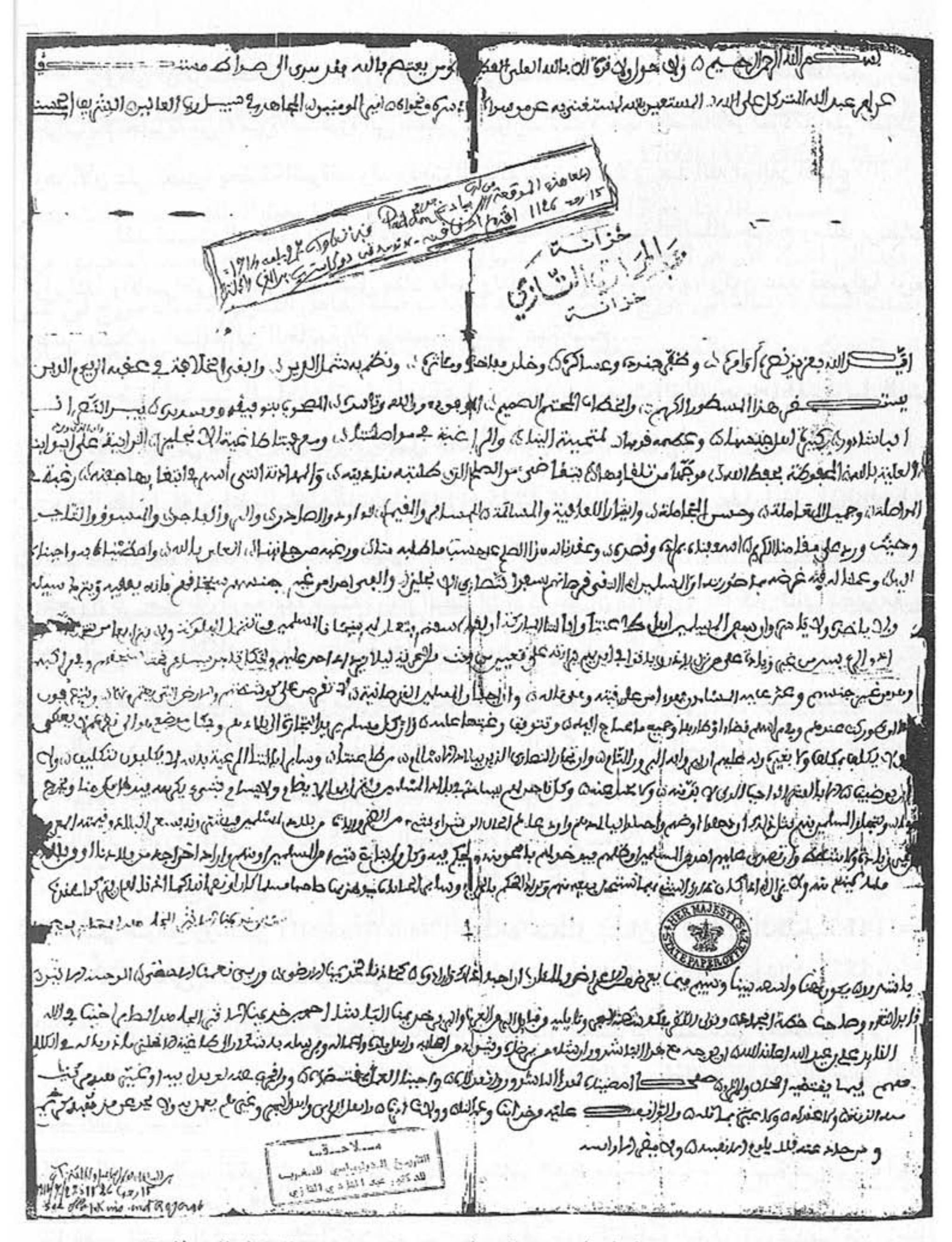
حيث نقف في الأرشيف البريطاني على اتفاقية بين السلطان مولاي اسماعيل والملكة أن بتاريخ 15 رجب 1126=27 يوليه 1714.

ونتيجة لهذا تقرر إرسال سفارة هامة الى العاصمة الاسماعيلية 1721 برئاسة شارل ستيوارت حيث جرت المفاوضات والمحادثات التي أدت الى اتفاقية السلام والتجارة بتاريخ 23 يناير 1722.

ومن حسن الحظ أن نجد ويندس (Wendus) أحد المرافقين للمبعوث البريطاني يقوم بتدوين مذكراته عن هذه الرحلة في كتاب صدر منذ ذلك التاريخ [2].

ونذكر مما له تعلق بهذه السفارة ما حدث عندما اعترضت بعض الصعوبات التي كادت تفضي الى فشل المهمة لولا التجاء السفير الإنجليزي الى مساعدة إحدى سيدات القصر الملكي ويتعلق الأمر بالأميرة أمّ العز التباع. وهكذا حرر السفير رسالة بالإنجليزية للأميرة المذكورة بتاريخ 20 يوليه 1721 يذكّرها بما سمعه عنها من خصال ويطلب مساعدتها.. !

1) أورد هو بكينز رسالة بتاريخ 22 محرم 1125=18 يبراير 1713 مرفوعة من السلطان مولاي اسماعيل الى الملكة آن يذكرها بما كانت عليه العلاقات المغربية على عهد المنصور الذهبي والزيانيين...
2) ترجمت هذه المذكرات مؤخرا من لدن الأستاذة زوجة الدكتور الشادلي رئيس جامعة مكناس السابق.



اتفاقية المغرب وانجلترا على عهد السلطان مولاي إسماعيل والعاهلة البريطانية

بتاريخ 15 رجب 1126=27 يوليه 1714

وكان أن توسطت أم العز لدى زوجها المولى اسماعيل، ومن الطريف أن نجد هنا نصّ رسالة جواب بالإنجليزية من الأميرة المذكورة الى السفير ستيوارت تبشره بأنها رفعت الأمر لمولانا أمير المؤمنين وهو الآن على بصيرة بحقيقة الموقف وقد وقعت الرسالة باسم أم مولاي عبد الله أم العز التباع [1].

ولقد انتهت السفارة بالمصادقة على اتفاقيّة للسلام بين «الملك جورج وملك بريطانيا وإيرلندا والأمبراطور مولاي اسماعيل ملك فاس وتافيلالت وسوس...»، وكان عدد فصولها أربعة عشر فصلا.. إضافةً الى الخاتمة [2] وانتسخت منها عدة نسخ..

وطبقاً لما سبق للسلطان المولى اسماعيل أن وعد به مبعوث الملك جورج، فقد أرسل السيد عبد القادر بّيريس سفيراً لدى جورج يحمل خطاباً هامّاً بتاريخ 25 شوال 1135=29 يوليه 1723.

ولم يلبث أن اتبع بسفير آخر عام 1138=1725 كان هو محمد بن علي أبغلي (Abaghli) الذي عهد إليه بمهمة عقد صفقة لشراء السلاح والتوصية خيراً بمعاملة المغاربة اليهود الذين يتّجرون في جبل طارق معاملةً حسنة، ومن المهم أن أذكر هنا أن (أبغلي) هذا كان ثاني سفير مغربي نجد أثر زيارته للأكاديمية البريطانية بعد محمد بن حدو سالف الذكر.

وقد عاد السفير أبغلي – مع أخبار وفاة السلطان المولى اسماعيل حيث عرفت العلاقات نوعاً من الخمود بسبب القلاقل المترتبة عن التنافس في الحكم، بيد أن المياه لم تلبث أن عادت الى مجاريها عندما جلس السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل على كرسي الحكم حيث نجده يبعث برسالة الى جورج الثاني بتاريخ 25 ذي القعدة 1141=22 يونيه 1729 على ما يؤكده هويكينز، كما نجد الملك جورج الثاني يبعث سنة 1729 برسالة الى العاهل المغربي، حملها إليه بظاهر فاس القنصل جوهن روسيل (John Russe II) وهناك حصل بتاريخ 13 ذي الحجة 1141=10 يوليه 1729 على تأكيد الاتفاقية التي عقدها ستيوارت مع المولى اسماعيل 1721...

ومن المهم أن نكشف هنا عن رسالة من السلطان محمد بن اسماعيل (محمد الثاني) الى جورج الثاني بتاريخ 1 رمضان 1149=3 يناير 1737 حملها الى بريطانيا السفير المغربي الحاج عبد القادر بيريس[3].

---

1) د. التازي، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، نشر الفنك بمساهمة مؤسسة فريديريك ايبرت ستيفتونك، 1992، ص. 174 وما بعدها.

2) تضمن الفصل الرابع عشر التزام كلا الطرفين بما ورد في بنود الاتفاقية المذكورة ورغبتهما في الاحترام المتبادل، الشيخ داود، تاريخ تطوان، ج. 2، ص. 85-86.

3) وقع للمؤرخين المغاربة حول الملك محمد الثاني كثير من الخلط الذي حسمت فيه هذه الرسالة التي نتوفر على أصلها وترجمتها....

وبعد هذا تم إرسال القابطان البحري أ. كليفيلاند (A Cleveland) مبعوثاً من العاهل البريطاني الجديد جورج الثالث لدى الملك محمد الثالث لمراجعة بنود الاتفاقية المبرمة سابقا بواسطة ميلبانك 1173=1760.

وحسب رسالة بتاريخ 17 ذي الحجة 1179=27 مايه 1766 بعث الملك محمد الثالث بسفير جديد الى لندن، كان هو الحاج العربي المستيري الذي كان مصحوباً بالحاج محمد السعيدي حيث حملت السفارة رسالة الى جورج الثالث [1]، وقد تجددت صلة العاهل المغربي بالملك جورج في نفس السنة حيث وجدنا رسالة جميلة من الملك محمد الثالث الى الملك جورج الثالث بتاريخ 4 جمادى الثانية 1180=7 نونبر 1766...

ومن الطريف أن نرى ملك المغرب يكلف أحد مبعوثيه الى انجلترا بأن يحضر له كرة أرضية وآلة اسطرلاب وتيليسكوب الأمر الذي يكشف عن اهتمامات العاهل المغربي على ذلك العهد...

وقد توقفت العلاقات، بسبب الظروف التي مرت بها البلاد بعد وفاة الملك محمد الثالث عام 1204=1790 الى سنة 1801، حيث نرى السلطان المولى سليمان يستقبل القنصل البريطاني (جيمس ماترا) في صيف هذا العام حول مسألة تموين جبل طارق ومساعدة الأسطول البريطاني في البحر المتوسط، وقد انتهت المحادثات الى عقد اتفاقية مغربية انجليزية بمدينة فاس المحروسة بتاريخ أواخر المحرم 1216=14 يونيه 1801 رددت صداها تقارير البعثات الأجنبية الموجودة في طنجة ورفعت نصها الى دولها وقد كان المفاوض فيها من الجانب المغربي الحاج عبد الرحمن أشعاش العامل بثغر تطوان بينما كان المفاوض من جانب (گريط بريطن) هو الباشدور ماتره[2].

وقد وجدنا رسالة من مولاي سليمان بعثها من مراكش الى المستر گرين بتاريخ 28 ربيع الأول 1222=5 يونيه 1807 يعده فيها بالزيادة في تموين جبل طارق من وقت لآخر مذكراً - وهذا مهم - **بأن بريطانيا إذا ساعدته في إجلاء الإسبان عن سبتة وإرجاعها الى المغرب فإن مساعدته لانجلترا ستتضاعف في سائر الميادين.**

---

1) حسب المصادر المغربية نجد أن القائد العربي المستيري راح الى لندن منذ تاريخ 1177=1764 لغرض إصلاح مراكب مغربية واشتراء قطع الغيار وتزويد المراكب بمدافع نحاسية، الزّياني : الروضة، ص. 117، الاستقصا 19,8 الإتحاف 3 ,260.

Host, L'histoire de l'Empreur de Maroc, Traduc, Damgaard et Guignard, p 26

2) انظر التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج. 9، ص. 177، تعليق 22.



بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

الى حاكم جبل طارق سلام على من اتبع الهدى أما بعد فقد اتصل بكريم علمنا أن مركبا من مراكب
الانجليز خرج [illegible] وارسى بمرسى خنيق الحمام تحت وادي نون وجعل يوسق من اهل تلك الناحية
العبيد والسلع التي يجب عليهم فيها الوظيف لجانب المملكة اعزها الله [illegible]
[illegible] على عهد سيدنا مولانا اسماعيل قدس الله روحه وهذا الموضع يسكنه بعض [illegible]
المغافرة وهم من اخوالنا وهو معدود من طاعتنا ومندرج تحت مملكتنا [illegible]
[illegible]
[illegible] اسمه يوسف [illegible]
[illegible]
[illegible]
وعليه [illegible]
من جنسكم ليتجنبوا مثل هذا الامر [illegible] بيننا وبينكم على حاله [illegible]
[illegible]
[illegible] شوال عام ثمانية وسبعين ومائة والف

رسالة جد هامة من السلطان سيدي محمد بن عبد الله الى حاكم جبل طارق
بتاريخ 6 شوال 1178 = 19مارس 1365 .
مركب انجليزي أرسى بمرسى خنيق الحمام تحت وادي نون وجعل يوسق من أهل تلك الناحية
العبيد والبضائع التي يجب فيه الوظيف للمملكة، وهذا المكان يسكنه المغافرة
وهم من أخوالنا وهو معدود من طاعتنا ومندرج تحت مملكتنا

وبين أيدينا رسالة رفعها محمد بن عبد السلام السلاوي للقنصل گرين في منتصف ربيع الثاني 1225 حوالي 20 مايه 1810. إن الوزير السلاوي يستغرب من عدم ظهور بادرةٍ من انجلترا لمساندة المغرب ويتساءل «أي فرصةٍ نجدها مثل هذه لاسترجاع سبتة **وهي في حكمنا وفي بلدنا**... إن عليكم أن تُجلو الإسبان عن المدينة بالقوة أو تتوسطوا لنا معهم ليرحلوا عنها وكل ما يريدونه منا نعطيه لهم، فإذا لم تستطيعوا القيام لإجلائهم ولا بإقناعهم فارحلوا أنتم عن سبتة واتركونا نحن وهم!»!

وعندما اضطر القنصل گرين لترك وظيفته عوض بالقنصل جيمس دوكلاص (J Douglas) لكنه اضطر للعودة لجبل طارق بسبب الطاعون الذي انتشر في البلاد... وأناب عنه أثناء تغيّبه إسحاق ابن صور (Issac Abnsur).

وفي مراسلة بتاريخ 26 أبريل 1822 سجل دوگلاص انطباعاته عن السلطان مولاي سليمان قائلاً : إنه إنسان رقيق الحاشية وعلى درجة كبيرة من الأريحية ويقول المغاربة : إنه يصلح حاكماً في السماء أكثر مما يصلح حاكما لهذه الأرض التي ينبغي عليه فيها أن يمارس حكمها بدرجة من القسوة...»!!

وقد أدرك السلطان أجله بمراكش يوم 13 ربيع الأول 1238=28 نونبر 1822 حيث عوضه بطلب منه ابن أخيه المولى عبد الرحمن بن هشام الذي امتد حكمه زهاء سبع وثلاثين سنة.

وقد استقبل القنصل البريطاني من طرف السلطان الجديد بمدينة فاس أواخر سنة 1823 حيث حمل إليه رسالة من الملك جورج الرابع مع عددٍ من الهدايا.

وقد كان موضوع المحادثات اقتراحه بتعديل معاهدة أواخر المحرم 1216=14 يونيه 1801 حيث حصلت تغييرات الفصل السابع والثامن بتاريخ 18 جمادى الأولى 1239=19 يناير 1824، وحمل القنصل العام جواباً من الملك المغربي الى جورج الرابع.

وفي هذه الأثناء تم تعيين القنصل الإنجليزي دريموند هي (Drumond Hay) الذي وصل الى طنجة يوم 25 غشت 1829 حيث تم استقباله من طرف السلطان المولى عبد الرحمن يوم 20 جمادى الثانية 1245=17 دجنبر بمراكش، حيث أعرب عن الرغبة في الصفح عن الماضي والعودة الى التعاون بين البلدين.

ولقد كان لاحتلال فرنسا إيالة الجزائر والمشاكل التي أمست تواجهنا مع الجار الجديد أثرها على العلاقات المغربية البريطانية.

وهكذا فكّر المغرب في أن يتخذ من بريطانيا ناصحاً ومستشاراً له خاصةً وقد طرحت قضية الحدود - شرقاً وشمالاً وجنوباً - بين المغرب وفرنسا من جهة وبين المغرب واسبانيامن جهة أخرى.

وقد ظل القنصل البريطاني السير دريمون هاي (Drumman-Hay) ينصح بتجنّب الصدام ما أمكن مع الدّولتين المذكورتين.

وقد جدّ حادث في باب العلاقات المغربية الأنجليزية أدّى الى ذيول كلّفت الجانبين سسلةً من المتاعب... فقد ورد على دريمون هاي بتاريخ 13 نونبر 1835 السير جوهن دافيدصن (J Dav-idson) مع رسالة تقديم الملك ويليام الرابع الى السلطان المولى عبد الرحمن... إن دافيدصن يريد أن يقوم بجولةٍ «سياحية» عبر الصحراء المغربية الى تنبكتو، وكانت الرسالة تطلب توصية العاهل به خيراً لدى عمال جلالة الملك في تلك الأقاليم الصحراوية...

ويأذن العاهل، عن حسن نيةٍ بزيارة «السائح» الذي وصل الى ثغر وادي نون، بكن هذا السائح كانت له «محادثة خاصة» مع الشيخ بيروك، ومن هنا وردت الفكرة بإنشاء مركزٍ إنجليزي هناك يمارس التجارة المباشرة مع بريطانيا وجبل طارق الأمر الذي كلف المغرب عدداً من المتاعب!

وعندما توفي دريمون هاي (D Hay) عام 1845 غوض بابنه جوهن الذي دشن نشاطه السياسي بالعناية بأمر التجارة الإنجليزية المغربية...

وقد رفع القنصل الإنجليزي (جوهن هي) الى العاهل في مراكش يوم 24 مارس 1855 ملتمساً بإبرام اتفاقية جديدة مع المغرب «تتناسب والظروف التي أصبح عليها بالمغرب...».

وهكذا وبعد محادثات طويلة أبرم اتفاق مغربي انجليزي وقعه عن المملكة المغربية بتاريخ 10 ربيع الثاني 1273=9 دجنبر 1856 محمد الخطيب كما وقعه عن انجلترا جوهن هاي، وكان الاتفاق في الواقع اتفاقيتين أولاهما سياسة تتعلق بالرعايا من كلا الجانبين في 38 فصلاً وثانيتهما تجارية وهي من 25 فصلاً.

وبعيد هذا وبالضبط بتاريخ 14 يونيه 1860=24 ذي القعدة 1276 بعث العاهل المغربي سيدي محمد بن عبد الرحمان (محمد الرابع) الى الملكة العظموس فكتوريا... بالأمين الحاج عبد الرحمن العاجي مصحوباً بالأمين محمد الشامي وبالكاتب الطاهر الفاسي، وقد راحو على متن السفينة التي تحمل اسم ميلبُومين (Melpomene) على ما تحققه المصادر البريطانية...

وأثناء المقام في لندن قدم الشامي الى اللورد جوهن روسيل (J Russe II) وثيقةً طويلة تتخلص للطلب الى بريطانيا للحصول على قرضٍ لافتداء تطوان من اسبانيا [1].

وقد وقع كل من جوهن هاي والحاج الرحمن العاجي بتاريخ 18 يناير 1862 على اتفاقية القرض وكان هاي قد توصل قبيل هذا بظهير تقدير يحمل تاريخ 29 ربيع الثاني 1278=3 نونبر 1861 كما توصل برسائل تهنئة على دبلوماسيته من طرف الحكومة البريطانية وبوسام من الملكة فيكتوريا.

وفي هذه الأثناء تلقى السير جوهن هاي التعليمات التي تطلب إليه مقابلة العاهل الملك محمد الرابع الذي كان وقتئذ بمدينة فاس.

وهكذا وصل المدينة صحبة زوجته وابنته واستقبل من طرف السلطان يوم الإثنين 7 شعبان 1285 الموافق 23 نونبر 1868 بينما كانت عقيلته وكريمته واقفتين على مقربة منه.

ولعل من الطريف أن تقتبس هذه الفقرات من التقرير الذي رفعه جوهن هاي على إثر هذه المقابلة الأولى من نوعها في التاريخ الدولي للمغرب.

«لقد استقبلني هذا اليوم جلالة الملك على ظهر فرسه. وقد يكون من المفيد بالنسبة الى معاليكم أن أشير في هذا التقرير الى أن جلالة العاهل المغربي عندما أخبر بأن هناك سيدتين من عائلتي ترافقاني الى فاس، أعطى تعليماته الخاصة حتى يسمح لهما بالدخول الى ساحة القصر حيث تجرى المقابلة، وخُصص لهما مكان على مقربة من الاستقبال حتى يمكنهما أخذ نظرة مستوعبة، وأعتقد - يقول هي - أن هذه البادرة **هي الأولى من نوعها بالنسبة للسيدات الأروبيات** اللاتي قمن بزيارة فاس لحد الآن، لقد كانت التفاتة مجاملة نادرة بالنسبة لسيدات مسيحيات يدخلن

1) لم يكن الأمر يتعلق بقضية الحدود المغربية الجزائرية كما كان يظن، انظر كتاب الرحلة الإبريزية الى الدّيار الإنجليزية سنة 1276=1860 لمؤلفه أبي الجمال الطاهر الفاسي، تحقيق الأستاذ محمد الفاسي، مطبوعات جامعة محمد الخامس، 1387=1967، التازي، التاريخ الديبلوماسي للمغرب، ج. 1، ص. 273.



استقبال السفير الإنجليزي جوهن هاي من طرف السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن
يوم الاثنين 7 شعبان 1285=23 .11 نونبر 1868 بمدينة فاس بحضور زوجته وابنته...

مدينة فاس، وقد كانت مفاجأة كبرى بالنسبة لمدينة فاس نفسها وسائر الناس وقد فسروها على أنها أصدق دلالة على ما يكنه السلطان من تقدير للإنجليز...».

ولم يلبث الملك محمد الرابع أن توفي يوم 18 رجب 1290-11 شتنبر 1873 حيث خلفه ابنه السلطان مولاي الحسن (الحسن الأول).

وعندما زار السلطان العاصمة العلمية لأول مرة بعد توليه المملكة - على ما تقتضيه التقاليد - التحق جوهن هاي بفاس في شهر أبريل 1878 = ربيع الأول 1292 ليقدم له تهاني المملكة البريطانية مصحوباً بطائفة من الهدايا، لاحظنا من بينها **جهازين للتلغراف** أحدهما للإرسال والآخر للاستقبال.

وتلافياً للمضاعفات المزعجة التي سبّبها المغاربة «المحميون» و«المتجنسون»... فقد قرر العاهل إرسال سفارةٍ الى عدد من الدول الأوربية سنة 1293=1876 : كان في صدرها انجلترا في محاولة لإلفات النظر الى الأخطار التي تهدد كيان البلاد من جراء منح «الحمايات للمغاربة ...».

وفي ربيع 1880 عهد الى (جوهن هاي) بطلب مقابلة العاهل المغربي الذي استقبله بفاس يوم 18 أبريل = 8 جمادى الأولى 1297 في محفل بهيج شارك فيه ثلاثون موسيقيا يعزفون النشيد الوطني وبعد هذه المقابلة تمت مقابلة أخرى خاصة يوم 24 أبريل استغرقت أكثر من ساعتين تناولت مشكلة الحمايات القنصلية الغير الشرعية.

كما تناولت المحادثات - وهذا مهم - الوضع المتأزم في الجنوب المغربي بسبب المركز الذي أنشأه المهندس الإنجليزي دونالد ماكينزي (D Mackenzi) الذي أقام سنة 1880 في طرفاية (Cape Juby) مستودعاً لشركة الشمال الغربي الإفريقي (Norte West African Compani) تحقيقاً لمشروع جوهن دافيدسن[1] السالف الذكر.

لقد أفهم العاهل المغربي السفير البريطاني ما في ذلك الصنيع من مخالفة للشروط والقوانين، وما فيه من منافاةٍ مع الشرط الثالث والثلاثين من المعاهدة المغربية البريطانية 1273=1856 التي تعترف بسيادة المغرب على منطقة وادي نون بكاملها...

وفي الوقت الذي غادر فيه المندوب البريطاني الى طنجة يوم 18 مايه 1882 اتجه العاهل المغربي الى الجنوب حيث مركز ماكينزي السالف الذكر من أجل تجهيز مرسى هناك تعبيراً جديداً

1) كان للشركة ترجمان هو المسمى أيوب سبارضون خريج الجامعة الأمريكية ببيروت وقد تزوج مغربية واعتنق الإسلام... الإتحاف، 2، ص. 334، مجلة البحث العلمي، عدد 26-1976/27-1977 .

منه عن تمسكه بأقاليمه الجنوبية، وقد كان العاهل المغربي أمر في تلك الأثناء نائبه في طنجة بنشر استرعاءات للرعايا الإنجليز في جريدة التايمز (The Times).

وقد عاكست الظروف السير جوهن هاي دون أن يتمكن من وداع العاهل الحسن الأول لتغيب هذا مرة أخرى في جنوب المغرب، وهكذا بعث إليه وزير الخارجية محمد المفضل غرنيط برسالةٍ تحمل تاريخ أواخر رمضان 1303= (3 يوليه 1886) يعرب فيها عن الأسف على عدم تمكن جوهن هاي من مقابلة العاهل واستئذانه بالعودة لبلاده بعد تلك الفترة الطويلة التي قضاها في خدمة العلاقات بين البلدين مع ثلاثة ملوك... كانت رسالةً رقيقةً عرضت فيها الحكومة المغربية على هذا الدبلوماسي الترحيب به في أن يقضي بقية حياته في المغرب إن كان يرغب في ذلك.

ولقد تسلم السير ويليام گرين W Green واجباته كقنصل لبريطانيا يوم 7 أكتوبر 1886 وكانت الحكومة المغربية تعتقد أنها ستجد فيه نفس ما كانت تجده في جوهن هاي من مساعداتٍ، لكنّ المبعوث الجديد كانت مخيّباً للآمال بسبب موقفه إزاء مستوع الجنوب المغربي !

وبعد احتجاج من گرين قدم لويز الخارجية المغربية بتاريخ 21 أبريل 1888 وجدنا جواباً من الخارجية المغربية للباشادور بتاريخ 19 شوال 1305=29 يونيه 1888 يؤكد فيه أن الحدود المغربية تشمل طرفاية والصحراء الى بلاد السودان [1].

وإذا ما رجعنا الى المصادر البريطانية فسنقرأ أن الوزير گرين تعرض - نتيجة للقلق - لانفجار شريان في الدماغ يوم الثلاثاء 15 رجب 1308=24 يبراير 1891 في نفس اليوم الذي ينتهي فيه أمد إنذار وجهه الى العاهل المغربي [2]!

وفي أعقاب هذا بحثت انجلترا عن سفير «مناسب» فوجدت في سفيرها بزنجبار السير شارلس إيڤان سميث (Ch Evan Smith) الرجل الذي يمكن أن يطوّع المملكة المغربية !

وقد اتجه السفير الجديد سميث نحو فاس حيث استقبل يوم 14 مايه 1892 في حفل تقليدي تبعته مفاوضات حول مشكل الجنوب ومراجعة الاتفاقية التجارية...

وبعد تسعة أسابيع بفاس غادر سميث المدينة بعد أن استقبله السلطان للوداع يوم 12 يوليه 1892، ولكن من غير أن يصل الطرفان الى نتيجة...

---

1) مح 29/47-24/47-39/46 تطوان (الخزانة الوطنية).

2) د. التازي، رسائل مخزنية، مطبعة أكدال، 1979، ص. 82، وما بعدها.



ظهير توقير سلمه السلطان مولاي عبد العزيز في بداية أيامه إلى وزير المالية عبد السلام التازي (4 ربيع النبوي 1312= 5 شتنبر 1895) عندما أقره العاهل على ما كان عليه أيام والده السلطان المنعم مولاي الحسن، وقد شمل هذا التنويه ذرية الأمين وأخويه الحاج محمد والحاج امحمد المقيمين بالرباط، وابن أخيه الذي بقي مقيما بفاس وهو الجد الحاج محمد بن أحمد، وكذلك سائر الأصهار، ويلاحظ أن هذا الظهير كتبت منه عدة نسخ سلمت لمن يعنيه الأمر كحجة على «إسقاط سائر الكلف المخزنية والوظائف السلطانية...فلا يطالبون منها بجليل ولا حقير ولا نقير ولا قطمير...ولا يروع لهم لهم سرب، ولا يكدر لهم شرب...لخدمتهم وصدقهم وانقطاعهم إلى علي جنابنا بكليتهم....» عن رسائل مخزنية، للمؤلف ـ مطبعة أكدال ـ الرباط 1979.

وقد جلس على العرش بعد وفاة الملك الحسن الأول ليلة 6 يونيه 1894، ابنه السلطان المولى عبد العزيز الذي احتفظ على الخصوص بالوزير الأول أبّا حماد الذي كان في عهد والده، كما احتفظ بوزير المالية الذي كان في ذات الوقت مكلفا بوزارة الخارجية عبد السلام التازي الذي خصّه بظهير توفير وتقدير يحمل تاريخ 4 ربيع الثاني 1312=5 شتنبر 1894.

وفي هذه الأثناء كان السفير الجديد إيرنيست ساطوو E Satow يتأهب للاتجاه الى فاس حيث رأيناه يقدم أوراق اعتماده يوم 29 أكتوبر 1894 وتمت المناقشات حول مشكل الجنوب رأس يوجدور الذي انتهى الى «تسوية» بتاريخ 16 رمضان 1312=13 مارس 1895 وقد جاء في شرطها الأول النص على ما يلي :

إذا اشترى المخزن زينة المحل المذكور من الكبانية المذكورة لا يبقى كلام لأحد في الأراضي التي من وادي درعة الى رأس بوخادور المعروف بالطرفايا المذكورة وكذلك فيما فوق هذا المحلّ من الأراضي لكون ذلك كله من حساب أرض المغرب»[1].

وقد عوض السفير ساطو (Satow) بالمستر آرثر نيكولصن (Arthur Nicolson). وبالرغم من وصول السفير لطنجة منذ خامس أكتوبر 1895 فقد ظل ينتظر مقابلة العاهل الى شهر أبريل من السنة الموالية حيث تم الاستقبال بمراكش في متم شوال 1313=13 أبريل 1896 وقد رفع السفير تقريره الى الملك فيكتوريا عن انطباعه بعد هذا الاتصال المباشر بالعاهل، وكان فيما قاله :

«... بدا جلالته وهو يمتطي حصانه على قدر كبير من الاتزان ورباطة الجأش... وإن الوزير الكبير بّاحماد هو الذي يجمع في يديه أزمة الأمور وهو يتأثر - الى حدّ كبير بالسّي عبد السلام التازي الموخّى وزير المالية... الذي يسيء الظنّ في كلّ الإصلاحات المقترحة من الأروبيين، أما بقية الوزراء فهم - في هذا الوقت - أصفار على أصفار[2].

وحسب تقرير لاحق رفعه هذا المندوب نجده يتحدث عن الفراغ المهول الذي تركته وفاة باحماد تلك الوفاة التي أعقبها مباشرةً التماس وزير المالية والخارجية عبد السلام التازي للإعفاء معتذرا بقضاء مناسك الحج [3].

1) ابن زيدان، الاتحاف 1، ص. 383-384-385.

2) يقارن هذا مع حديث الدكتور فايسجيربير الذي شبّه الأمين التازي بالوزير الفرنسي جيل فيري (Jule Ferry) وقال عنه إنه سافر كثيرا في أروبا وله تجارة في بريطانيا وكان يدخن السّيكار الكبير... د. التازي : رسائل مخزنية، ص. 62/61.

3) لابد أن نلاحظ هنا أن الكاتب البريطاني روجرز (Rogers) الذي قام بتأليفه حول تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية، وقف في تأليفه المذكور عند سنة 1900 لأنه كان يعتبر أن هذا التاريخ كان بداية النهاية !

... ولم يلبث العاهل أن أرسل سفارةً مغربية الى انجلترا وبروسيا برئاسة وزير البحر المهدي المنبهي وعضوية عبد الرحمن بركاش لبسط مشكل سطو فرنسا على أجزاء من حدودنا الشرقية.

وبمناسبة تولي الملك إدوارد السابع بعث السلطان عبد العزيز بسفارة تهنئة الى لندن برئاسة باشا فاس القائد عبد الرحمن ابن عبد الصادق وعضوية الكاتب الحسين بن محمد الغسال.

وفي الساعة الثالثة من يوم الخميس 10 يوليه 1902=3 ربيع الثاني 1320 توجهت السفارة للقصر وجرت الأحاديث الودية بين الأمير الريطاني وبين السفير حيث «ألقى السفير الخطاب الذي ترجم للأمير الذي كان ينصت له بسكينة ووقار... »[1].

وعندما تربع السلطان المولى عبد الحفيظ على العرش بتاريخ 6 رجب 1325=16 غشت 1907 بهدف القضاء على «الهيمنة الأجنبية بالمغرب»... بعث الى معتمدي الدول الأجنبية بطنجة وخاصة منهم الذين حضروا مؤتمر الجزيرة الخضراء يدعوهم للاعتراف به عاهلاً على البلاد[2].

وفي هذه الأثناء حطت سفارة مغربية بلندن في 11 أكتوبر 1909... لمفاتحة بعض الأبناك اللندنية من أجل أن يعرض عليها منح بعض الامتيازات مزاحمةً لفرنسا...

لكن تفاهم بريطانيا مع فرنسا منذ سنة 1904 حال دون الوصول الى نتيجة. وقد كانت آخر سفارة إنجليزية الى العاصمة فاس هي التي كانت برئاسة المستر ليستير (Lister) وزير بريطانيا العظمى حيث أقامت بفاس من 19 أبريل الى ثاني يونيه 1909 للاطلاع على الحالة عن كتب بيد أن الأحوال كانت تسير نحو بسط الحماية الأحنبية على المغرب الذي لم يكن أمامه - إزاء ضعف حاله - إلا قبول الأمر الواقع !

1) د. التازي، سفارة من السلطان مولاي عبد العزيز الى لندن، مجلة البحث العلمي، 1399=1979، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج. 1، ص. 174، ج. 2-44.

2) ذكر لي الحاج أحمد بن الطاهر مكوار رحمه الله أنه هو الذي عهد إليه والده بأن يبلغ للسلطان مولاي حفيظ اعتراف الدول به في عرصة أبي الجنود حيث القصر الملكي...

الفصل الخامس

العلاقات المغربية البرتغالية

- قصر البديع من خلال تقرير السفير البرتغالي
- السلطان مولاي عبد االله يواصل العمل لتحرير الثغور
- الملك محمد الثالث بطل تحرير مدينة الجديدة (البريجة)
- تدشين عهد جديد مع مملكة البرتغال
- السلطان سليمان يربط صلته بالسلطانة مارية ملكة البرتغال والبرازيل
- السلطان مولاي عبد الرحمن يواصل العلاقات مع البرتغال
- العلاقات أيام الملك محمد الرابع
- عندما زار الملك الحسن الأول طنجة

العلاقات المغربية البرتغالية
على عهد الدولة العلوية

لقد تحدثت المصادر التاريخية [1] عن سفارة برتغالية بالبلاط المغربي وبالذات في (قصر البديع) بمدينة مراكش وذلك أواخر جمادى الثانية 1088=1677[2]. حيث أبلغ السلطان المولى اسماعيل حاكم الجديدة على ذلك العهد كريستوف ألماضا (Ch Almada) أنه يرغب في محادثة حول أمور تتعلق بمدينة الجديدة.

وقد كان مما لاحظه السفير البرتغالي مما له دلالة عميقة أن العاهل المغرب أوقفه على الخيمة الخضراء التي ذكر له أنها هي نفس الخيمة التي كان يقيم بها سلطان البرتغال (دون سباستيان) قبل أن يلقي مصرعه في وقعة وادي المخازن !

وقد بلغ التوتر بين البرتغال والمغرب أوْجه مطلع سنة 1691 = ربيع الثاني 1102 عندما وردت سفارة برتغالية برئاسة جوزيف الفاراس على مكناس لتحاول مفاتحة المولى اسماعيل من جديد في شأن تحرير الأسرى البرتغاليين متجاهلةً مطالبه في الرحيل عن مدينة الجديدة أولاً !

---

1) ورد في كتاب «المنزع اللطيف» للمؤرخ النقيب ابن زيدان نقلا عن مذكرات الأسير الفرنسي جيرمان مويت أن دولة البرتغال أرسلت سفيراً لتهنئة مولاي اسماعيل ومعه هدية فيها فرس عليه سرج مزركش بالذهب... وقد أهداه السلطان صغار الأسود حسب طلب السفير لأنها لا توجد في بلادهم. المنزع اللطيف في مفاخر المولى اسماعيل ابن الشريف، تقديم وتحقيق د. عبد الهادي التازي، 1413=1993، مطبعة إيديال، الدار البيضاء، رقم الإيداع القانوني، 162/93، ص. 192.

2) التازي، قصر البديع، مجلة العلمي، عدد 28 رجب 1398، يوليه 1978.

وبالرغم من أن وفاة المولى اسماعيل كانت بالنسبة للمحتلين حدثا مكّنهم من العيش في بعض الهدوء النسبي فإن الدولة المغربية مع ذلك لم تنس مواقعها المحتلة...

وتعبيراً عن عدم الرضى نرى أن السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل يتجاهل تحرير الأسرى البرتغاليين الموجودين تحت قبضته، ومن ثمت نجد الأمير سيدي محمد بن عبد الله وهو ما يزال ولي عهد يقدم على طرد البرتغال من (أنفا) الدار البيضاء حالياً وعاصمة تامسنا سابقاً.

تحرير مدينة الجديدة سنة 1182=1768

وما أن تربّع الملك (محمد الثالث) كرسيّ الحكم بالمغرب حتى أخذ يخطّط لتحرير مدينة (الجديدة) من البرتغال...

ومن هنا أحكم الحصار على المدينة بنحو خمسة وسبعين ألف رجل، وصلوا لضواحي الثغر أواخر رجب 1182 = أول دجنبر 1768 وكان المغاربة مزودين بمدفعية هامة تمكنت خلال شهر وعشرة أيام من قذف أكثر من ألفي قنبلة مما جعل المحتلين البرتغاليين يغادرون المدينة يوم السبت ثالث ذي القعدة 1182=11 مارس 1769 بعد اشتباكات ظهراً لظهر بالسّلاح الأبيض !

وبعد الجلاء عن المدينة عمد البرتغال الى تحسين علاقاته بالمغرب الذي رحب بالمبادرة[1].

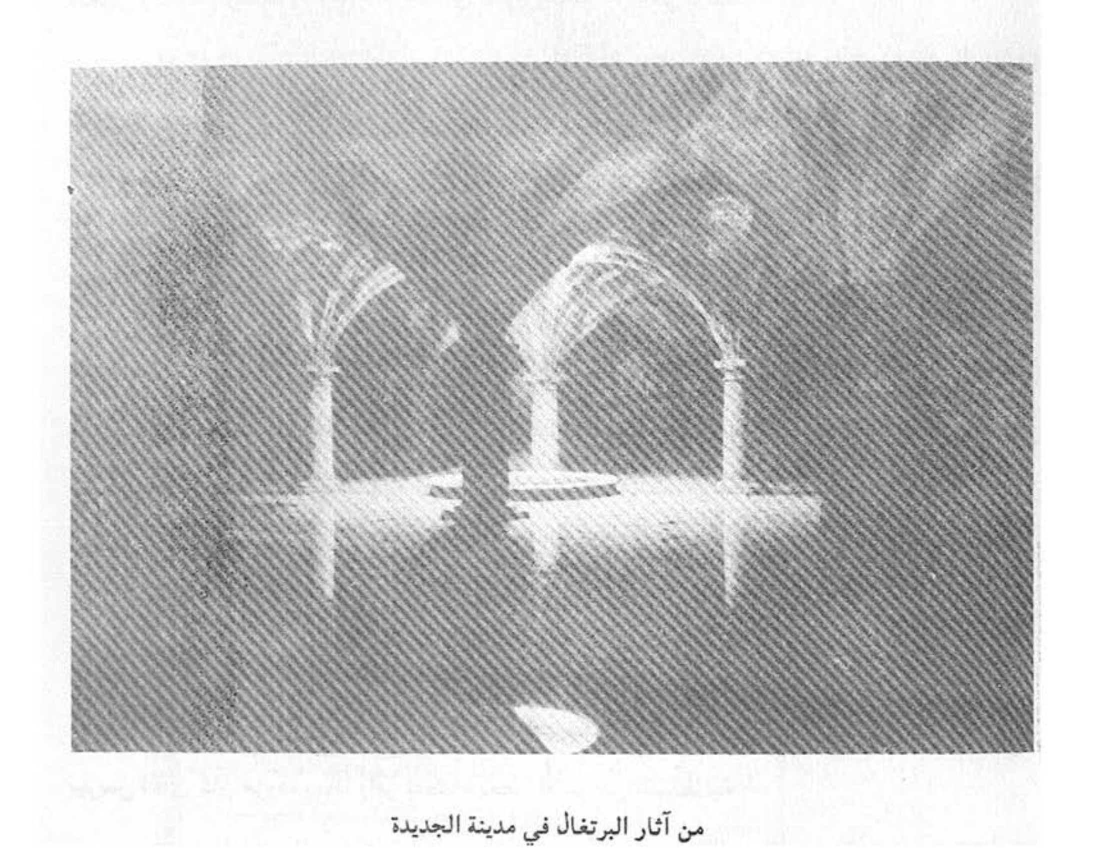
ولم تلبث هذه الخطوات أن أدت الى مقدم سفارة برتغالية تحمل هدايا متنوعة فيها عدد من الساعات الجدارية[2]، وقد تم إبرام اتفاقية بتاريخ 12 رمضان 1187=17 نونبر 1773 بعد مفاوضات كان يشرف عليها من الجانب المغربي الأمير مولاي عبد السلام.

لقد كانت كل بنودها (وعددها اثنان وعشرون بنداً) تشهد بحجم الصلات التي أصبحت تربط المغرب بالبرتغال بعد تحرير مدينة الجديدة... وسنقرأ من خلال ثنايا الاتفاقية بل ومن سطورها ذاتها أن المغرب كان يضمن المصالح الاقتصادية ويوفّر الحرية الدّينية لسائر أعضاء الجالية البرتغالية بالمغرب... أكثر من هذا فإن المغرب يناصر البرتغال ضد الذين ينالون من سيادته، في مقابلة مناصرة البرتغال للمغرب ضد الذين يهددون أراضيّه[3]. ومن هنا أخذت العلاقات طريقها..

1) Ramon Lourido, la Plaza Portuqueda de Mazagan

2) ابن زيدان، الإتحاف 3، ص. 290/168.

3) هوست، تاريخ محمد بن عبد الله، ص. 67، كايي، الأوفاق 58.



من آثار البرتغال في مدينة الجديدة

وهكذا بعث الملك محمد الثالث الى ملك البرتغال دون جوزيف الأول يخبره أنه بعث له بسفيره القائد عمر بن الداودي الذي كانت ترافقه حاشية من تسعة وثلاثين شخصاً[1] مع هدية ستةٍ من عتاق الخيل وكانت الرسالة بتاريخ 20 جمادى الأولى 1188 = آخر يوليه 1774[2].

وقد تلت سفارة القائد عمر بن الداودي سفارةٌ أخرى في نونبر 1777 = رمضان شوال 1190 كان على رأسها عبد المجيد الأزرق قائد إقليم تازة.

لقد وردت السفارة لتقديم التعازي في وفاة جوزيف الأول ولتهنئة الملكة الجديدة دونا مارية (Dona Maria) وكان من الهدايا السباع والأنمار والأنعام...

وقد ظل السفير الأزرق محل تكريم الى يبراير 1778 محرم 1192 حيث قام بزيارة عدة منشآت كان منها دار السكة، وأظهر إعجابه بتقنية سك النقود وطلب من الملكة البرتغالية أن يصحب معه عند عودته عدداً من التقنيين المجهزين حيث رافقه ستة من البرتغاليين المتخصصين تصحبهم أربعة صناديق كبيرة تحتوي على الالات الضرورية التي قدمت هدية الى العاهل المغربي.

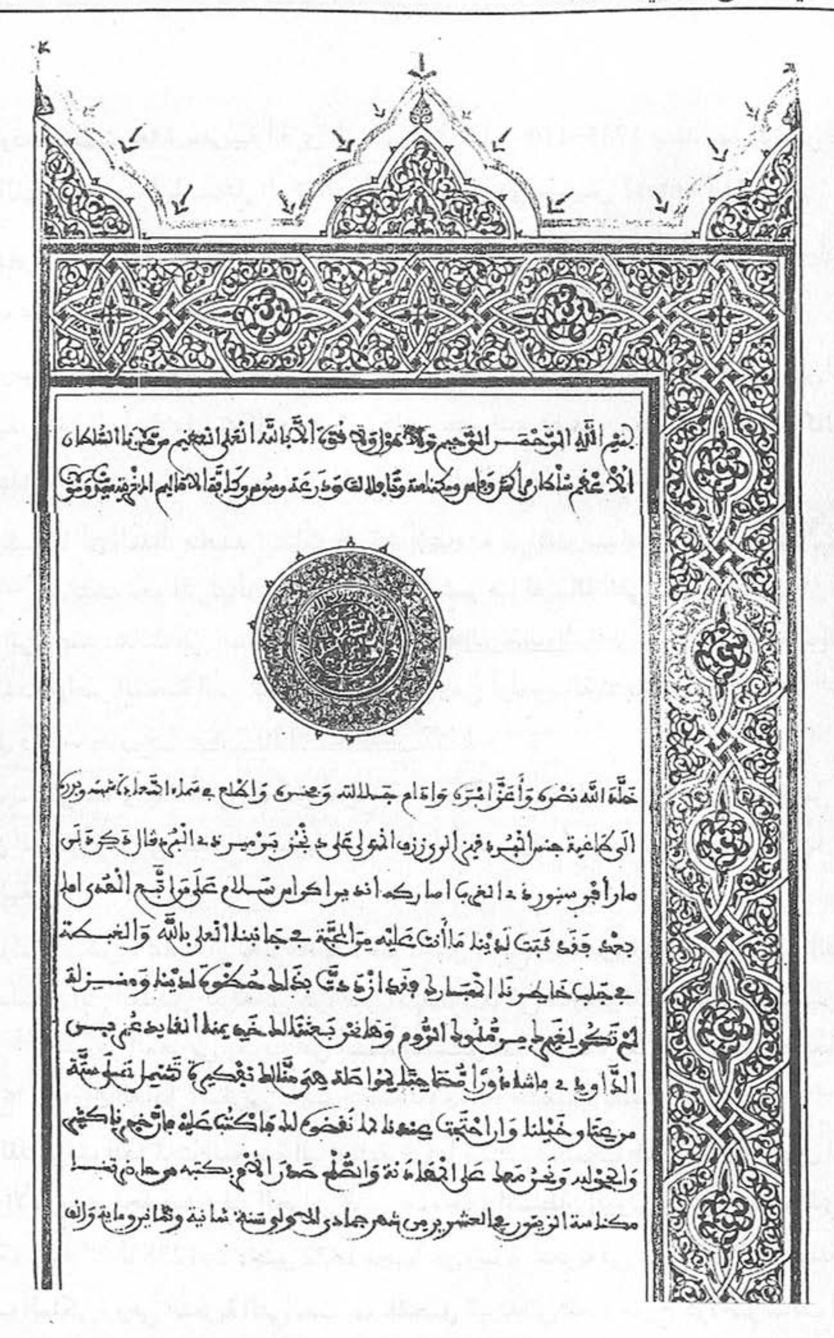
وحوالي النصف الثاني من سنة 1193=1779 أوفد الملك محمد الثالث الى ليشبونة أحد التجار للمقام بالبرتغال : الطيب بوهلال، وكان يحمل رسائل خاصة الى دونا مارية ملكة البرتغال تتعلق بإنشاء دار تجارية يستفيد منها البلدان، وكان الرئيس البحري الذي نقل بوهلال هو علي بيريس الذي كان مزوّداً بمال وافر لقضاء بعض الأغراض السلطانية.

وتفيد الوثائق البرتغالية أن مبعوثاً مغربياً آخر يحمل إسم الحاج محمد عناية نزل في ليشبونة أوائل أكتوبر رمضان 1194-1780 حيث كان يحظى بكل أنواع التكريم... لقد كان المبعوث المذكور مصحوباً بالحاج محمد التبال والحاج عبد الرحمن بريطل، وكان الهدف - تنشيط التجارة.

---

1) الإتحاف 3، ر. 290-291، 201-35 Caille, Accords, p

2) «تفكيرة» تعني بالمصطلح الغربي هدية Lourido, Le Commerce Revue d'histoire Maghrébine, Jan 1976, Tunis



بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم من عبد الله السلطان
الاعظم سلطان مراكش وفاس ومكناسة وتافيلالت ودرعة وسوس وكافة الاقاليم المغربية وتخوم

خلد الله نصره وأعز امره وادام مجده وحفظه والطالع في سماء الجلالة شمسه وبدره
الى طاغية جنس البرتقيز الموروز المتولي على ثغر ... الثغر ... اذكرك
... سلام على من اتبع الهدى اما
بعد فقد ثبت لدينا ما انت عليه من المحبة في جانبنا العلي بالله والرغبة
في جلب خاطرنا ... بذلك حظوة لدينا ومنزلة
لم تكن لغيرك من ملوك الروم وها نحن بعثنا لك خديمنا القائد عمر بن
الداودي ... تنبيك عن حقيقة
... كتبنا عليه ...
... بكتبه ...
مكناسة الزيتون في العشرين من شهر جمادى الاولى سنة ثمانية وثمانين ومائة والف

صورة من رسالة بعث بها السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى ملك البرتغال جوزيف الأول يعتمد فيها سفيره القائد عمر بن الداودي الذي حمل معه هدية قيمة للملك المذكور.
وهي بتاريخ 20 جمادى الأولى 1188 =30 يوليه 1774.

وقد اتجهت بعثة مغربية أخرى الى البرتغال عام 1199=1785 يتقدمها الرئيس عباس مورينو الذي كان مصحوبا بممثل البرتغال بطنجة مانييل دي بونتيش (M de Pontes).

وفي أعقاب توتر في العلاقات بين داي الجزائر وبين ملكة البرتغال دونا مارية لجأت هذه الى طلب مساعدة ملك المغرب الذي تربطه علاقة بالطرفين معاً...

ومن الطريف أن نجد في ضمن الهدايا التي قدمها عام 1201=1786 العاهل المغربي للملكة البرتغالية ساعة جدارية على شكل صندوق شفاف يظهر فيه عصفور ينطق بالساعات وكانت من ضمن الهدايا التي قدمها الرئيس جورج واشنطن الى الملك محمد الثالث [1].

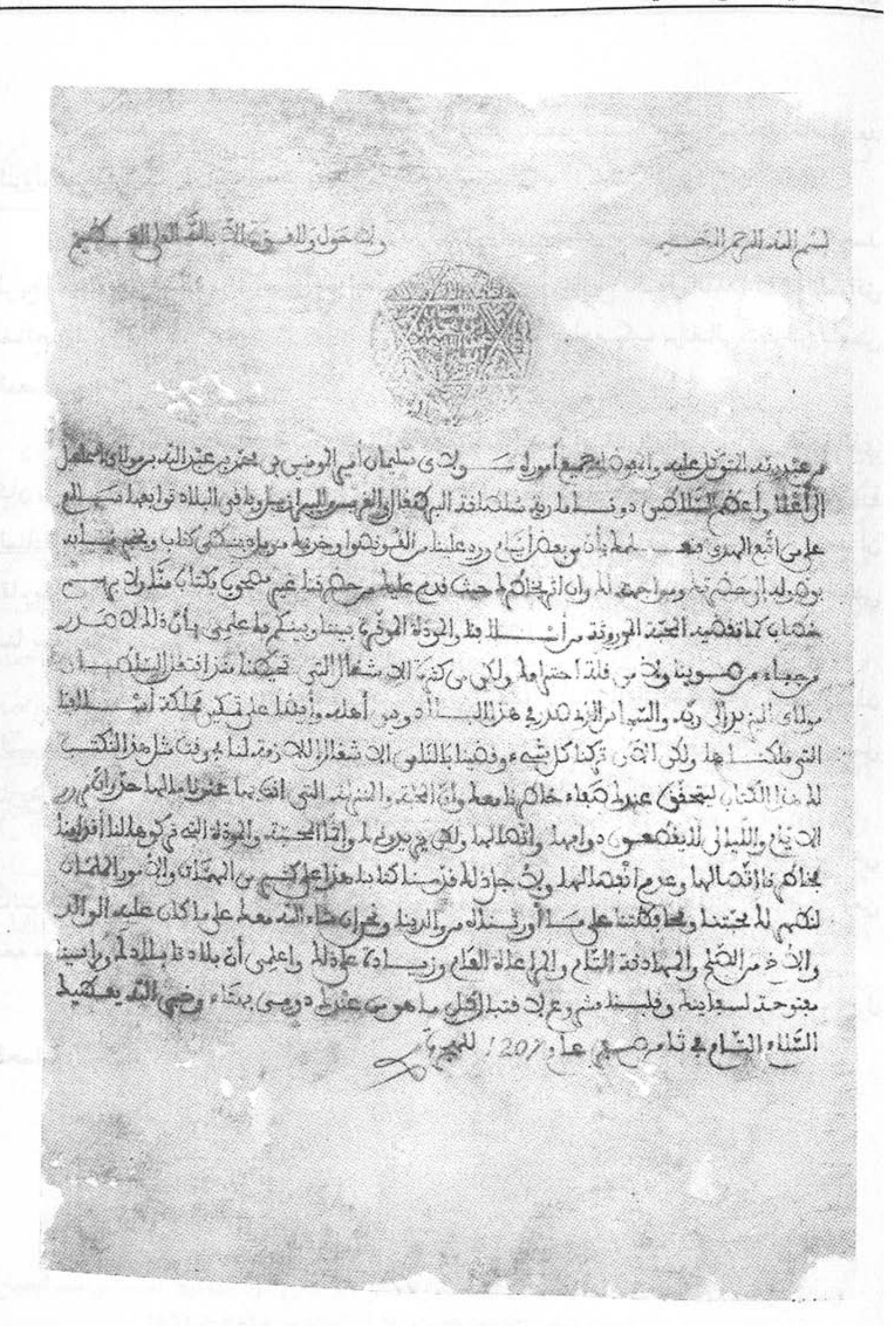
لقد بدا أن الملك محمد الثالث - وقد أزعجته مواقف اسبانيا حول الثغور المغربية المحتلة - كان يتجه نحو البرتغال... ومن المهم أن نشير هنا للرسالة التي بعث بها السلطان مولاي سليمان ابن محمد الثالث الى الملكة دونامارية سلطانة البرتغال والبرازيل وباقي البلاد. هذه الرسالة التي أكدت أواصر المحبة التي تجمع بين البلدين وهي أول رسالة تتحدث عن علاقات المغرب بالبرازيل وكانت بتاريخ 8 صفر 1207=25 شتنبر 1792.

ونسجل هنا وثيقة أخرى تحمل تاريخ 11 محرم 1208=19 غشت 1793 عبارة عن رسالة للسلطان المذكور... الى السلطانة مارية تؤكد تلك الأواصر وقد كتبت بالعربية والى جانبها ترجمة بالبرتغالية.

ولم يكن غريبا علينا أن نجد خطابا لاحقا يحمل تاريخ 18 محرم 1208 = من وزير السلطان مولاي سليمان الى القنصل البرتغالي كولأصو (Collaço) في شأن مركب برتغالي حرث بين سبتة وتطوان : إن الوزير المغربي يعرب عن أسفه العميق لما حدث وقد فتح بحثاً سريعاً حول الموضوع... «وإن العاهل المغربي لمهتم بنفسه بالأمر... فلتطيبوا نفسا...».

لقد عرفت العلاقات المغربية البرتغالية ظروفاً ممتازة استمرت طوال حياة السلطان المولى سليمان الأمر الذي نجد صداه في الجواب الذي بعثه خلَفه السلطان المولى عبد الرحمن والذي كتب بتاريخ 17 ربيع الأول 1238=2 دجنبر 1822 مجيباً عن رسالة التعزية في عمّه الراحل، والتهنئة أيضا بالمنصب الملكي، وهي التعزية التي بعث بها القنصل البرتغالي العام جورج كولأصو سالف الذكر، وقد وقفنا عليها في الأرشيف البرتغالي الذي يزخر بمثل هذه الوثائق...

1) د. التازي، التاريخ الدبلوماسي، ج.9 ، ص. 142-299.



بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

من عبد الله المتوكل عليه والمفوض جميع أموره إليه [illegible] سليمان أمير المؤمنين بن محمد بن عبد الله بن مولاي إسماعيل

إلى [illegible] وأعظم السلاطين دونا ماريه سلطانة البرتغال والغرب والبرازيل [illegible] في البلاد التابعة لها سلام

على من اتبع الهدى وبعد [illegible] بأن [illegible] ورد علينا [illegible] كتاب [illegible]

[illegible]

[illegible] المحبة الموروثة من أسلافنا والمودة [illegible] بيننا وبينكم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] تركنا كل شيء [illegible] هذا الكتاب

لهذا الكتاب [illegible]

[illegible] والمحبة والمودة [illegible]

[illegible]

[illegible] إن شاء الله [illegible]

والآن [illegible] والمهادنة [illegible] على ذلك [illegible]

[illegible]

[illegible] عام 1207 للهجرة

رسالة الملك مولاي سليمان إلى الملكة مارية ملكة البرتغال والبرازيل

وقد وجدنا عدداً كبيراً من المراسلات التي تتعلق باستيراد السلاح من البرتغال خاصة بعد النزول الفرنسي بالجزائر... ومنها رسالة 5 ربيع الأول 1247=14 غشت 1831.

وقد استمرت العلاقات مع البرتغال جيدة أيام السلطان سيدي محمد بن عبدد الرحمن (محمد الرابع) حيث نجد رسالة من القنصل البرتغالي جورجي كولاصو بتاريخ 30 ذي القعدة 1275 الموافق لفاتح يوليوز 1859 رفعها الى النائب محمد الخطيب حول مركب برتغالي تعرض لبعض المصاعب.

وتحتفظ الوثائق المغربية بنص رسالة كان بعث بها عميد السلك الدبلوماسي في ظنجة الذي كان بالصدفة هو القنصل البرتغالي كولاصو Colaço يخبر فيها أعضاء السلك بموعد مغادرة الملك الحسن الأول لطنجة التي كان دخلها يوم الأحد 26 محرم 1307=22 شتنبر 1889، بعد أن أقام بها حوالي عشرين يوماً، وذلك بقصد إشعار السلك القنصلي لتوديع العاهل بظاهر المدينة وهي مما يعبر عن التقاليد الدبلوماسية المعروفة الى الآن...

ولما توفي ملك البرتغال وجّه العاهل المغربي سفارة يرأسها القائد محمد بن أحمد المؤذن السرغيني لتهنئة ملكها الجديد كارلوس الأول بتبوإ العرش وكان خطاب السلطان يحمل تاريخ 22 ربيع الثاني 1307=16 دجنبر 1889.

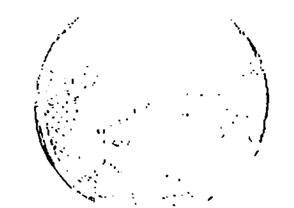
وقد وقفْتَ في البرتغال وبالذات في مدينة Villavicosa على صورة رسالة التعزية التي كانت مثلاً في الإبداع والزخرف وهي تتعلق أيضاً باعتماد السفير المغربي القائد السرغيني ومن معه من بقية أعضاء الوفد.

وقد استمرت العلاقات الرسمية بين المغرب والبرتغال إلى أن اضطر المغرب الى قبول الحماية الأجنبية...

بسم الله الرحمن الرحيم وسبحان الله عما يصفون

من عبد الله المتوكل على الله أمير المؤمنين المعتصم بالله الواحد رب العالمين





أيد الله بعز نصره أوامره، وجعل فيما يرضي الله موارده ومصادره، وكان له في جميع أموره وتولاه،
وكفاه ما أهمه من أمور دينه ودنياه، الى السلطان الشهير بالمعونة في رعيته المعظم في جنسه الذي
لوفور محبته في جانبنا العالي بالله حصل له عندنا الشفوف على غيره والتمييز الدون ميقل ملك جنس
البرطقيز حيث تكون محروس الجناب موفور الانصار والاحباب ولا تلفعت شموس عزكم بنقاب أما بعد
فمن المعلوم المقرر والمحتم المسطر أن لكم من محبة جانبنا العالي بالله الحظ الأوفر ولكم بأمورنا من الاهتمام
والاعتناء بما عندكم معروف عند الخاص والعام يعلم ذلك من يعقل ولذلك مهما عن لنا حاجة مهمة
الا ولم يقع عندنا فيها بسواكم لما ذكر من مزاياكم وقد احتجنا الرش من آلة الحرب المعدة للمدافع والقش
وأردنا وروده منا في أقرب مدة فالمراد منكم والمعتمد في جانبكم أن تجعلوه نصب عينكم وتقدموه وما لكم بحكم
حتى توجهوه لنا الحضرة الشريفة في أقرب أمد على أجمل حال ومع الانتقاء في غاية الكمال وما لزم من
الثمن المحتاج اليه يؤدى لكم صحبة من ناولكم ... الامر المعتمد بالله في 5 ربيع الأول الجاري
عام 1247 ومنه وبين لنا ثمن الجميع صح به في تاريخه

14 غشت 1831

رسالة من السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام الى العاهل البرتغالي حول التعاون العسكري بعد اجتياح فرنسا للجزائر وهي بتاريخ 5 ربيع الأول 1247 = 14غشت 1831

الفصل السادس

علاقات المغرب مع البلاد المنخفضة
والنمسا وروسيا وهامبورغ وبريم ولوبيك وبروسيا

- العلاقات المغربية مع الأراضي المنخفضة
- السفارات المتبادلة
- الاتفاقيات بين الطرفين
- العلاقات بين المغرب - النمسا
- سفارة مغربية في فيينا
- أثر النزول الفرنسي بالجزائر على العلاقات
- العلاقات المغربية الروسية وزيارة أمير روسيا للمغرب
- بين المغرب وبروسيا وهامبورغ - بريم - لوبيك

علاقات المغرب مع البلاد المنخفضة

واستمراراً في الخطّ الذي كانت عليه العلاقات المغربية مع البلاد المنخفضة أيام دولة السعديين قامت الولايات العامة بإجراء اتصالاتها الأولى منذ تربع السلطان المولى الرشيد ثاني ملوك الدولة العلوية بعد محمد الأول[1].

ولم تلبث العلاقات أن أخذت طريقها الجيّد بعد ما جلس السلطان المولى اسماعيل على كرسيّ الحكم حيث نجد بتاريخ 13 ذي الحجة 1093=13 دجنبر 1682 مشروعاً لاتفاقية مغربية هولاندية تتألف من واحد وعشرين فصلا تدارسها الجانبان... وقد توج المشروع بالطابع الكبير للسلطان المولى اسماعيل [2].

وقد صدر ظهير من السلطان المذكور بتاريخ 6 شعبان 1094=31 يوليه 1683 باعتماد مبعوثه يوسف طوليدانو ليبلغ هولاندا مقترحات العاهل...

وجواباً عن سفارة السلطان العاهل المغربي الى هولاندا بعثت هذه بالسفير خوان سميث الذي كان مصحوباً بوفد تجاري، وهذا ما تكشف عنه رسالة للمولى اسماعيل الى «كافة الاصطادوس» وهي بتاريخ 10 رمضان 1095=21 غشت 1684 طمّن فيها هولاندا بأن شروط المهادنة في البحر بين الجانبين مضمونة وهو يطلب باستيراد الأدوات اللازمة للأسطول...

وقد وجدنا رسالة مسهبة للسلطان مولاي اسماعيل بتاريخ 10 صفر 1097=6 يناير 1686 توجّه بها الى الولايات المذكورة القائد حسين أشكيرد حول صفقة أسلحة اشتراها المغرب.

---

1) Colonnel Justinard, Quelque Documents inêdits sur le Maroc 1670-1680, Hesp, 1950, p 97-99

2) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج. 9، ص. 185.



الاتفاقية المغربية الفلامينكية الهولاندية على عهد السلطان المولى اسماعيل،

وهي بتاريخ 13 ذي الحجة 1093 = 13 دجنبر 1682

كذلك نجد رسالةً منه بتاريخ 27 جمادى الأولى 1099=30 مارس 1688 تخبر بوصول جواب الولايات بواسطة حسن أشكيرد الذي نقل الى العاهل عواطف الحكام.

والى جانب عددٍ من الرسائل المحررة - بصفة استثنائية - باللغة الإسبانية تتصل بحوادث القرصنة ينتقل بنا الأرشيف الوطني الى أيام السلطان مولاي عبد الله حيث نجد رسالة الى الولايات العامة بتاريخ 22 ذي القعدة 1141=29 يوليه 1729 تخبر باعتماد سفارة الولايات المذكورة.

ومن الظريف أن نجد رسالة مرفوعة للسلطانة خناثة بنت بكار أم مولاى عبد الله الى الولايات العامة بنفس التاريخ حول مهمة السفير السابق وكأنها تأكيد من «لالة أم سيدنا[1]».

ونقف بعد هذا بتاريخ 23 محرم 1142=18 غشت 1729 على التوجيهات التي بعثها العاهل المغربي الى الباشاظور الرايس الحاج عبد القادر بيريس السلوى فيما يتصل بالعلاقات المغربية الهولاندية.

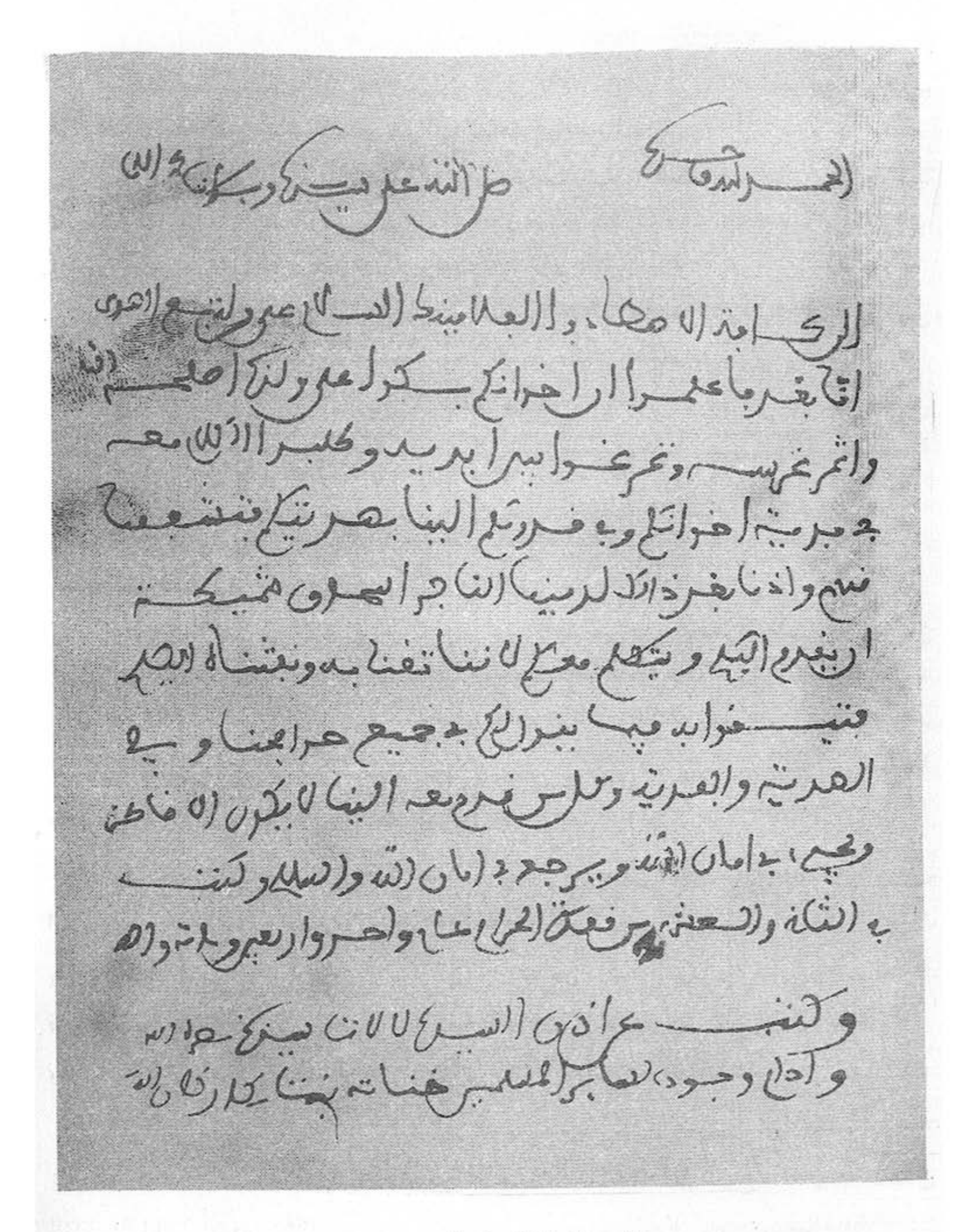
وقد وقفت في هولاندا على الترجمة الكاملة للاتفاقية المغربية الهولاندية التي تتألف من خمسة عشر فصلاً وهي بتاريخ 8 نونبر 1730=27 ربيع الثاني 1143.

وتفتر العلاقات بين المغرب وهولاندا أثناء فترة التنافس على الحكم الى أن يعود السلطان المولى عبد الله لكرسي الحكم في ولايته الرابعة، حيث نجد سفارةً هامة من هولاندا عام 1166= أواخر عام 1752 برئاسة الباشادور فرانسيسكو، ولويز بوتلير Butler، وردا على العاهل يحملان إليه رسالة الولايات مع فدية الأسرى الهولانديين... وكانت هذه مناسبة لعقد اتفاقية 14 محرم 1166=21 نونبر 1752.

ولم يمض وقت قليل على جلوس السلطان سيدي محمد بن عبد الله (محمد الثالث) على العرش حتى وجدناه يتابع الاتّصال مع أصدقاء أسلافه، وهكذا وجدنا رسالة محررة بمكناسة الزّيتون بتاريخ أواخر صفر 1172= أواخر أكتوبر 1758 وتتضمن تأكيد المودّة والإخبار بتحرير سفينة فلامنكية من لدن المجاهدين المغاربة بمجرد ما علموا أن ركابها يحملون «باص بُرط» فلامنكياً... وهو يخبر بإرسال سفيره محمد الرزيني التّطواني مصحوباً بالحاج أحمد الشفشاوني.

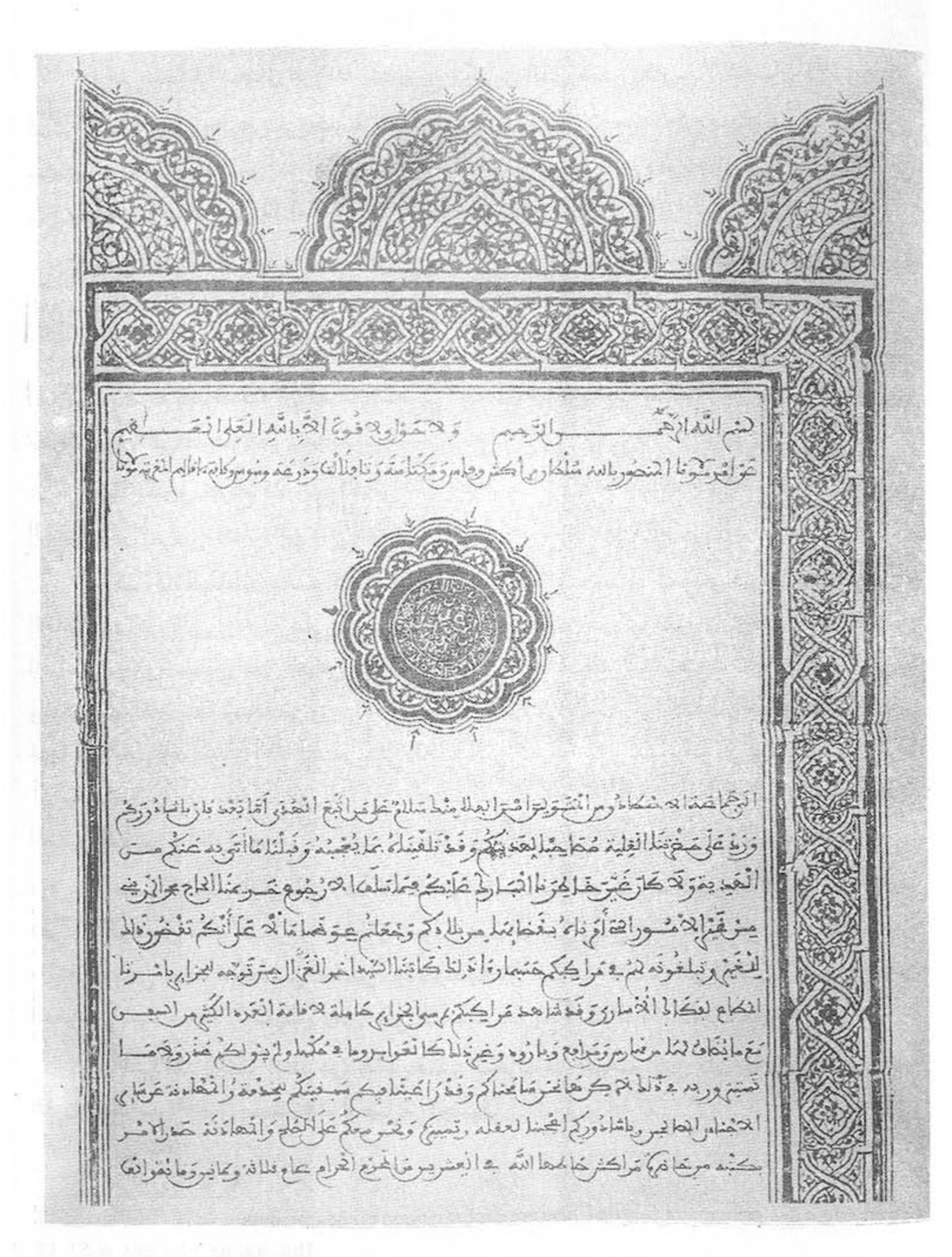
ثم تأتي رسالةٌ تحمل الطابع الكبير وهي تخبر بإنشاء مرسى (الصويرة) من لدن الملك محمد الثالث وتدعو لتعميره من لدن الولايات العامة، والرسالة تحمل تاريخ سادس عشر ربيع الثاني 1179=2 أكتوبر 1765.

(1) د. التازي، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، صفحة 174-182، نشر الفنك، بمساهمة : Friedrich Ebert Stiftun 6، البيضاء 1413=1992.



رسالة من السلطانة خناتة إلى الولايات العامة

بتاريخ 22 ذي القعدة 1141=19 يونيه 1729



بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

عن أمر مولانا المنصور بالله سلطان مراكش وفاس ومكناسة وتافيلالت ودرعة وسوس وكافة الأقاليم المغربية مولانا [illegible]

إلى جماعة [illegible] ومن المشورة على أمرائها منه سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن باشادوركم

ورد على حضرتنا العلية صحبة [illegible] وقد تلقيناه بما يجب وقبلنا ما أتى به عنكم من

الهدية وقد كان [illegible] خاطرنا البارح [illegible] عليكم فيما [illegible] رجوع خديمنا الحاج محمد الزريني

من قبلكم بالأمور التي أمرناه بها [illegible] من بلادكم وجعلتم عوضها [illegible] على أنكم تقضون [illegible]

لخديمنا وتبلغونه له في مراكبكم [illegible] كاتبنا الشيخ أخو الغزال [illegible] توجهه للجزائر باشرنا

الكلام لكم إلى الأسارى وقد شاهد مراكبكم [illegible] الجزائر كاملة في [illegible] الكثير من السبع

مع ما ينضاف لذلك من قماش ومدافع وبارود وغير ذلك [illegible] وما في حكمهما ولم يبق لكم عذر في ما

[illegible] في ذلك [illegible] وقد رأينا فيكم [illegible] سفينتكم بخدمة والمهادنة [illegible]

الأجناس التجار وباشادوركم [illegible] لعقله [illegible] ونحن معكم على الصلح والمهادنة حتى الأمر

كتبه من [illegible] مراكش حاطها الله في العشرين من محرم الحرام عام ثلاثة وثمانين ومائة وألف

من بين رسائل الملك محمد الثالث للولايات العامة هذه الرسالة حول مهمة السفير الرزيني

وهي بتاريخ 20 محرم 1183=26 مايه 1769

وقد سجلنا التحاق هولاندا بتصريح مكناس الذي صدر بتاريخ 7 شعبان 1191 = 10 شتنبر 1777 وهو يحتوي على خمسة فصول تتناول الفصول الأربعة الأولى منها القضاء على الرق بينما يمنع الفصل الخامس أسر السفن المحملة بالحبوب الموجهة الى «قوم جائعين». من غير تفريق بين مسيحي ومسلم على ما أسلفنا.

ومن الطريف أن يقف المرء على الجرد الطويل العريض لمختلف الهدايا التي توجه بها الفلامنك للعاهل المغربي الملك محمد الثالث وفيها أنواع غريبة...

ويسجل تاريخ 20 ربيع الثاني 1200=20 يبراير 1786 مرسوماً ملكياً يسلم للقنصل الفلامنك بطنجة يتعرف منه أن العاهل المغربي أنعم عليه بالدار التي سكنها الفلامنك أول ما وصلوا طنجة عوضاً عن دارهم بثغر العرائش...

كما يسجل تاريخ 25 ربيع الثاني 1200=25 يبراير 1786 رسالة أبلغت الولايات عن طريق السفير عمر أيوب تتحدث عن منح الولايات العامة احتكار التجارة بمرسى العرائش.

وبعد وفاة السلطان محمد الثالث لاحظنا تعثر العلاقات بسبب التنافس على الحكم بين أبناء العاهل المذكور الى أن تربع على كرسي الحكم ابنه السلطان مولاي سليمان، وهكذا فعندما جلس السّلطان مولاي سليمان على العرش عام 1206=1792 سجلنا بعض المخاطبات بين الجهات المغربية والفلامنكية كان منها رسالة من وزير الخارجية الأمير مولاي الطيب أخي السلطان مولاي سليمان يخبر فيها الولايات العامة بأنّ أخاه مستمرٌ على الحالة التي كان عليها والده، وأنه أي مولاي سليمان يريد أن يبعث سفيراً من المغرب الى الولايات العامة لقضاء بعض الأغراض ولذلك فهو يطلب مساعدة السفير المغربي والوقوف معه... وكانت الرسالة بتاريخ 28 ربيع الثاني 1209=22 نونبر 1794.

وحسب السجل التاريخي لأهمّ الأحداث الدبلوماسية الذي نشرته الخارجية المغربية [1] نجد نصّ اتفاقية بين ملك المغرب السلطان المولى عبد الرحمن وبين حاكم هولاندا حول دعم التجارة والملاحة التي توجد قديماً بين البلدين، وقد وقعها عن هولاندا القنصل البريطاني دريمون هي وعن المغرب السيد محمد الخطيب، وهي على التحديد بتاريخ 4 شوال 1274=18 مايه 1858 [2].

وأخيرا فقد وجدنا (بنك هولاندا) بجانب المغرب في المحنة التي كان يعاني منها في بداية القرن العشرين [3] قبل بسط نظام الحماية الأجنبية.

---

1) Chronologie des principaux fais de l'histoire diplomatique du Maroc depuis le XVIme siecle

2) Ibn Azzuz : Pactos p 51

3) François Charles, Roux et Caillé : Missions Diplomatique Francaise à Fez, Hesp 1954, p 319-320-321

العلي العظيم
ولا حول ولا قوة إلا بالله

بسم الله الرحمن الرحيم



إلى كبير جنسه البرزيدنتي ... أمريكا وكافة الاصطادوس
علينا ... السلام على من اتبع الهدى أما بعد فليكن في علمكم أن
مولانا وأخانا المنصور بالله أعلى الله أمره ومنفرد ... معكم
على الحالة التي كنتم عليها مع مولانا ووالدنا ... رحمه الله ونفع
برضاه ... أعزه الله جانبه ... إلى عندكم باشادور
وأهل حرمته الشريفة في بقاء بعض أغراضه ... بالله ...
يفعلوا معه ... واعتنوا به في ذالك ...
لو من جانب أخينا السلطان ... الله كل ما تريدون وتطلبون
إن شاء الله وبتاريخ الثامن والعشرين من ربيع الثاني عام ١٢٠٩

رسالة من الأمير مولاي الطيب وزير خارجية مولاي سليمان إلى الولايات العامة

بتاريخ 28 ربيع الثاني 1209

العلاقات المغربية النمساوية

لدى سنة 1194=1780 حرّر القنصل العام النمساوي الموجود في قادس مذكرة الى بلاده يقترح عليها إبرام معاهدة مع المغرب على نحو ما فعلته الدول الأروبية الأخرى.

وبهذه المناسبة أخبر القنصل النمساوي بلاده بأن العاهل المغربي سيدي محمد بن عبد الله (محمد الثالث) قد قام بمبادرة رائعة من جانبه، وذلك بقراره إرسال سفارة هامة الي فيينا تستهدف ثلاثة أغراض.

فهي تهنئ الأمبراطور جوزيف الثاني من جهة، وتقدم له من جهة ثانية التعازي بمناسبة وفاة والدته الأمبراطورة مارية ثيريزيا (Maria Therezia) كما أنها من ناحية ثالثة تدعو الأمبراطور لعقد اتفاقية ثنائية بين الطرفين...

ولم يفت القنصل المذكور أن يبرز في تقريره أن المغرب هو الدولة الوحيدة التي استعصت على الباب العالي... وأنه لابدّ من الاهتمام بالسفير المغربي الذي يوجد في طريقه الى فيينا، وتخصيصه بأنواع الاحتفال لكونه يمثل ملكاً يضاهي سلطان تركيا... [1].

ومن الطريف أن نجد ضمن أعضاء البعثة جوقة موسيقية اعتباراً ربّما لما بلغ للعاهل عن الموسيقي النمساوي موزار ! وهكذا تم استقبال السفير المغربي من طرف الأمبراطور يوم 28 يبراير 1783 وأخذ له رسم ملون جميل أثناء استقباله، وكان الرسّام الذي قام بالمهمة هو لوشينكول Loschenkohl على ما وقفتُ عليه في متحف مدينة فيينا Museum der Stadt.

وقد نصت الاتفاقية على «امتياز النمسا على سائر الدول الأخرى، كما عالجت قضايا تحرير الأسرى من الجانبين وهي القضايا التي كانت تشغل بال الملك محمد الثالث، كما اهتمت المعاهدة بحقوق الديوانة، والاحترام المتبادل بين الدولتين، كما أكدّت على أن النص اللاتيني للمعاهدة يبقى هو الأصل...

ولابدّ من الإشارة الى أن الملك محمد الثالث كان يهدف من خلال هذه الاتصالات الى تطويق الخلاف بين العثمانيين وبين النمسا [2].

---

1) Ramon Lourido Diaz : Relaciones Del Alawi Sidi Muhammad B Abde Allah con el imperio turco en el segundo periodo de su sultanato 1775/1790 hesp tamuda 1986, p 231

2) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج. 9، ص. 218-219.



السفير محمد ابن عبد الملك يقدم أوراق اعتماده للملك جوزيف الثاني
يوم 25 ربيع الأول 1197 = 28 يبراير 1783
عن لوحة بريشة لوشينكول كما وقفت عليها في متحف فيينّا

وقد أبرمت الاتفاقية المذكورة في (فيينا) بتاريخ 14 أبريل 1783= جمادى الأولى 1197 وصودق عليها يوم 24 من الشهر المذكور من طرف الامبراطور النمساوي بينما تمت مصادقة العاهل المغربي عليها في منتصف سنة 1784= شعبان 1198.

وقد كانت العلاقات آخذة سيرها الطبيعي من تبادل الرسائل لولا ماجد على الصعيد الدولي من عودة الحرب بين العثمانيين والنمسا في أوائل عام 1788، فهنا وقف العاهل المغربي الى جانب الباب العالي... حيث وجدناه يُصدر بخطّه الشريف بتاريخ 23 جمادى الأولى 1202=1 مارس 1788 منشوراً الى كافة القناصل الأجانب الموجودين بالمغرب يقول من جملة ما يقول «... كل من هو صلح مع **السلطان العثماني** فهو في صلح معنا وكل من هو في حرب معه فهو معنا في الحرب...» [(1)].

ولم تعُد الحياة السياسية بين البلدين الى مجراها الطبيعي إلاّ في بداية القرن التاسع عشر أيام السلطان المولى سليمان بن محمد الثالث حيث وردت رسالة من الأمبراطور فرانسيسكو الثاني تحمل تعزية بلاده في وفاة محمد الثالث وتهنئة مولاي سليمان.

وقد أجاب السلطان المولى سليمان على هذه الرسالة من مكناس بتاريخ 4 شعبان 1221=19 نونبر 1803 على ما يوجد في الأرشيف الوطني...

وهنا بدأ التّفكير من النّمسا في استعادة الاتّصال الوثيق بالمغرب حيث وصل ڤون پويّي (Von Pouilly) رئيس البعثة الدبلوماسية النّمساوية الى طنجة واتّجه الى مكناس حيث كان يقيم السلطان المولى سليمان، وقد تمت المصادقة على اتفاقية جديدة يوم 6 ربيع الثاني 1220=4 يوليه 1805، وهنا كتَبَ السّلطان المولى سليمان في نفس التاريخ رسالةً الى القيصر فرانجسقوس يخبره بوصول سفيره المذكور حاملاً الخطاب وكناش الصلح الذي وقع بين سيدنا الوالد وبين السلطان قيصر في مدة حياتهما مع إضافة شرطين آخرين يوافق عليهما العاهل المغربي...

وقد كان على العلاقات أن تستمر في طريقها لولا حادث وقع أيام السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام يوم 20 محرم 1244 ثاني غشت 1828 حيث استولى بعض الرؤساء البحريين المغاربة على باخرة نمساوية تحمل إسم فيلوص (Veloce) كانت مثقلة بالبضائع آخذة طريقها من تريبست الى (ريُودي جانيرو) !

1) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج. 2، ص. 61.

الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم



إلى الملك الأعظم والسلطان المؤيد الأفخم سيد ملوك أجناس النصارى
ورئيس عظمائها بما أوليه من الدهاء وبطانة الذهن وأصالة
الرأي وسلامة الفكر والذكاء السلطان قيصر فرانجسكوس
الثاني ملك الله له في أقطاره ورزقه علو القدر ورفعة الشأن
من أبناء جنسه وأهل أقطاره أما بعد فقد وصلنا باشدور الذي
وجهت به لحضرتنا وبيده كتابك وكناش الصلح الذي كان
وقع بين سيدنا الوالد وبين السلطان قيصر يوسف الثاني في
مدة حياتهما ووقفنا على ما فيه من الشروط وتأملناها فو
جدناها شروطا حسنة كلها فيها الخير والمصلحة للجميع فو
افقنا عليها وأمضيناها مع باشدور وطلب منا شرطين
آخرين نزيدهما له في الشرط الخامس والثامن فزدناهما له في
هما حسبما تقف على ذلك في نسخة الصلح الواردة عليك
وهذا الباشدور لما ورد علينا وتلاقينا معه واختبرناه وجدنا
ه عاقلا حازما ضابطا مثله من يوجه لمهمات الأمور و
عظائم الأشياء ورأينا فيه معرفة ونجاحة كونك
اخترته وجعلته واسطة بيننا وبينك في عقد هذا الصلح ال
مبارك وعلمنا أنك لا تستنكه هذا الأمر الذي هو في
غاية ... والثبات من أهل رعيتك والله يصلح بكم
أموركم ... ويرزقكم الظفر والنصرة على من عاداكم
من أهل ملتكم وبه كتب بقاعدة مكناسة الزيتون في 6 ربيع الثاني
عام 1220

رسالة العاهل المغربي مولاي سليمان إلى قيصر الثاني 6 ربيع الثاني 1220 = يوليه 1805
من مولاي سليمان إلى السلطان قيصر فرانسيسكو «...وصلنا باشا دورك وبيده كتابك وكناش الصلح الذي كان وقع بين سيدنا الوالد وبين السلطان قيصر يوسف الثاني في مدة حياتهمامع إضافة شرطين

وانتـهت الأزمـة الحـادّة في الأخـيـر الى إبرام اتفـاقـيـة صلح صـدر بهـا الأمـر يوم 29 شعبان 1245=23 يبراير 1830 على ما ورد في التصدير الذي يبتدئ بالبسملة والحوقلة والطابع الكبير للسلطان مولاي عبد الرحمن[1].

وعلى نحو ما أسلفناه مراراً[1] فإن لطرق فرنسا أبواب الجزائر أثراً على الضغط الممارس ضد المغرب، وهكذا صادق المخزن على مشروع الاتفاقية بين الطرفين بتاريخ 10 جمادى الأولى 1246=18 أكتوبر 1830 بل ورضخ لتحميد أسطوله الذي كان أسطورة البحار !

ولم يكن في وسع المغرب – بعد احتلال الجزائر – إلا أن يقبل أيضاً التعديل الذي طرأ على الشرط الثامن من الشروط الإثني عشرة للمعاهدة المغربية النمساوية، وكان هذا التعديل بتاريخ 4 رجب الفرد 1246=19-12-1830.

وقد استمرت العلاقات عادية بين النمسا والمغرب على ما تنبئ به رسالة حررت أيام السلطان مولاي الحسن (الحسن الأول) بتاريخ 13 محرم 1303=22 أكتوبر 1885 صادرة عن إذن نائب القنصل العام لدولة النّبريال (النمسا) بإيالة مراكش الى نائب السلطان السيد الحاج محمد الطريس تستنجد فيها القنصلية بالمملكة المغربية حتى تسعف مركباً نمساوياً بستين طناً من الفحم الحجري من (البابور الحسني)، وكان المركب النمساوي في طريقه الى أمريكا...

ولما كان المغرب طلب في بداية عهد السلطان المولى عبد العزيز بن الحسن من النمسا كشفاً بالقوانين العسكرية الجاري بها العمل في النمسا-هنغاريا، فقد زودت البعثة النمساوية الهنغارية الوزير الأول «باحماد» بتلك القوانين الثمانية حسبما تدل عليه الرسالة المؤرخة في 26 محرم 1313=20 يوليه 1895 [2].

وقد خفت الحديث عن العلاقات بين البلدين بعد بسط الحماية الأجنبية عام 1912.

---

1) لقد اعتذر الأمناء، الحاج الطالب بن جلون والعربي السعيدي والطيّب البيّاز في رسالة تحمل تاريخ 2 شوال 1244=7 أبريل 1829 عن هذا الحادث الذي كان وراء الهجوم على العرائش على ما تحدثت به صحف جبل طارق حيث جرت المفاوضات الصعبة التي ناب فيها عن المغرب يهودا بن عليل والتي انتهت الى توقيع الاتفاقية مع الدبلوماسي النمساوي فلوگل (Pflüg) الاستقصا 9، ر. 26، التاريخ الديبلوماسي للمغرب، 2 ر. 203-204-205.

2) التاريخ الديبلوماسي للمغرب، ج. 2 ,174.

العلاقات المغربية الروسية

كتب كازيليا نينكوف أميرال البحرية الروسية في المتوسط بتاريخ 29 مارس 1778 الى الوزير الأول الروسي تْشيرنيشوف Tchernichov ينبئه بأنه قام بزيارة السفير المغربي محمد بن عبد الملك الذي كان يوجد في طوسكان على رأس بعثة دبلوماسية حيث أبرمت اتفاقية بين المغرب والطوسكان عام 1192=1798 عن قرار السلطان المتعلق بفتح الموانئ المغربية أمام الطوسكان.

وضع نينكوف تحت تصرف السفير المغربي المذكور وبطلب منه (فرگاطتين) من طوسكان حيث كان في مهمة رسمية على ما قلنا وذلك لكي تنقلا السفير المغربي من طوسكان الى مدينة طنجة، وهي المرة الأولى التي تصل فيها سفن روسية الى ميناء طنجة... [1].

ويستفاد من الوثائق المحفوظة أن السفير محمد بن عبد الملك طلب عند سفره من طنجة الى مدينة مراكش من الكابتان سكوارانوف التريّث لحين استلام رسائل توجه الى الملكة كاثرينا الثانية والى الوزير الأول تشيرنيشوف.

وقد أكدت هذه الرسائل تطلع المغرب الى إقامة علاقات ودية مع روسيا ورغبته في عقد اتفاقية تجارية معها كما عبرت عن امتنان السفير المغربي.

وبعد هذه الاتصالات عثرنا على عدد من الوثائق التي تؤكد رغبة الطرفين في عقد علاقات تجارية بينهما.

وقد كان أهمها رسالة من الملك محمد الثالث يحملها السفير محمد بن عبد الملك ليسلمها الى القنصل الروسي في بيزا ليبلغها الى الامبراطورة كاثرين الثانية وكانت بتاريخ 10 شعبان 1196 = 22 يوليه 1782.

وقد أجابت الامبراطورة عن الرسالة الملكية برسالة مؤطرة بتاريخ 21 يونيه 1783 = 20 رجب 1197 .

1) د. التازي، الوساطة المغربية بين الروسيا وتركيا، ندوة الرباط شتنبر 1988.

وقد ورد في رسالة الملك محمد الثالث الى الأمبراطورة كاثرينا الثانية ما يلي :

«إننا لا زلنا معك على الصلح الذي جعله معك باشادورنا القائد محمد بن عبد الملك، ولما أردنا توجيهه لتلك الناحية بقصد الوصول الى الگراند دوك (في طوسكانا)، كتبنا لك كتابنا هذا لتتعرفي منه أننا لا زلنا معك على ما تعتادينه من المهادنة والصلح، وكل ما تحتاج إليه مراكبك التي ترد لمراسينا فلا يمنعهم أحد من خدامنا من كل ما يتوقفون عليه، وكل من ورد من تجار بلادك لمراسينا فيكون له التمييز عندنا على غيره».

وهذا جواب الملكة كاثرينا الثانية على رسالة العاهل محمد الثالث، وهي تؤكد أن القنصل الروسي تسلمه الرسالة في بيزا من السفير محمد بن عبد الملك...

وبالرغم من أن المصادر التي نتوفر عليها الى اليوم تقتصر على أن الغرض من مراسلات ابن عبد الملك هو «السلام والتجارة» إلا أنني مع ذلك واعتماداً على أن المغرب، يتمتع بسمعة دولية طيبة فإني على مثل اليقين من أن المغرب يقوم بمساعيه الحميدة من أجل تطويق الخلاف بين السلطان عبد الحميد والأمبراطورة كاثرين[1].

ويستأثر (مخطوط الابتسام عن دولة ابن هشام) بذكر إفادة تاريخية لم تردد صداها المصادر الأخرى التي بين أيدينا، ويتعلق الأمر بتزويد الروسيا للمغرب بالقمح في أعقاب جفاف البلاد... عام 1238=1822-1823 أواخر أيام السلطان مولاي سليمان...

1) التاريخ الديبلوماسي للمغرب، ج. 9، ص. 235-237.
د. التازي : اهتمام الملك محمد الثالث بالقدس من خلال علاقات المغرب بالعثمانيين (ندوة لندن حول القدس نونبر 2000).

Божиею Поспешествующею Милостию Мы Екатерина Вторая,
Императрица и Самодержица Всероссийская: Московская, Киевская,
Владимирская, Новгородская, Царица Казанская, Царица Астраханская, Царица
Сибирская, Государыня Псковская и Великая Княгиня Смоленская, Княгиня Эстлян-
ская, Лифляндская, Корельская, Тверская, Югорская, Пермская, Вятская, Болгарская
и иных; Государыня и Великая Княгиня Нова-города Низовския земли, Черниговская,
Рязанская, Ростовская, Ярославская, Бело-озерская, Удорская, Обдорская, Кондийская и всея Северныя
страны Повелительница и Государыня Иверския земли, Карталинских и Грузинских Царей и Кабардин-
ския земли, Черкасских и Горских Князей и иных наследная Государыня и Обладательница. Пре-
светлейшему Князю Сидию Мугамету сыну Сидия Абдалы, сыну Сидия Измаила, Султану Мароккскому, -
Фецкому, Сускому, Драйскому, Тафилетскому и Африки Северныя Наше Императорское поздравление.
Полученную вашу Султанскую Грамоту от 10 дня Луны Шаабана 1196, которую Посол ваш Мугамед Бен
Абдылмелик вручил в Риме НАШЕМУ поверенному в делах Статскому Советнику Графу Моцениге, с удо-
вольствием. Мы из оной с удовольствием, как благое ваше расположение сохранять всегда ненарушимо и твердо
непременный мир и дружбу с Империею НАШЕЮ, так и действительное в том начало данными от вас
повелениями Градоначальникам и пристаням портов ваших снабжать и вспомоществовать приходящия
в оныя суда Российския, в чем они будут иметь нужду, и чтоб всякой Купец из Империи Нашей в
портах ваших в приезде и отъезде отличаем и предпочитаем был всякому другому народу. Таковое
извещение не могло быть Нам неприятно с стороны вашей и Мы конечно, взаимствуя ваших дружественных
поступков, не отречемся в пространных областях Империи Нашей позволять вам и подданным вашим
равное равным, в чем вы совершенно уверены быть можете. В протчем желаем Мы вам всякого блага.
Дано в престольном Нашем Граде Санкт петербурге в . день Майя месяца 1783 Года, а Госу-
дарствования Нашего Двадесять Первого Лета.

جواب الملكة كاثرين الثانية على رسالة السلطان سيدي محمد بن عبد الله...
وهي تعرب عن ارتياحها من سماح الأمبراطور المغربي للسفن بالتردد على الموانئ المغربية
والجواب مؤرخ في 21 يونيه 1783 (20 رجب 1197)

وبعد نحو من ثلاثين عاماً على الحرب الروسية التركية قام أحد الأمراء الروس بزيارة للمملكة المغربية، وبالرغم من أن المصادر سواء منها المغربية أو الروسية تذكر أن باعث هذه الزيارة كان سياحياً فإن ما احتفّ بها ومادار فيها من أحاديث بين العاهل المغربي الملك الحسن الأول وبين الأمير الروسي فيازيمسكي أو «ولد سلطان الموسك» كما يسميه الأرشيف المغربي، يجعلنا نميل الى الاعتقاد بأن الزيارة كانت لها فائدة على العلاقات المغربية الروسية...

وقد تمت هذه الزيارة أواخر سنة 1881 على ما تفيده رسالة مرفوعة الى الملك من نائبه بطنجة محمد بركاش...

وتتحدث مذكرات الأمير عن أن مقامه في عاصمة الجنوب استغرق تسعة أيام زار خلالها معالم المدينة وكان يسكن في رياض المُوخَى التازي وزير المالية والخارجية آنذاك[1].

هذا وقد اقتنعت روسيا أخيراً بفتح مفوضية خاصة بها في طنجة وهكذا بعثت بوزيرها السيد باسيل دوباخيراخط (B de Bachercht) الذي وصل مصحوباً بالأمير گاگارين يوم الجمعة 13 مايه 1898.

ونرى من الفائدة أن نشير هنا للتقرير الذي رفعه السفير الروسي الى وزير الخارجية الكونط موارا فيوف ميخائيل نيكولا ييفتش بتاريخ 4 مايه 1898 (16 مايه بالتقويم الجديدة)[2].

وما أن استقر المقام بالسفير الروسي بطنجة حتى أخذ يمارس نشاطه في انتظار موعد المقابلة بمراكش، وقد كان في صدر المطالب التي تقدم بها أن تأذن الحكومة المغربية لأمناء مرسى الدار البيضاء بالسماح له بوسق كمية من الشعير والقمح، وقد كان الطلب على شكل رسالة موجهة منه الى النائب السلطاني، وكانت تحمل تاريخ 22 غشت 1898=14 ربيع الأول 1316.

ولعل من المفيد أن نشير كذلك للتقرير الذي رفعه السفير - بعد أن صدر له الإذن بالمقابلة الملكية - الى وزير الخارجية الروسية بتاريخ 17 مارس 1899-25 مارس (بالتقويم الجديد)...

وبعد عودة السفير الى طنجة كتب تقريراً الى بلاده حول المقابلة الملكية وكان بتاريخ 25 أبريل = 28 مايه بالتقويم الجديد...

---

1) د. التازي، رسائل مخزنية تتعلق بمخا التازي، أكدال عام 1979.

2) نشكر الأستاذ مكسيم كيكتوف ابن سفير الاتحاد السوفياتي في الرباط (1973) الذي زودنا بترجمة المذكرات...

ويتأكد أن المغرب - وقد أقلقه تسرب الجيوش الفرنسية الى قصور توات نظّم حملة «استرعاء» لدى الدول الأخرى أملاً في مساعدته، وقد كان من بين تلك الدول، روسيا التي كان المغرب يعلق أمله على تدخلها باعتبارها صديقة لفرنسا، وكانت قد تلقت مذكرة مغربية بتاريخ 20 صفر 1318=19 مايو 1900 تتضمن شرح حقّ المغرب في إقليم توات...

وقد رأينا أن السلطان مولاي عبد العزيز بن الحسن يقدم على ارسال سفارة مغربية الى موسكو مزودة بخطاب الى الامبراطور نيكُولا الثاني، وهو أي الخطاب لا يزيد - بعد أن يحلّي نيكولا بأنه ملك لعدد من الأقاليم - على القول بأن العاهل المغربي كان يعتزم منذ عدة أشهر على إشخاص سفارة الى روسيا لتجديد آثار المحبة، ويلاحظ أن الرسالة محررة بمراكش بتاريخ متم محرم الحرام 1319=19 مايه 1901 الأمر الذي يؤكد أن السفارة تحركت في الشهر الموالي.

وقد حمل السفير المغربي معه جواب نيكولا الثاني الى السلطان المولى عبد العزيز، وهو يحمل تاريخ 28 يوليه 1901، وقد جاء فيه على الخصوص أنه استقبل سفارة العاهل المغربي وهي أول بعثة تصل الى بلادنا للإعراب عن عواطف المغرب نحو روسيا...

لكن العلاقات توقفت بين البلدين عندما بسطت الحماية الأجنبية على المغرب، عام 1912.

العلاقات بين المغرب وبين بروسيا
هامبورغ - بريم - لوبيك

لقد كان على العلاقات بين هذه الأطراف أن تنتظر أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله (محمد الثالث) الذي تمت في عهده عام 1196=1782 وبواسطة التاجر الفرنسي المعروف أودبير كايّ (Audibert Caillé) الذي سمّاه الملك محمد الثالث «قنصل من لا قنصل له» تمت في عهده اتفاقيات تجارية بين المغرب من جهة وبين بروسيا وهامبورغ من جهة أخرى على أن تؤدّى للمغرب تعويضات عند رأس كلّ سنة...

وهكذا فبعد هذه المبادرة تم التوصل الى اتفاق بين المغرب وبين الجهتين المذكورتين في العام المذكور[1] بل إن العاهل أمر نائبه في طنجة بإخبار السلك القنصلي في العاصمة الديبلوماسية بطنجة، وكذلك رؤساء السفن بتعليماته.

1) Caillé : Les Accords, p 223, Host : L'histoire, p 91-188

وقد كان للمدينة الحرة بريم (Brême) التي تقع جوار هامبورغ نفسُ العلاقات التي كانت تقريباً مع هامبورغ، وهكذا - تمت اتفاقية بين مدينة (بريم) وبين المملكة المغربية على عهد الملك محمد الثالث والتحقت لوبيك (Lubek) بمدينة بريم...

وفي ذي الحجة 1244 = مونيه 1829 وصلت رسالة من السلطان مولاي عبد الرحمن الى المدن الثلاث هامبورغ، بريم، لبيك (Lubek) تطلب الإتاوات المترتبة على تلك الجهات.

وبينما المفاوضات جارية في ربيع سنة 1830 إذ بفرنسا تنجح في انتزاع الجزائر من تركيا ! الأمر الذي وجه ضربة موجعة للدبلوماسية المغربية حيث اضطر المغرب لتغيير لهجة خطابه مع الدول الأروبية جميعاً.

الفصل السابع

- العلاقات المغربية مع الدانمارك والسويد والنرويج
- السفارات والاتفاقيات
- علاقات المغرب مع :

  جنوة - الطّوسكان - فينيسيا - سردينية - موناكو - صقلية - نابولي
- علاقات المغرب مع الكرسي البابوي

العلاقات المغربية مع
الدانمارك والنرويج والسويد

لم تلبث العلاقات بين المغرب والدانمارك أن تمكنت أيام السلطان المولى عبد الله عندما شعر كلّ من الطرفين بضرورة حوار الطرف الآخر...

وقد كانت الشخصية التي تولت إنشاء هذه العلاقات بين البلدين، هو الأمير سيدي محمد بن عبد الله ولي العهد الذي دخل منذ سنة 1165=1751 الحياة السياسية أيام والده، حيث وجّه نشاطه فعلا وبصفة أساسية للصعيد الخارجي...

وفي هذه الأثناء تحركت بعثة من الملك فريديريك الخامس في اتجاه الجنوب المغربي وكانت برئاسة ج.ب. دولونگفيل (JB de longueville) حيث وطئت ميناء آسفي يوم 13 يوليه 1751...

لقد عقدت اتفاقية بين الدانمارك والمغرب، وهكذا قرأنا رسالةً رقيقة موجهة من الأمير سيدي محمد بن عبد الله الى ملك الدانمارك بتاريخ 6 شوال 1164=30 يونيه 1751، يخبر فيها العاهل الدانماركي بأنه استقبل السفير لونگفيل وأرضى رغبته على ما نقرأه في المصادر الأجنبية [1].

---

1) H. De Castrie, le Danimark et le Maroc, hesp 1926, p. 327.

ولم يَحن تاريخ 5 يوليـه حـتى أعلى لونگوفـيل (Longuville) عن الاتفـاقـيـة المـغـربـيـة الدانماركية، ويصدر مرسوم ملكي بتاريخ 16 شعبان 1166=18 يوليه 1753 الى الملك فريديريك الخامس يتضمن المصادقة على اتفاقية كانت نتيجة تفاوض مع السفير الدانماركي الجديد لوترو Lutzau.

وقد صدر بعد بضعة شهور من هذه الاتفاقية مرسوم جديد للأمير سيدي محمد يحمل تاريخ 27 ربيع الثاني 1167=21 يبراير 1754، وكان هذا الظهير بمثابة تتميم الاتفاقية السابقة.

وقد وجدنا اتفاقية أخرى مع الدنمارك، من ستة بنود بتاريخ 24 شعبان 1169=24 مايه 1765 وقد أكدها الأمير بكتاب طويل بتاريخ 4 شوال 1169=2 يوليه 1756.

وقد زاد في حظ الدانمارك أن أصبح صديقها الأمير، ملكاً للمغرب منذ يوم 24 صفر 1171=7 نونبر 1757 حيث امتد نشاط الدانمارك في المراسي الأخرى.

وفي سنة 1759 بعث العاهل المغربي سيدي محمد بن عبد الله (محمد الثالث) بالقائد الحاج التهامي بن علي مدّون للدانمارك يحمل بعض المطالب من ملك المغرب.

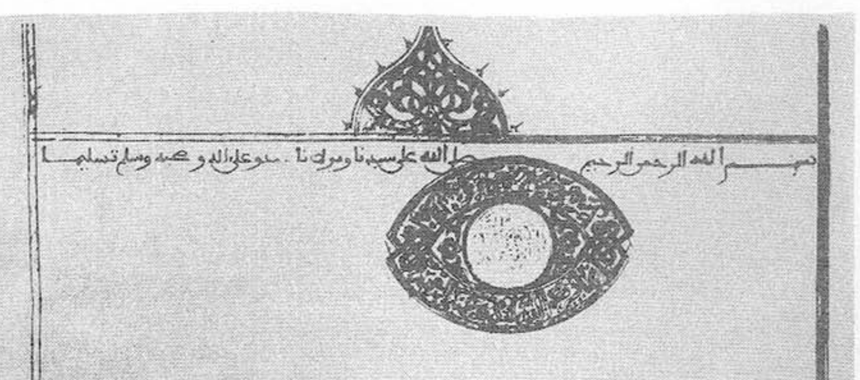
وقد استقبله الملك فريديريك استقبالاً حافلاً في كريسترانبورغ Kristransborg وعين السيد كاس kass لمفاوضته.

وفي هذه الأثناء كان المباشر - بالنيابة - لأعمال القنصلية الدانماركية هو جورج هوست G Host الذي اشتهر بكتاباته حول المغرب [1] والذي أصبح صديقاً شخصياً للعاهل المغربي.

وقد وصل يوم 29 يوليه 1767 قنصل الدانمارك السيد جانس كوسطروب (Jean Koustrup) لمفاوضة المغرب من أجل إبرام معاهدة جديدة، وكان الذي عهد إليه من طرف العاهل بالتفاوض مع القنصل الدانماركي هو الأمير مولاي ادريس.

وقد تمّ التوقيع فعلاً على الاتفاقية يوم 28 صفر 1181=26 يوليه 1767 وبمقتضاها سلم الدانمارك للمغرب عدداً من المواد الحربية، علاوة على الاتاوات السنوية.

1) كان كتابه الأول الذي برز فيه بهذا العنوان :
Efferretninger om Maroks og Fez Samlede Der Lander Par 1760-1768 Copenhague 1779.
وكان في كتبه كذلك : Den Marokanshe kaiser Mohamed Ben Abdallah s. Histoire Copenhague, 1791.
وقد ترجمه للفرنسية دامگارد Damgaard وگينيار Guignard وعنه ننقل بعض هذه المعلومات.



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

الاتفاقية المغربية الدانماركية 16 شعبان 1166 = 18 يونيه 1753

الحمد لله وحده

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

الله

محمد بن عبد الله

[illegible]

رسالة الملك محمد الثالث إلى ملك الدانمارك بتاريخ 4 شوال 1169



رسم للسلطان سيدي محمد بن عبد الله 1766 = 1179 يستقبل بعثةً ديبلوماسية دانماركية يتقدمها السفير...
وقد أحاط بالعاهل المغربي ثلة من العلماء وكبار الدولة. والرسم من كتاب للقنصل الدانماركي الذي عمل
في البداية وكيلا للشركة الدانماركية بآسفي ثم يسلا قبل أن يصبح قنصلا للدانمارك بالمغرب
عن كتاب Host حول المغرب صفحة 142 -143

وحدث في منتصف جمادى الأولى 1189= أواسط يوليه 1775 أن استقبل العاهل المغربي قنصل الدانمارك شوماكير (Shumacher)... وهنا زود العاهل المغربي القنصل برسالة تحمل التاريخ السابق الى ملك الدانمارك كريستيان السابع.

ومن جهة أخرى فإنه من الطريف أن نذكر هنا كذلك رسالةً ملكية بعث بها العاهل المغربي الملك محمد الثالث بتاريخ 22 ذي الحجة 1202=23 شتنبر 1788 الى نائبه بطنجة وأمره أن يوزع نسخاً منها على سائر القناصل المعتمدين في العاصمة الدبلوماسية، وفي هذه الرسالة يطلب ملك المغرب من الدانمارك على مرأى ومسمع من المجموعة الدولية أن تساعد السويد عوض مساعدتها للروسيا التي هاجمت السويد بدون موجب على حد قول الرسالة...

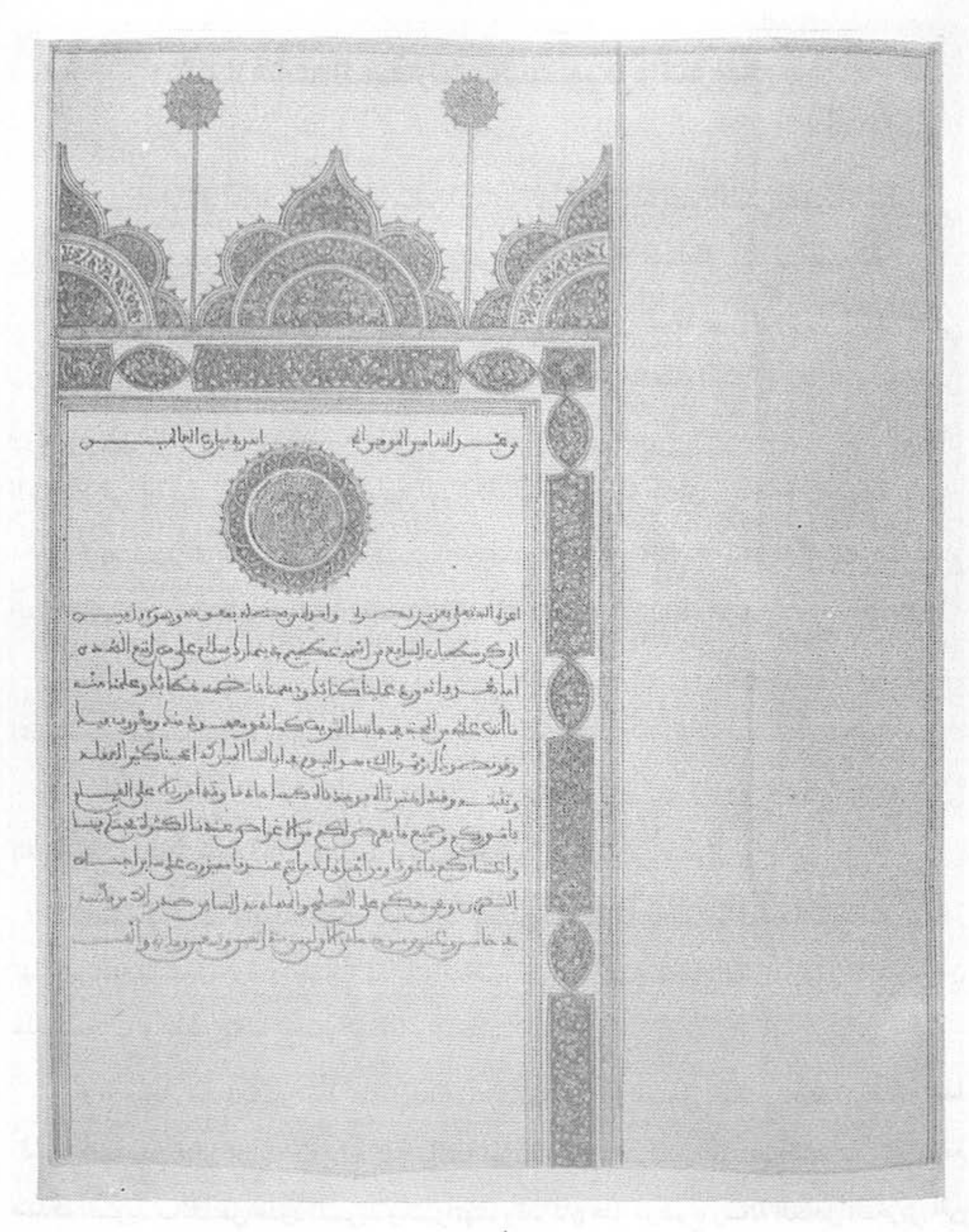
ومن المهم أن نشير في ختام الحديث عن علاقات الملك محمد الثالث مع الملك كريستيان السابع الى نوع من الهدايا المتبادلة التي كانت - كما نعلم سلفاً - تعبر عن وصول العلاقات الثنائية الى قمّتها في التعاون والتفاهم، ويتعلق الأمر بمهاداة الصقور التي تعتبر في الاصطلاح الدبلوماسي أسْمَى تعبير عن الصداقة المتينة...

ولما اعتلى السلطان المولى سليمان على العرش المغربي بعثت الدانمارك بسفير لها الى العاهل لتقديم الهدايا التقليدية، وبعثت مع هذا بهدية تعيد الى ذاكرتنا ذلك التقليد الجميل الذي أشرنا إليه، وأقصد بذلك المهاداة بالصقور والبزاة...

وقد ورد مبعوث من الدانمارك ينقل معه نحو الثلاثين قنطاراً من المعدات الحربية مع عشرة أنفاض الى جانب بازين... وكان السفير مصحوباً بورقة اعتماد مكللة ومطوقة بالذهب.

وعلى نحو ما حدث - بعد سقوط الجزائر في يد القوات الفرنسية في صيف 1830 من مفاتحة عدد من الدول الأوروبية للمملكة المغربية في أن تسقط عنها الإتاوات التي كانت تؤدي سنوياً للخزينة المغربية، فقد وجدنا أن الدانمارك يقوم بدوره بالمحاولة ويطلب من المغرب التنازل عن الفصل التاسع عشر من اتفاقية 20 صفر 1181=25 يوليه 1767 المتضمنة للاتاوات الأمر الذي اضطر المغرب لقبوله وخاصة بعد نكسة إيسلي... !

وقد استمرت العلاقات بين المغرب والدانمارك عادية بعد تعديل الاتفاقية المذكورة عام 1261=1845.



من الوثائق الجميلة التي يحتضنها الأرشيف الوطني في كوبنهاكن: رسالة موجهة من الملك محمد الثالث إلى الملك كريستيان السابع بتاريخ 25 جمادى الأولى 1192 = 25 يونيه 1771، جوابا على رسالة للعاهل الدانماركي مجددا عواطفه نحو ملك المغرب الذي أخبر نظيره بأن القنصل ايربو AIRBO وصل إلى المغرب وأنه سيلقى كامل المساعدة نظرا « لكثرة محبتكم فينا واعتنائكم بأمورنا...

ونحن معكم على الصلح والمهادنة التامين... ».

علاقات المغرب بالسويد والنرويج

لم ينبّه الملك أدولف فريديريك ملك السويد الى بلاد المغرب الأقصى سوى الأخبار التي وصلت سطوكولم عن الأسرى السويديين الذين يوجدون في بلاط السلطان المولى عبد الله !

لقد وجدنا جماعةً من مواطني السويد يقعون في يد بعض المجاهدين البحريين المغاربة في صيف عام 1745 = ذو القعدة 1167 حيث ينزلون مدينة تطوان ليقصدوا منها براً ظاهر مدينة فاس وبالضبط في «دار الدبيبغ» التي كانت مقراً للعاهل المغربي. لقد كان الحدث وراء قرار البرلمان السويدي في أن ينشيء علاقات سلام مع المملكة المغربية فيما يتعلق بالتجارة والملاحة.

وقد عهد الى السيد بيتركريستيان وُولف (PC Wulff) أن يدخل في مفاوضاتٍ مع المغرب وبالذات مع نائب السلطان بطنجة القائد عبد الصادق بن أحمد الريفي...

وكان وصول وُولف الى المغرب في نهاية شهر مارس 1763=3 ذي القعدة 1176 حيث أبرمت اتفاقية بين محمد الثالث وأدولف فريديريك.

ولم يلبث الطرفان أن أمهرا اتفاقيةً من ثلاثة وعشرين فصلا تحمل تاريخ 3 ذي القعدة 1176=16 مايه 1763 تحتفظ بنصها المكتبة الوطنية في سطوكولم.

وبمناسبة اعتلاء الملك گوستاف الثالث العرش عام 1771 بعث الملك محمد الثالث بوفادة تهنئة برئاسة القنصل وولف تحمل الهدايا والتحف... وقد ابتهج عاهل السويد لهذه الالتفاتة من ملك المغرب وأجاب ببعثة تحمل الهدايا والمعدات البحرية.

وقد سجل شاهد عيان : هوست (Host) الدانماركي أن العاهل المغربي عند استقباله لهذا السفير السويدي عام 1186=1773، كان جالساً أمام كرتين أرضيتين وهو يضع إشارته على موقع مملكة السويد سائلاً عن حدود السويد ومميزاتها، وقد كان هذا موضوع رسالة العاهل المغربي الى ملك السويد بتاريخ 20 ذي القعدة 1186=3 يبراير 1773.

وخلال السنوات اللاحقة تتابعت سفارات من سطوكولم على ملك المغرب وهكذا سجل عام 1777 اسم الكولونيل البارون سطرو مفيلت (Strömfelt) الذي شهد الاتفاقية الجديدة التي

الاتفاقية المغربية السويدية بتاريخ 3 ذي القعدة 1176

عقدت بين المغرب والسويد بتاريخ 7 شعبان 1191=10 شتنبر 1777 وهي تتألف من خمسة فصول تماماً على نحو اتفاقية المغرب مع هولاندا في نفس اليوم...

وفي سنة 1785 ورد الكابتان فون روزانسطين (V Rosensteen) يحمل معه ما ترتب على السويد وقد كان فيما صحبه من الهدايا عددٌ من الآلات الحسابية التي كان العاهل يهتم بها.

وفي سنة 1798 ورد بليسينك (Blessing) الذي استقبله السلطان الجديد المولى سليمان بن السلطان مولاي عبد الله يوم ثاني محرم 1213=16 يونيه 1798 حيث أهدى العاهل نحو المائة قنطار من المعدات الى صناديق فيها نفائس الثياب من الملف والكتان.

ولابدّ أن نلاحظ أنه بعد عام 1814 أصبحت النورفيج والسويد متحدة، ومن ثمت فإن علاقات المغرب بالنورفيج كانت عبْر السويد.

وأخيراً نذكر أنه بعد إسقاط الإتاوة عن الدانمارك جاء دور السويد الذي طالب هو الأخر بإعفائه من الأداء حيث أبرم عقد حول هذا الموضوع يحمل تاريخ 8 رجب 1261= يوليه 1845.

وقد استمرت العلاقات والمراسلات بين المغرب والسويد والنرويج الى أن وصلت رسالة من النائب السويدي بطنجة بتاريخ 2 شوال 13023=30 نونبر 1905 تخبر المملكة المغربية بأن الاتحاد الذي كان بين السويد والنرويج قد حل وعادت النرويج إلى استقلالها.

ولم تتوقف العلاقات إلا عندما بسطت الحماية الأجنبية على المغرب عام 1912.

علاقات المملكة المغربية مع :
جنوة، طوسكان، فينيسيا
سردينية - موناكو، وصقلية ونابولي

وقفت في أرشيف الدولة بجنوة على منجم من الوثائق المغربية، وفي صدر ما استرعى انتباهي خطاب من السلطان مولاي اسماعيل الى رئيس جمهورية جنوة، كتب باللغة الإسبانية مصدّراً بالطابع الكبير للسلطان المذكور، وقد حرر بمكناس ويحمل تاريخ 1122 = 1710 ويتعلّق الأمر بسفارة مغربية تتفاوض لبناء قواعد السلام والتجارة بين البلدين...

ومن ضمن الوثائق المغربية التي وقفت عليها في جنوة رسالة بتاريخ أول محرم 1112=18 يونيه 1700 من السلطان مولاي زيدان ابن السلطان مولاي اسماعيل موجهة الى دوك جنوة حول إرسال بعثة مغربية من أجل تسهيل القيام بزيارة لصلة الرحم بين مواطن من جنوة يقيم في المغرب وأخيه الذي يقيم في جنوة !

وبعد هذا نجد رسالةً من العاهل المغربي سيدي محمد بن عبد الله (محمد الثالث) مؤطرّة بألوان زاهية وقد حفظت في غلاف أخضر مطرز بهلال من خيوط ذهبية، وتحمل تاريخ 7 شوال 1181=2 سراير 1769 يُمضي فيها العاهل المغربي ما طلبه حاكم جنوة من حاكم تطوان القائد محمد عاشر [1].

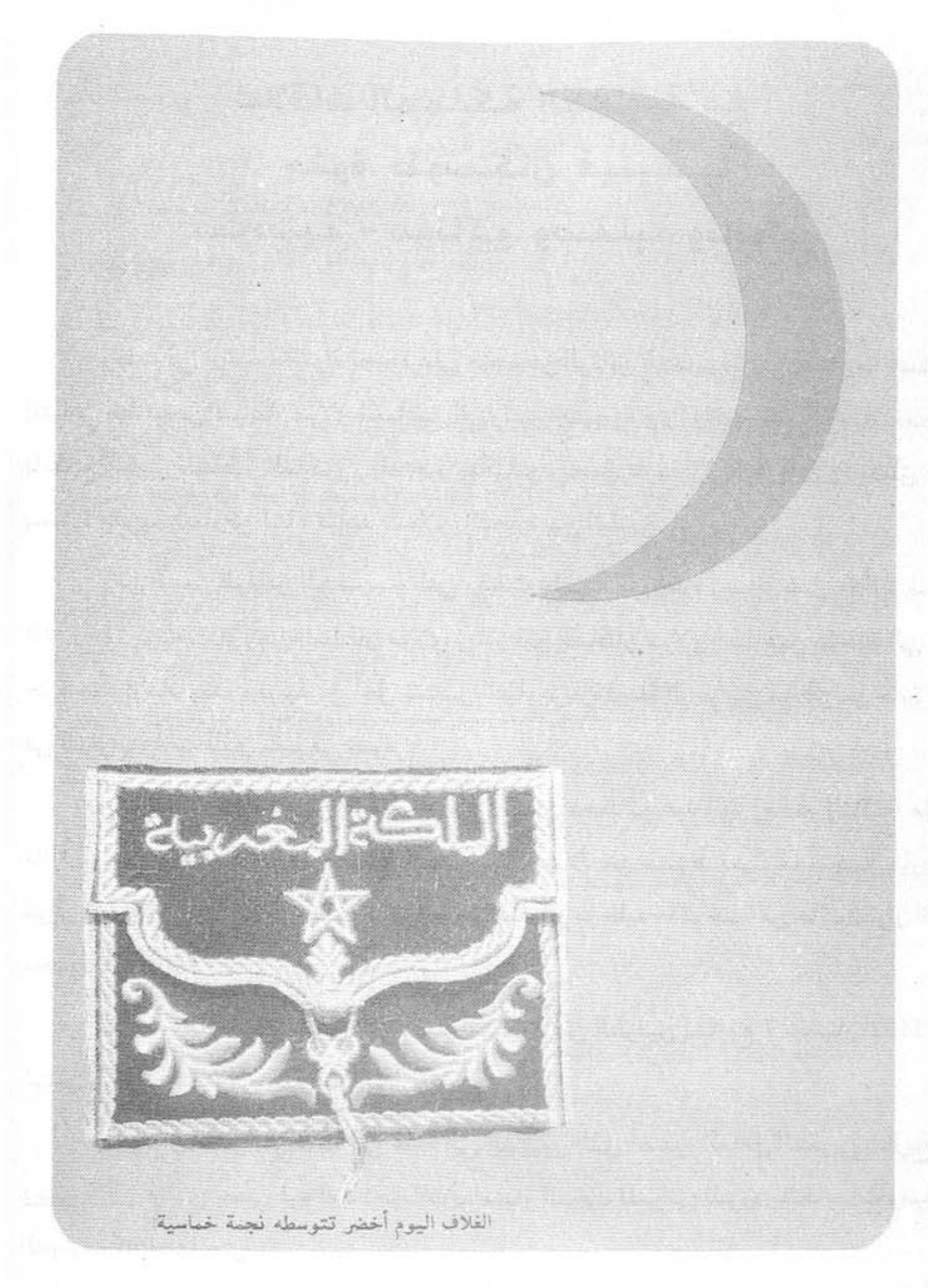
ثم بعد هذا نجد نصوص الاتفاقية المبرمة بين الطرفين بتاريخ 7 شعبان 1191=10 شتنبر 1777 وكانت من ستة عشر بنداً [2].

ولا بد أن نشير بالإضافة الى هذا، الى المنشور الذي أصدره العاهل المغربي بتاريخ 20 دجنبر 1777 والذي يعطي فيه لعدد من الدول امتياز الدخول للموانئ للتزود بالحاجيات ومباشرة التجارة وكان منها جنوة...

---

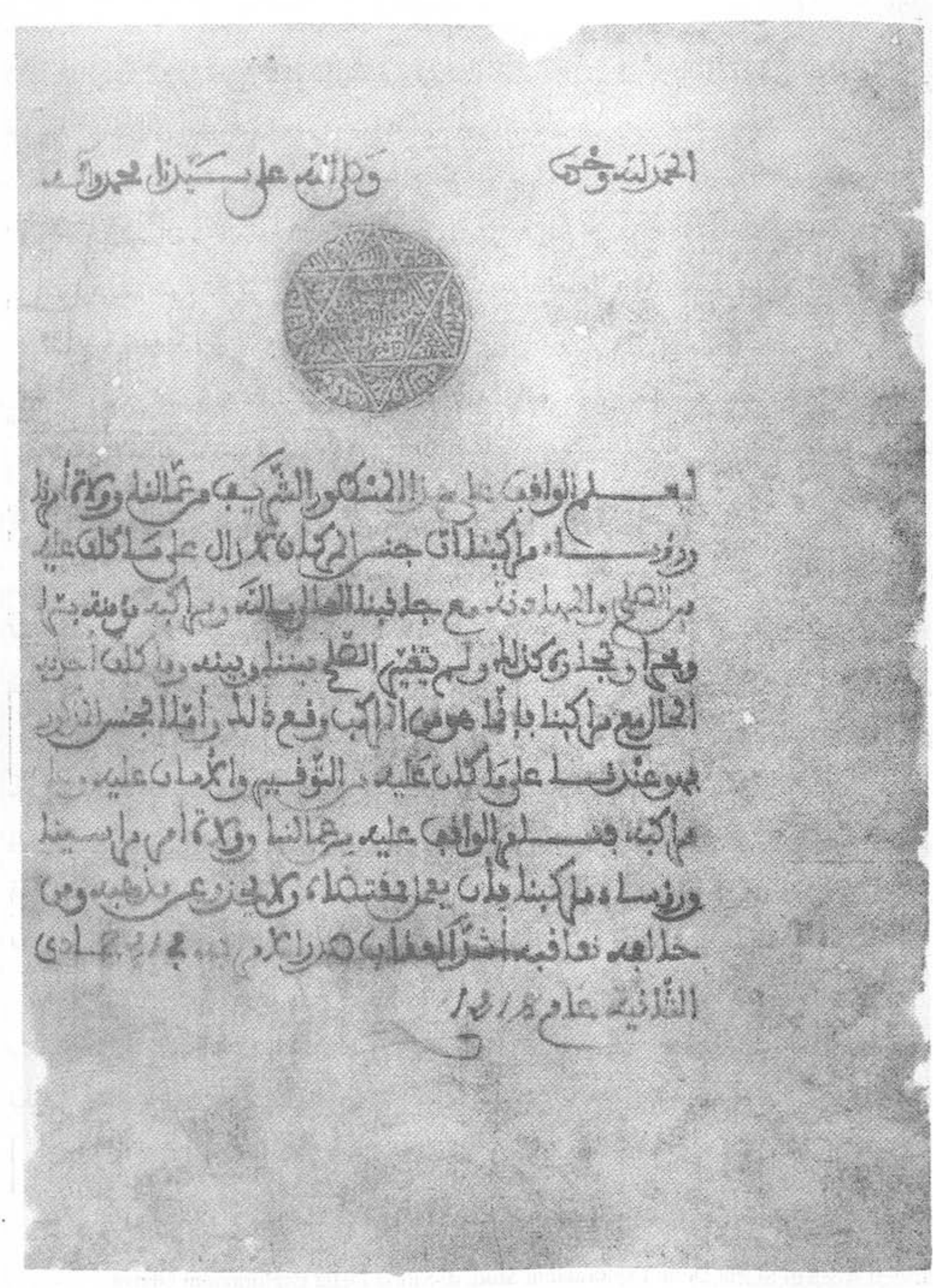
1) راجع المجلد الأول من هذا الكتاب، ص. 185 وصفحة 294.

2) Maria Nallino, Documenti Arabi Rivisita degli Sutdi Oreantal XXI, p 51-76



الغلاف اليوم أخضر تتوسطه نجمة خماسية

وقفت في جنوة على عدد من الوثائق التي تتعلق بصلات المغرب مع جمهورية جنوة، وهذه الرسالة إحداها وهي مؤطرة بألوان زاهية، وقد حفظت في غلاف أخضر مطرز بهلال من خيوط ذهبية، وتحمل تاريخ 7 شوال 1181 = 2 يبراير 1768 يمضي فيها العاهل المغربي ما طلبه حاكم جنوة من حاكم تطوان



الحمد لله وحده [illegible] وصلى الله على سيدنا محمد وآله

ليعلم الواقف على كتابنا هذا المشكور الشريف من عمالنا وولاة أمرنا
ورؤساء مراكبنا أن جنس [illegible] لم يزل على ما كان عليه
من الصلح والمهادنة مع جانبنا العالي بالله [illegible]
[illegible] ولم يتغير الصلح بيننا وبينه [illegible]
[illegible] مع مراكبنا [illegible]
[illegible] على ما كان عليه من التوقير والأمان [illegible]
مراكبه [illegible] الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا [illegible]
ورؤساء مراكبنا [illegible]
[illegible] أشد العقاب [illegible] جمادى
الثانية عام 1199

ظهير تعيين كياب الجنوي في خدمة المخزن بتاريخ أول صفر، 1199 = 14 دجنبر 1784

وقد عثرنا على رسالة مؤرخة في يوم 11 محرم 1194=18 يناير 1780 من القائد محمد بن عبد الملك الى أمير جنوة يخبره فيها بالعزم على إرسال سفير عن الملك محمد الثالث، وقد كان هذا السفير هو الحاج محمد السراج.

ثم رسالة من العاهل المذكور الى عظيم جنوة بتاريخ 24 شوال 1198=10 شتنبر 1784، وهي أيضا في موضوع تحرير الأسرى المسلمين حيث يقول العاهل : «إن تحرير مسلم واحدٍ أفضل من كل هدية تقدمها إليّ...» !

ومن المهم أن نشير الى مواطن جنوى يعمل في جهاز الخارجية المغربية 1199=1784، ويتعلق الأمر بفرانسيسكو شياب F Chiappe الذي كان يحرر الرسائل الى السلك القنصلي باللغة الإيطالية والذي كان رفيقاً لابن عثمان وأبي القاسم الزياني..[1].

علاقات المغرب بالطوسكان

وفي إطار السياسة الخارجية المتفتّحة للمملكة نجد العاهل الملك محمد الثالث يكتب بتاريخ 30 رجب 1181=8 دجنبر 1767 الى دوك طوسكان بيير ليوبولد الأول Pierre Liopold I الذي ينعته ملك المغرب **بعظيم الطليان**.

لقد كتب إليه بواسطة الحاج علي مدينة التطواني الذي تعرّض المركب الذي كان يحمل فيه وسقه، لعملية قرصنةٍ بالرغم من أنه يحمل علم الطوسكان «إن قانون البحر يقضي بأن : «إن البنديرة ضامنة»[2]، ولذلك فإن الملك يطلب من عظيم الطليان أن يعمل على إرجاع متاع الحاج علي مدينة !

ولم تلبث العلاقات أن تطورت بعد البلاغ الذي أصدره العاهل بتاريخ 19 ذي القعدة 1191=20 دجنبر 1777 [3] والذي يمنح فيه حرية الرسوّ بالموانئ المغربية لعددٍ من الجهات، كان من ضمنها أيضاً(ليفورن) قاعدة الطوسكان.

1) د. التازي، العلاقات بين المغرب وجنوة، المؤتمر العالمي الثالث للدّراسات التاريخية في جنوة (3-5 دجنبر 1987).

Miscell Anea di Storia Delle Esplorazioni Studi di Storia Delle Esplorazioni Genva

2) ورد في المجلّد الخامس «الراية تحمي البضاعة»، ص. 238.

3) Host : L'histoire de Sidi Mohamed ben Abdellah

وهكذا نجد اتفاقية تعقد بين محمد الثالث وبين ليوبولد الأول بتاريخ 8 محرم 6/1192 يبراير 1778 تحتوي على اثني عشر بنداً : ينص الأول على أنه من يوم التوقيع على هذه الاتفاقية فإنه يمنع العدوان بين رعايا الدوگ الكبير للطوسكان ورعايا الأمبراطورية المغربية بحيث يسود الأمن والسلم الدائم بين الطرفين... [1].

علاقات المملكة المغربية بفينيزيا

لقد عقدت فينيزيا (البندقية) اتفاقيتها مع المملكة المغربية بواسطة أحد مبعوثيها الذي كان من أصلٍ يوناني ويحمل اسم جيوڤاني كومَاطا (Gionvanni Comata).

وقد أصبحت البندقية بمقتضى هذه الاتفاقية التي كانت بتاريخ 25 ذي الحجة 1178=15 يونيه 1765 ضمن أصدقاء المملكة المغربية [2].

وهي تتألف من ثلاثة وعشرين بنداً نوقشت ووقعت بمدينة مراكش، وقد وقفتُ على صورتها مع ترجمتها في أرشيف الدّولة بڤينيزيا وتحمل ديباجتها طابع السلطان الذي ينعت نفسه بأنه ملك تنبكتو وإقليم السودان، وقد تضمنت عدداً من المصطلحات الأجنبية والتشريعات الدولية...

وبالرغم من أن هذا الاتفاقية لا تتضمن ما يشير الى (الإتاوة السنوية) التي اعتادت الدول الأوربية أداءها للمغرب في مقابلة ضمان نشاطها التجاري عبر البحر، فإن وجود اتفاقية إضافية تتعلق بالإتاوة أمر محقق، وقد وقفت على رسالة جميلة جداً تحمل الطابع الذي تصدر الاتفاقية المذكورة وهي بتاريخ 3 محرم 1179=22 يونيه 1765، وتصحب نص الاتفاقية بعد المصادقة عليها في مراكش من لدن العاهل المغربي...

وقد شهد شهر دجنبر 1768= شعبان 1182 وصول سفير للبندقية الى المغرب قال عنه هوست إنه حمل عدداً من الهدايا كان منها خيمة رائعة صنعت في دمشق الشام علاوةً على عدد من التحف البندقية [3].نعتقد أن فيها أواني (من الكريتسال) الذي عرفت به المنطقة...

1) Caille : les accords, p 224
2) Host, l'histoire de l'empreur du Maroc Traduc Damgaard et Gruignard, p 22
3) هوست، ص. 13.

الحمد لله عام ألف ومائة وثمانية وسبعين في خامس عشرين ذي الحجة



كان الصلح والمهادنة مع برنجبه متاع البلنسيا وفي بوانيهم مع
سلطان الغرب ابراد وزيد مراكش وفاس ومكناسة وسوس وتافيلالت
وتنبكت واقليم السودان السلطان ابن السلطان ابن السلطان أمير المومنين
الشريف الحسني سيدي محمد بن مولانا عبد الله بن مولانا اسماعيل
نصره الله وهذا الصلح كان بواسطة مسكر متاع برنجبه البلنسيان
وفي بوانه جوار كماطة وكملنا هذا الصلح وجميع الشروط متاع الصلح
والمهادنة في حضور السلطان مولاي سيدي محمد نصره الله هاكذا
كمل الصلح مع برنجبه متاع البلنسيا وفي بوانهم

ديباجة اتفاقية المغرب مع فينيزيا بتاريخ 25 ذي الحجة 1173 = 15 يونيه 1765
وقد وقفت عليها في أرشيف الدولة في فينيزيا

وقد وقفتُ في أرشيف الدولة بالبندقية كذلك على رسالة موجهة من السلطان مولاي اليزيد ابن محمد بن عبد الله الى عظيم البلنْسيان[1] يخبره بوصول خطابٍ من حاكم فينيسيا مصحوباً بالعشرة آلاف المترتبة للمغرب على البندقية... وكان الخطاب مؤرخاً بمهل ربيع الأول عام 1206=29 أكتوبر 1791.

وبعد جلوس السلطان المولى سليمان أخي اليزيد على العرش 1206=1792 تجدّدت الصلات بين أمير (الفينيسيان) وبين العاهل الجديد، وهكذا أرسلت البندقية بأمير الأسطول ليؤكد علاقات الود بين الطرفين ويعلن عن الرغبة في تجديد عقد المهادنة المبرم بين الدولتين... وقد كان جواب السلطان المولى سليمان بالإيجاب على هذه الرغبة سالكاً مسلك سلفه:

وقد عثرتُ على صورة الجواب الذي كان يحمل خاتم السلطان، وقد وجّه من مكْناس الى أمير البلنسيان وهو بتاريخ 26 صفر 1210=11 شتنبر 1795.

كما وقفت إضافة الى هذا على رسالة أخرى تحمل طابع السلطان مولاي سليمان تؤكد الرسالة السابقة إلا أنها تضيف ستة شروط على الشروط التي تم الاتفاق عليها أيام الملك محمد الثالث.

وقد كان المفاوض المغربي في شأن تلك الشروط هو الكاتب الوزير السفير محمد بن عثمان الذي نجده يوقع الاتفاق بتاريخ 29 صفر عام 1210=14 شتنبر 1795.

1) تعبّر الوثائق المغربية عن مواطني فينيزيا بالبليسيان.

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

من عبد الله أمير المومنين المتوكل على رب العلمين سليمان بن محمد كان الله له آمين



الى اثيرنا [illegible] دولة [illegible] وعظيمها والمشار اليه في جميع امورها أما

بعد فإنه ورد علينا كتابكم صحبة رسولكم كبير من [illegible] فهمنا

منه ما انتم عليه من محبتنا ومودتنا وابتغاء دوام الصحبة والعشرة [illegible] الرسول المذكور النيابة

في تجديد الصلح والمهادنة كما كان بيننا وبين دولتكم ولما قرب منا [illegible] رسولكم وما بينه لنا

بعد ما ناب عنه في مواجهتنا وتبليغ كتابكم إلينا واقبلناه بفرح واعتبار واعتناء بكم وبما

تقتضيه منزلتكم عندنا ولطول المعاشرة التي كانت لكم مع سيدنا الوالد رحمه الله ونحن معكم على

الصلح والمهادنة التامين كما كان ذلك مع سيدنا الوالد رحمه الله مع زيادة [illegible] إن شاء الله

و[illegible] السلام كتب في حضرة مكناسة سادس وعشرين يوم من صفر عام 1210

رسالة السلطان مولاي سليمان إلى دوك البندقية، بتاريخ 26 صفر 1210
وقد وقفت على أصلها في أرشيف الدولة هناك بالبندقية.

العلاقات المغربية مع سردينية وموناكو

وقد كانت (سردينية) ضمن الدول التي سمح لها الملك محمد الثالث بتاريخ 20 دجنبر 1777 بأن تدخل مراكبها الى شواطئ المملكة المغربية للتزود بما تحتاج إليه [1].

وبالإضافة الى هذا نجد أرشيف الدولة في مدينة تورين (Turin) يتحدث عن نصوص اتفاقية عقدت بين سردينية والمملكة المغربية سنة 1782 [2]. وقد حدث بعد هذا أن بعثت سردينية بطائفة من الهدايا لملك المغرب كان من بينها خمسة عشرة أسيراً مغربياً يلبسون أحسن اللباس.

ولابد أن نذكر هنا أن هناك جملة من السفراء المغاربة الذين توجهوا الى سردينية من أجل افتداء الأسرى المغاربة والمسلمين على العموم نذكر من بين أولئك السفراء عبد العزيز فنيش [3].

وفي أيام السلطان المولى عبد الرحمن وبالضبط سنة 1240=1825 سجل تاريخ العلاقات بين البلدين تعيين الكونت ديجينس (Des-Genys) كسفير للصاردو (Sardes) من قبل ملكهم طالباً عقد اتفاقية سلام بين الجانبين - وكانت مملكة موناكو وضعت آنذاك تحت حماية ملك سردينية - فاستجاب العاهل المغربي لذلك وكلف الوزير المختار الجامعي بمفاوضة نائب الكونت القنصل جيرو لانو إيرميريو (Girolano Ermiro)، فعقد معه «معاهدة من سبعة وعشرين بنداً على ما تذكر المصادر المغربية، وكلها يرجع الى إتمام الصلح ودوام الأمن والمجاملة في التجارات وسائر أنواع المخالطات...

وبينما يحتوي النص العربي على 27 فصلا... وجدنا أن المصادر الإيطالية تقتصر على ثلاثة وعشرين فصلاً، ويظهر أن المصادقة تمت بعد المفاوضات على اختصار العدد... وكان تاريخ توقيعها على ما في هذه المصادر أيضا هو 6 أكتوبر 1825=22 صفر 1241 [4].

1) جاك كايّي : الأوفاق الدولية، ص. 223.
2) كايي، ص. 40، تعليق 2.
3) Ramon Laurido Diaz, Relaciones Del Alawi Sidi Mohammad Ben Abdellah Con El Imperio Turco en el Segundo Periodo de su Sultanato 1775, 90, Hesp Tamuda 1986, p 231
4) Della Torre, Trattato di Sardegna ed il marocco, p 801

علاقات المغرب مع صقلية ونابولي

لقد كانت جمهورية (نابولي) ضمن الدول التي تناولها المنشور الملكي الصادر بتاريخ 19 ذي القعدة 1191=20 دجنبر 1777 القاضي بمنحها حرية التجارة مع المغرب...

وعلى نحو ما عرفناه في العلاقات المغربية الإسبانية فقد فتح الفصل العاشر والأخير من اتفاقية أرانخويس Arenguez بتاريخ 30 مايه 1780 المجال لملك الصقليتين للاستفادة من مكاسب الاتفاقية المغربية الإسبانية...

وقد وصل السفير محمد ابن عثمان الى نابل أواسط شعبان 1196= غشت 1782 لتتميم المهمة حيث أقام في ضيافة المملكة النابولية على ما يحكيه ابن عثمان في مذكراته بعنوان (البدر السافر لهداية المسافر الى فكاك الأسارى من العدوّ الكافر [1].

ولقد وقفت في أرشيف الدولة في نابولي على رسالةٍ لاعتماد محمد بن عثمان، وقد محرَّرة بمراكش بتاريخ 2 ذي الحجة 1195=19 نونبر 1781.

وقد تيسر للسفارة افتداء مائة أسير كانوا قد أعدوا للبيع، وكذلك استرجعت السفارة أحد المراكب المغربية كان السلطان قد بعثه لأمير طرابلس حاملاً القمح فتلقته مراكب نابلية وأخذته، وقد تمكن ابن عثمان من إقناعهم برد ما وجد في المركب لاسيما بعد انعقاد الاتفاقية بين المغرب والصقليتين.

وقد دعى السفير لمقابلة الأميرة ماري كارولين زوجة فيرناندو الرابع، وقد تفاءل السفير المغربي عندما أكدت له أنها ستساعده على أداء مهمته، وقد غادر ابن عثمان البلاد يوم 4 محرم 1197=10 دجنبر 1782 في اتجاه الساحل المغربي قبل أن تضطره العواصف البحرية للرسوّ في جزيرة صقلية... [2].

---

1) حققت هذه الرحلة على مراحل : بمناسبة زيارتي لصقلية (1977) ونابولي (1991) ومالطة (1992) وقادس (1998) وقدمتها في الجلسة العادية لأكاديمية المملكة المغربية 2000/6/22. والجدير بالذكر أن ابن عثمان جعل للرحلة خاتمة انتقد فيها سلوك بعض رفاقه.

2) السفير محمد بن عثمان المكناسي : وبعثته الدبلوماسية الى نابولي سنة 1782 بقلم د. كليليا سارنيلي تشركوا، نابولي- ايطاليا، ندوة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 1993.

الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

من عبد الله محمد بن عبد الله كان الله له آمين



إلى سلطان نابلس وصقلية وغيرها فردناند الرابع سلام على من اتبع الهدى أما بعد
فقد وجهنا إليكم باشدورنا الفقيه الأجل الأمين على سرنا كاتب أوامرنا السيد محمد
بن عثمان ليجعل معكم الصلح والمهادنة كما جعله مع والدكم محبنا السلطان
دون كارلوس الثالث حيث كان عنده باشدورنا هذا قبل اليوم واتفق والدكم مع
الباشدور المذكور على أن تدخلوا معنا ومع والدكم في هذا الصلح فبعثنا إليكم الباشدور
المذكور ليجعل الصلح معكم بأنه كان على يده ويعرف شروطه وكل ما تفعلون معه
فنحن أمضيناه وقبلناه وكل ما يقوله لكم من كلامنا فاقبلوه منه فإننا فوضنا
إليه ثم نعلمكم ونبين لكم محبتنا فيكم وفي والدكم أن بلادنا كلها مثل بلادك
ورعيتكم تأتي إليها مثل رعية والدك مقبولين مكرمين وكل ما تريد من أرضنا وبلادنا
اعمل بيد الباشدور المذكور ونحن نقضي لك كل ما تحب إن شاء الله والسلام من مراكش
ثاني الحجة من عام 1195

رسالة اعتماد ابن عثمان في نابولي 2 ذي الحجة 1195 = 19 نونبر 1781.

واستمرت علاقات الود قائمة بين المملكة المغربية وبين ملك الصقليتين : نابولي وصقلية وهكذا نجد العاهل المغربي محمد الثالث السلطان محمد بن عبدالله يهادي ملك الصقليتين بتاريخ 10 جمادى الأولى 1201=28 يبراير 1787 باثنين من عتاق الخيل وأربع كلاب سلوقية فيها اثنان مجلوبان من الصحراء المغربية...[1].

وقد تجددت علاقات المغرب بمملكة الصّقليتين حيث وجدنا معاهدةً بين الطّرفين في عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام بن محمد الثالث بتاريخ 19 صفر 1250=25 يونيه 1834 وهي تجدد المعاهدة السابقة على عهد الملك السابق، وتضيف إليها بعض الزوائد [2].

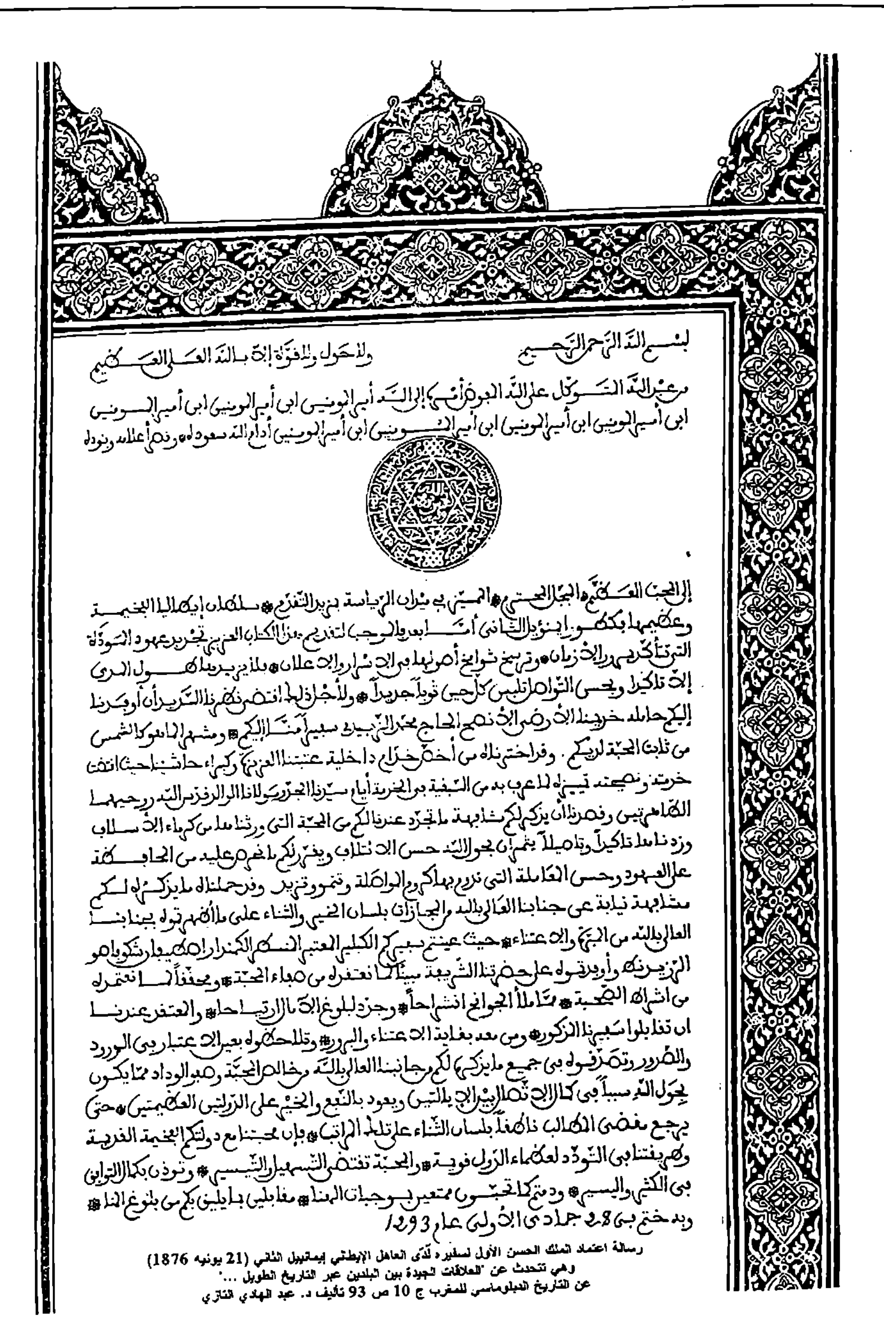
العلاقات المغربية الإيطالية

لقد أصبحت علاقة تلك الجهات كلها : جنوة، طوسكان، البندقية، سردينية، صقلية، نابولي أصبحت تابعة لإيطاليا الموحدة ومن هنا أخذنا نتحدث عن علاقات المغرب بإيطاليا، وهكذا كان في صدر السفارات الإيطالية التي استقبلها السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن (محمد الرابع) تلك التي قدمت الى المغرب برئاسة مارتينو (Martino) بتاريخ 1281=1864.

ولابد أن نشير هنا الى الطلب الذي تقدم به المغرب لإيطاليا بتاريخ 5 جمادى الأولى 1284=4 شتنبر 1867 للحصول على ألف وخمسمائة بندقية وعشرة آلاف كرتوش لحماية حدوده والدفاع عن أرضه...

ولابدّ كذلك لمن يتتبع اهتمام إيطاليا بالمملكة المغربية أن يقرأ عن السفارة الكبيرة التي وردت على المغرب في بداية صيف 1867 وكانت برئاسة الكوماندور سكُوفاسكو (Scovasco) الذي تعرفه بعض المصادرالمغربية بشْكُباص. وقد ألف عن هذه السفارة الكاتب الإيطالي إيدْمونضو ذي أميسيس (Edmondo de Amicis)[2]. لقد ورد سكوفاصو لتقديم التهاني للعاهل الشاب الملك الحسن الأول الذي كان حديث عهدٍ بالجلوس على عرش أجداده...

1) من وثائق مدريد المحفوظة بمكتبة تطوان...
2) الإتحاف 2، ص. 495-497.



بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

رسالة اعتماد الملك الحسن الأول لسفيره لدى العاهل الإيطالي إيمانويل الثاني (21 يونيه 1876)
وهي تتحدث عن "العلاقات الجيدة بين البلدين عبر التاريخ الطويل ..."
عن التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 10 ص 93 تأليف د. عبد الهادي التازي

رسالة اعتماد الملك الحسن الأول لسفيره لدى العاهل الايطالي إيمانييل الثاني (28 جمادى الأولى 1793 = 21 يونيه 1876).

وهي تتحدث عن العلاقات الجيّدة بين البلدين عبر التاريخ الطويل...

واعتباراً لهذه السفارة وجدنا أن إيطاليا كانت ضمن الدول التي بعث إليها الملك الحسن سفارته التي كانت برئاسة الزبدي لإثارة الانتباه إلي مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب.

وهكذا فبعد أن أدت السفارة مهمتها في فرنسا وبلجيكا وأنجلترا... اتجهت يوم الأحد 22 رجب 1293=13 غشت 1876 من ليون الى مدينة تورين... على ما يذكره مدوّن الرحلة ادريس الجعايدي الذي يؤكد أن السفارة كانت على موعد في مدينة تورين مع العاهل الإيطالي فيكتور إيمانييل الثاني (Victor Emmanuel) الذي استقبلهم في حفلة رسمية يوم السبت 5 شعبان= 26 غشت ثم قصدوا الى زيارة معامل الخزف والرخام، وغادروها في اليوم الموالي: الجمعة، الى مدينة جنوة حيث زاروا معاملها... وقد أقاموا في جنوة الى يوم الأربعاء 16 شعبان الموافق سادس شتنبر حيث غادروا المدينة في مركبٍ خاص في اتجاه المغرب.

ولم يكن غريباً علينا بعد هذه الاتصالات في ايطاليا أن نقرأ الأصداد الأولى عن إنشاء دار السلاح بفاس، ثم بمراكش...

وهكذا نجد رسالة من الحكومة المغربية تحمل تاريخ 2 ربيع الأول 1305 =18 نونبر 1887 الى الكبالير (مالموسي) Malmusi الذي طلب إليه المخزن إرسال مهندسين إيطاليين لإنشاء (الماكينة)...[1].

وبفضل مذكرات الطالب المغربي الزعري الذي كان يدرس بإيطاليا وقفنا على بعض المعلومات عن السفارة التي بعث بها الحسن الأول سنة 1892 برئاسة عبد السلام بن رشيد الشاوي الحريزي.

فعلاوة على تفقده للطلبة المغاربة الموجودين بإيطاليا نجد أن السفير يحمل رسالة خاصة وهدية ثمينة الى ملك إيطاليا هامبير الأول (Humberto)، لقد اجتمع السفير بالعاهل الإيطالي مرةً أخرى عندما كان يهم بتوديع العاصمة حيث نجد الملك يعهد إليه بحمل رسالة وهدايا فاخرة للعاهل المغربي كان من بينها خاتم ثمين نزعه ملك إيطاليا من اصبعه وخاطب الدبلوماسي المغربي «أطلب إليك أن تجعل هذا الخاتم في أصبع جلالة سلطان المغرب...».

1) د. التازي، الطلبة المغاربة في إيطاليا (ندوة الدراسات الإيطالية العربية في سبوليطو بتاريخ 9-12 أكتوبر 1977.

وكذا استمرت العلاقات بين إيطاليا والمغرب على عهد السلطان المولى عبد العزيز الذي تلقى رسالة تعزية وتهنئة حملت إليه أوائل سنة 1312=1394.

وقد وجدنا الوزير الإيطالي مالموسي (Malmusi) في زيارة أخرى للسلطان وهو بفاس حيث أقام بالعاصمة من 3 الى 28 يونيه 1906 في أعقاب مؤتمر الجزيرة الخضراء[1].

وقد تجددت محاولة «لإحياء الماكينة» أيام السلطان المولى عبد الحفيظ الذي عوض أخاه المولى عبد العزيز، لكن الدسائس الخارجية والأوضاع الداخلية لم تلبث أن طغت على المجهودات وانتهت بالمملكة الى الإذعان لقبول الحماية الأجنبية عام 1912

مع حاضرة الفاتيكان

ينبغي في هذا الصدد أن نشير الى بعض المحطات الهامة لنعرف عن الصلات التي ظلت تربط المغرب بحاضرة الفاتيكان.

أولاً: أداء الرهبان لمهمتهم إزاء الجالية المسيحية التي كانت تقيم في المغرب لسببٍ أو آخر...

ثانياً: الاستعانة بهؤلاء الفرايلية (Frailes) لقضاء الأغراض الدبلوماسية التي كانت تعنّ أحياناً والتي كانت مواضيعها تقتضي تكليف أولئك الرجال باعتبارهم «وسطاء خير».

وقد وقفت في رومة بالذات في المكان المعروف بـ «ساحة اسبانيا» في المؤسسة الخاصة بتاريخ نشاط الفرانسيسكان في بلاد المغرب على ثروةٍ ضخمة تتمثل في تقارير رؤساء البعثات الدينية في كل جهة من جهات إفريقيا أو (بارباريا) كما قد تسمى[2].

وتتجلى قيمة هذه التقارير في أنها تعطي صورةً دقيقةً للحالة السياسية التي كانت تعيش عليها البلاد، كما أنها تقدّم لنا نموذجاً عن مظاهر التسامح الذي كان يطبع العلاقات بين المسؤولين المغاربة وبين ممثلي الديانة المسيحية في الوقت الذي كان فيه هؤلاء الممثلون أيضاً حريصين كلّ الحرص على الحفاظ التام على احترام العقيدة المحمدية في المغرب...

1) Le Tourneau, Fez, p 167

2) Congregazione per l'evangelizzazione del Popoli o «de Propaganda Fide», Piazza di Spagna, 48, Secondo Piano : Archivio Storico

وهكذا فقد كان مما وقفتُ عليه من معلومات هناك أن سنة 1676=1087 هـ شاهدت إرسال مبعوثين ليقوموا بتقديم بعض المساعدات الإنسانية في بعض المدن المغربية... وقد ورد الراهب جيرولومو (Girolomo) عام 1679=1090هـ على المغرب، وأجرى محادثات مع السلطان مولاي اسماعيل الذي زوده بجواز مرورٍ عبر المدن المغربية التي يوجد فيها مسيحيون...

وبجلوس السلطان المولى سليمان على عرش المغرب عاد الحوار بين المملكة المغربية وبين البعثة البابوية وجدد السلطان الإذن بإقامة البعثة في بعض الجهات المغربية...

ويكفي أن نشير الى ظهير صدر عن السلطان مولاي سليمان بتاريخ ثالث شعبان 1208 (5 مارس 1794) في موضوع القرايلية» وإعفائهم من سائر الكلف اللازمة في مراسي إيالتنا.

ومنذ احتلال فرنسا للجزائر عام 1830 ظهر شكل آخر للعلاقات مع المسيحية في بلادنا...[1]. ويتحدث المهتمون بهذا الموضوع عن نشاط راهبين إسبانيين : الأب خوصي ليرتشوندي 1836=1896 (El Padre Jose Lerchundi) والأب مانويل كاستيانوس 1843=1909 (Le Padre Manuel Castellanos). لقد أخذ الأول على عاتقه علاوةً على مهمته «تقديم برنامج إصلاحي»... أما الثاني فقد انكب على دراسة تاريخ المغرب ونشر عنه تأليفاً عام 1898 (Historia de Marruecos) وهو الذي ينعته الناصري في كتابه الاستقصا بالقشتيلي...

وقد عثر في دار الأسقفية بطنجة على جملة من الرسائل المتبادلة [2] بين الراهب خوصي ليرتشوندي وبين بعض المغاربة الأمر الذي يؤكد عن الدور الذي كان يضطلع به...

وإن الحدث البارز في العلاقات بين المملكة المغربية وبين حاضرة الفاتيكان هو الذي عرفته أيام الملك الحسن الأول الذي سجل التاريخ عنه مبادرة كانت الأولى من نوعها في تاريخ المغرب.

لقد كان العالم الكاثوليكي على موعد آخر سنة 1887 مع العيد الكهنوتي الذي أقيم للبابا ليون الثالث عشر (Joachim Picci) البالغ من العمر 77سنة وذلك بمناسبة مرور عشر سنوات على جلوسه على كرسي البابوية، فمن كل القارات الخمس بعثت سائر الدول بسفرائها لتقديم

1) Guillaumme Matringe : Chretiente et Islam au Maroc du XVIe Siecle RHD 1965

2) عبد العزيز التمسماني خلوق، أرشيف البعثة الكاثوليكية بطنجة (المجموعة الثالثة) مجلة دار النيابة، العددان 15-16، صيف خريف 1987.



ظهير من السلطان المولى سليمان حول البعثة الفرايلية، وهي بتاريخ 3 شعبان 1208 = 5 مارس 1794).

التهاني والهدايا : النمسا - بلجيكا - اسبانيا - فرنسا - انجلترا - أمبراطور ألمانيا - ملوك هولاندا ورومانيا وكذا حكام كانادا -والولايات المتحدة واستراليا، وعدد من دول أمريكا الجنوبية. هذا الى مبعوثين وردوا يحملون رسائل خطية من قيصر الروسيا وأمبراطور اليابان وملك اليونان.

ولم تتأخر الدول الإسلامية عن هذه المجاملة ولذلك وجدنا مبعوثاً لشاه إيران، وسلطان القسطنطينية العظمى وخديوي مصر. وكانت المملكة المغربية حاضرة في هذه التظاهرة...

وهكذا أبحر المركب : قشتالة (Castilla) يحمل على متنه السفارة المغربية برئاسة النائب السلطاني الحاج محمد الطريس [1] الذي كان يرافقه الكاتبان : الحاج أحمد طايطاي ومحمد بن عبد الخالق، والملحقان : الفقيه أحمد الكردودي ومحمد البخاري وثلاة من الأعوان...

وقد صحب السفارة الراهب خوصي ليرتشوندي (J Lerchundi) الذي كان معززاً بالأب ضومينكو گارسيا (D Garcia).

وقد استقبلوا عند الزوال من طرف ليون الثالث عشر في احتفال كبير حضره جمهور من الأعيان والنبلاء الرومان كان من بينهم الأميران : كولونا وأوزيني كما حضره سائر السفراء والمبعوثين...

ولقد ألقى الحاج محمد الطريس بين يدي البابا خطاباً جاء فيه على الخصوص «لقد بعثني صاحب الجلالة نصره الله لأزف إليك التهاني بمناسبة تقلدكم المنصب السامي مشاركاً في ذلك سائر الذين هنأوكم ومختلف جهات العالم، إن صاحب الجلالة أمد الله في حياته يعتزم الحفاظ على صلات الود التي تجمعه بكم لأنه يعلم عن تشبثكم بالعدالة... وقد زودنا العاهل أعز الله أمره بخطاب مكتوب إليكم كتعبير عما يكنه لمقامكم وما ينتظره للعلاقات التي تجمع المغرب بكم...».

وبعد أن قام الأب ليرتشوندي (Lerchundi) بالترجمة قدم السفير المغربي الرسالة الملكية للبابا... وبعد أن تسلم البابا هذه الرسالة أجاب السفير المغربي بخطاب جاء فيه على الخصوص ما يلي :

---

1) التحفة السنية للحضرة الحسنية لأبي العباس أحمد بن محمد الكردودي (مطبوعات القصر الملكي 1383=1963) ص. 101-102وثائق تطوان رقم مح 2/66، المكناسي، الكوش : الوثائق المغربية، تطوان، ص.36 J Caillé : Relation du Maroc avec le Saint Siege, Hesp 1969

«ليست هذه المرة الأولى تتجدد فيها الصلات بيننا وبين افريقيا ونحن حريصون دائماً على دعمها وتقويتها... إننا نريد أن نجدد للجلالة الشريفة نفس المتمنيات التي كان سلفنا گريگوار السابع أعرب عنها للناصر[1] ملك المغرب الذي كان عرض عليه صداقته، وإننا ندعو الله من خالص قلوبنا أن يزيد في سعادة ورفاه المغرب وملكه العظيم..».

وقبل أن يودع السفير سلمت إليه رسالة خطية ليرفعها الى العاهل المغربي مع طائفة من الهدايا التي لم تعرف ماهيتها...

وفي يوم 9 مارس قامت السفارة بأخذ طريقها الى نابولي حيث أبحروا على متن المركب (قشتالة) في المغرب تقريره للملك بمكناس.

وقد أثارت هذه السفارة الأولى من نوعها ردود فعل مختلفة في شتى الأوساط السياسية، وهكذا وجدنا الصحافة الإسبانية تعتبر هذه المبادرة الحسنية «شجاعة» تستحق الإعجاب والإكبار، كما تحدث عنها المؤرخون الأجانب على أنها مبادرة خارقة للعادة على حد تعبير لوبيز (Lopez) بينما قال الأب كاسطيلانوس (Castellanos) إنه حدث يتجاوز كثيراً أحداث التاريخ السياسي والديني للملوك المغاربة.

وقد تساءل المعلقون عن الأهداف التي كان يتوخاها العاهل المغربي من إرسال مثل هذه البعثة الى حاضرة الفاتيكان، ولم يستبعد المبعوث الفرنسي بالمغرب فيرّو الذي ظل مشغولاً بهذه «الزيارة» أن يكون من جملة دوافع السلطان الى القيام بهذه المبادرة منافسته لسلطان الترك. إن العاهل المغربي حسبما يفهم من غضون الرسالة التي بعث بها الى البابا، يعتبر الممثل الشرعي الوحيد للعالم الإسلامي لدى المرجع الأكبر للعالم المسيحي !

1) القصد الى الناصر الحمادي الذي كتب لكريكوار بتاريخ 1076 يطلب إليه أن يرسل أسقفا لعاصمته الجديدة بجاية ويخبره بصنيعه الجميل إزاء الأسرى المسيحيين، الأمر الذي أجابه عنه كرايكوار السابع برسالة يدعو له فيها بأن يوفقه الله.

de mas latries, Jaques Caille, sur les Relations du Maroc avec le saint-siège

- Hesp, Tamuda 1969, p 87, Bote 28

التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج. 5، ص. 189، 1407-1987.

أسس العلاقات الدولية في الإسلام، ندوة أكاديمية المملكة المغربية، 28 رجب 1408=17، مارس 1988، بالرباط، كلية الحقوق...

الفصل الثامن

- المغرب والولايات المتحدة الأمريكية
- الاتفاقيات الثنائية بين الدولتين
- تأييد المغرب للولايات المتحدة ضد الحركة الانفصالية
- موقف المغرب من : أمريكا حول منحها الحماية القنصلية

جمهورية دوبروفيك - مالطة - اليونان - ألمانيا - بلجيكا - أمريكا الوسطى والجنوبية - جيدر أباد - غرب افريقيا - شرق افريقيا

- الاتفاقيات المغربية المتعددة الأطراف

المغرب والولايات المتحدة الأمريكية

لقد قام العاهل المغربي الملك محمد الثالث بمبادرة رائدة حيث نراه يصدر من مكناس منشوراً بتاريخ 19 ذي القعدة 1191=20 دجنبر 1777 يتعلق بالإذن لعدد من الدول في ممارسة نشاطها التجاري مع المغرب، وكان من ضمنها أمريكا... وقد اعتبرت هذه المبادرة اعترافاً بسيادة أمريكا[1].

وبعيد هذا التاريخ كلّف سلطان المغرب تاجراً فرنسياً مقيماً بسلا بوظيفة القيام بقنصل عن الدول التي لا قناصل لها ! وكان هذا الفرنسي هو إيتيان دو ديبير كاي (Etienne d'Audibert Caillé) الذي عهد له بمهمة الاتصال بسائر الدول التي لا تمثيل لها بالمغرب[2] وهي وظيفة فريدة من نوعها كما أسلفنا.

وقد قام السيد كايي بالكتابة يوم 6 شتنبر 1779، الى أعضاء الكونكريس بواسطة بنجامين فرانكلين بباريز، يخبرهم فيه بتسميته قنصلاً لهم... !

وقد دفعت هذه الدبلوماسية الساكتة بالجانب المغربي لاتخاذ موقف من السفن الأمريكية التي تعبر الساحل المغربي في ظل «المؤقت الدائم» دون أن تؤدى الإتاوات التي يخضع لها سائر الدول !!

وهكذا فقد حدث 16 أكتوبر 1784 أن أصدر العاهل أوامره بحجز سفينة أمريكية بطنجة كانت معروفة تحت اسم (Betsey) الى أن تكون للولايات المتحدة اتفاقية مع المغرب !

وبطلب من المستر ويليام كارميشل (W Carmichael) القائم بالأعمال الأمريكي في مدريد، تدخلت اسبانيا التي كانت لها علاقات طيّبة مع المملكة المغربية...

---

1) رفع هذا المنشور الى الدول بطنجة نائب القنصل الهولاندي ويبسطير بلونت Webster Blount.
Jacques Caille : Les Accords Internationnaux du Sidi Mohammed Ben Abdellah 1960, p 223

2) وقفت في (الأرشيف الوطني) بواشنطن على ملف ضخم من الوثائق التي تتعلق بنشاط هذا الوكيل مع مختلف الدول وبخاصّة مع الولايات المتحدة الأميريكية كما وقفت في تأريخ هوست لسيدي محمد بن عبد الله على أن الراية التي كان يرفعها هذا الدبلوماسي على مكتبه كانت «بيضاء وفي وسطها نسر»، فهل معنى هذا أن شعار الدولة المغربية كان على ذلك المنوال...؟ انظر التاريخ الديبلوماسي للمغرب، ج. 1، ص. 65-66.

ولابدّ أن نسجل هنا المبادرة التي قام بها الملك محمد الثالث فقد بعث العاهل المغربي بتاريخ أول شعبان 1199=9 يونيه 1785 الى عظيم اسبانيا كارلوس مع السفير الإسباني فرانسيسكو ساليناس إ. مانينو (Fransisco Salinas y Manino) يخبره بالإفراج عن تسعة من الأسرى الأمريكان كانوا وقعوا مع مركبهم في أيدي البحارة المغاربة... ويقول بالحرف :

يصلكم مع باشادوركم عشرة من نصارى إصبانية مع تسعة من النصارى الماركانوس بمركبهم وكل ما تجعل معهم من المهادنة والصلح قبلناه وأمضيناه...[1].

وقد صدر يوم 5 أكتوبر 1785 أمرٌ من جيفرسون وأدامس بتعيين طوماس باركلي قنصل أمريكا في باريز للتفاوض مع المغرب، وزود بوثيقة تتضمن مشروعاً للاتفاقية أعد من طرف المبعوثين المذكورين...

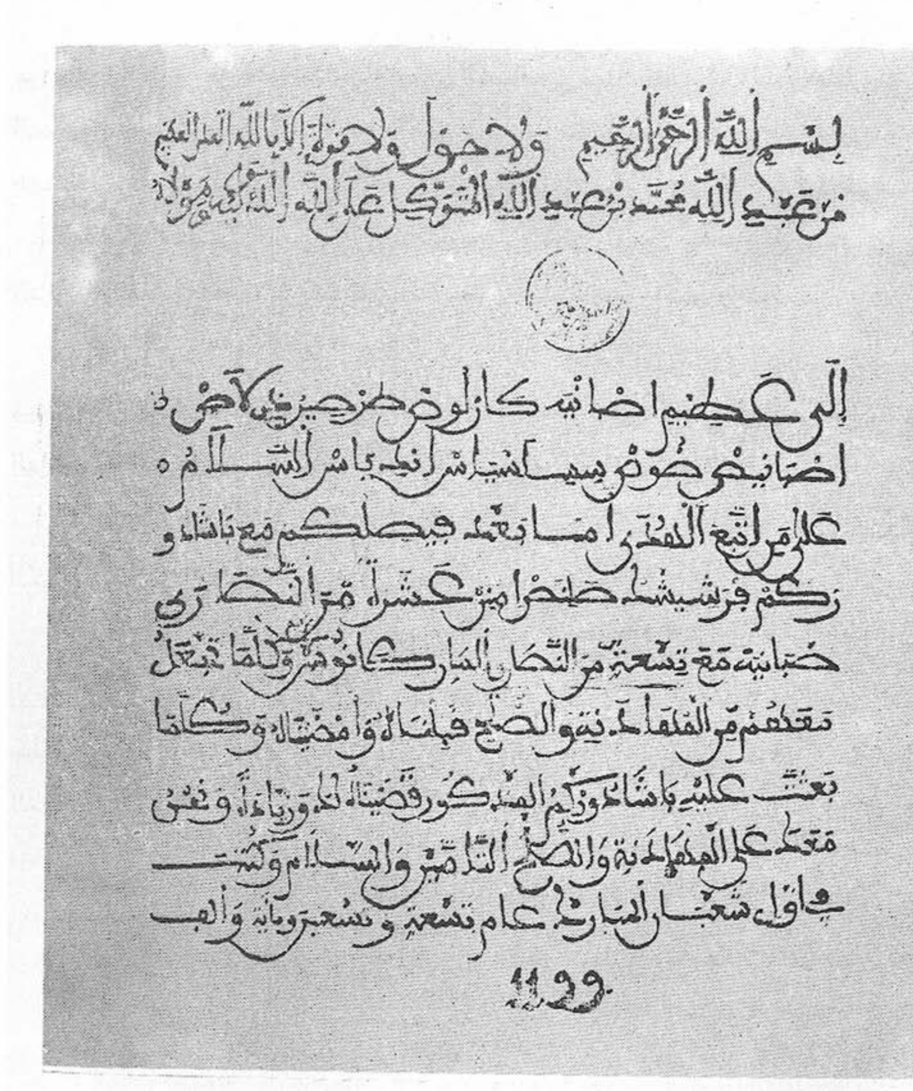
ولقد ورد طوماس باركلي مصحوباً برسالتين اثنتين الى ماكان يحمله من هدايا : الأولى من رئيس الكونگريس الأمريكي والرسالة الثانية من كارلوص الثالث عظيم اسبانيا، وكلتاهما الى الملك محمد الثالث، وقد اقتصر خطاب الملك الإسباني على تقديم المبعوث الأمريكي والتماس قبول وساطة اسبانيا بينما كانت رسالة الرئيس جورج واشنطن تخطب ود المغرب في عباراتٍ مليئة بالعواطف والتقديرات...

وبعد الاتصالات الأولى في طنجة وإبلاغ القائد فنّيش الخبر للسلطان، أذِن العاهل للمبعوث الأمريكي في القدوم الى مراكش، وهناك تم أولاً استقباله من طرف الملك.

وقد كتب السلطان محمد الثالث جوابين مؤرخين في نفس اليوم الذي ختمت فيه الاتفاقية الأمريكية المغربية أعني أول رمضان عام مائتين وألف (28 يونيه 1786) : كانت الأولى الى عظيم اسبانيا كارلوس الثالث ملك اسبانيا وصقلية والهند... كما حرر العاهل المغربي رسالة ثانية الى رئيس الولايات المتحدة يقول فيها من جملة ما يقول بعد البسملة والحوقلة :

الى كبير الاصطادوس الماركانوس البريزضنت، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد فقد وصلنا كاتبك طوماس بركلي وبيده كتابك وكتاب عظيم اصبانيا كارلوص فقرأناهما وعرفنا ما فيهما

1) د. التازي، جانب المجاملات في العلاقات المغربية الأمريكية، محاضرة في الندوة التي نظمتها شعبة القانون العام بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بالرباط، 13-14 أبريل 1987، L. Opinion.



بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

من عبد الله محمد بن عبد الله المتوكل على الله الله وليه ومولاه

إلى عظيم اصبانيه كارلوس طرصيرو لاكص

اصبانيول صوص ميساسطيباس انطرباس السلام

على من اتبع الهدى أما بعد فيصلكم مع باشادو

ركم فرنشيشك صلحرا من عشرة من النصارى

صبانيه مع تسعة من النصارى المريكانوس وكلما تجعل

تعلمهم من الملاطفة والنصح فيما له وأمضيناه وكلما

بعثت عليه باشادوركم المذكور قضيناه له وزيادة ونحن

معك على المهادنة والنصح التام والسلام وكتب

في أول شعبان المبارك عام تسعة وتسعين ومائة وألف

1199

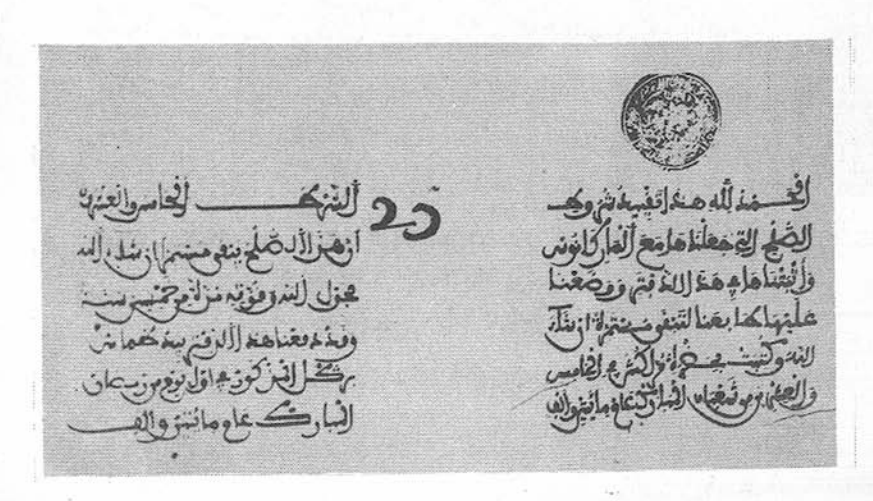
رسالة من الملك محمد الثالث إلى العاهل الاسباني حول الأسرى الأمريكان
بتاريخ أول شعبان 1199 = 9 يونيه 1785.
(نسخة تحتفظ بها الخزانة الوطنية بتطوان)

من طلبكم الصلح معنا مثل أجناس النصارى المصالحين معنا ، فقد قبلنا ذلك وجعلنا بيننا وبينكم الصلح والمهادنة براً وبحراً على الشروط التي طلبتم منا فقبلناها وأثبتناها في الدفتر ووضعنا عليها طابعنا الشريف وأمرنا جميع خدامنا الذين بمراسينا أن مراكبكم وتجارتكم التي ترد لمراسينا يفعل معهم عمالنا مثل ما يفعلونه مع الاصبنيول على الأمن والأمان معكم وعلى المهادنة والصلح التأمّين والسلام، صدر الأمر بهذا في أول رمضان المبارك عام مائتين وألف.

وبين أيدينا الآن نصوص المعاهدة التي كتبت بحضرة مراكش في الخامس والعشرين من شعبان المبارك عام مائتين وألف (23 يونيه 1786) ، هذه المعاهدة التي تعتبر من أبرز الاتفاقيات الهامة في القرن الثامن عشر على عهد الدولة العلوية...

والجدير بالذكر أن طوماس باركلي رفع تقريراً الى روسائه عن صادرات المغرب وعملته ومدنه الكبرى وتقسيماته الإدارية.

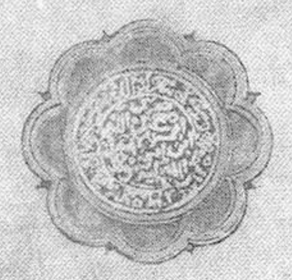
ولابد أن نذكر هنا أن الملك محمد الثالث أخذ يفكّر في استخدام اسطوله بالمحيط الأطلسي في اتجاه القارة الأمريكية، وبهذا نفسر قراره الهام بإعادة بناء الأسطول حيث نقف على خطابه بتاريخ 14 شوال 1200=10 غشت 1786 الذي يعلن فيه عن رغبته في إنشاء خط يربط المغرب بالعالم الجديد ولما يمض على إمضاء الاتفاقية الثنائية بين البلدين أكثر من أربعين يوماً...


الحمد لله هذا تقييد شروط
الصلح التي جعلناها مع المريكانوس
وأثبتناها في هذا الدفتر ووضعنا
عليها طابعنا [illegible] ان شاء
الله وكتبت بحضرة مراكش في الخامس
والعشرين من شعبان المبارك عام مائتين وألف

المعاهدة المغربية الأمريكية بتاريخ 25 شعبان 1200 = 23 يونيه 1786

1200-14

الحمد لله وحده — ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم



نأمر خديمنا القائد محمد بن عبد الملك أن يجمع القنصوات الذين بطنجة كلهم ويقول
لهم إن رجال بحريتنا كان سنة تنكسر لهم المراكب وإن من أراد أن يكون جنسه عندنا في حضوة
وزيادة من قبله عن غيره فليعطنا لنا بلوغاته ورجال البحر يتصرفون في مراكبنا كل مركب
يكون فيه عشرة من شوكة رياس المركبات العارفين بأمور البحر الكبير والبحر الصغير [illegible]
الثلاثة وهم يتولون أمور المراكب وكلهم رجال بحريتنا إنما يكونون تابعين لهم في كل شيء
البحر ومساعدين لهم فيه وهؤلاء شوكة رياس الذين يعطون لنا يسافرون في المراكب
كلما كانوا يغيبون في نسيجهم في مراكب جنسهم نعطيه لهم نحن على قدر ما هم
ونحب وحين تتكلم بذلك مع [illegible] به أعلمنا بذلك وأعط القنصوات المذكورين
أجلا [illegible] وليأت لنا الجواب بهذا الكاغد
والسلام في 14 شوال عام 1200

مرسوم ملكي للسلطان سيدي محمد بن عبد الله يحمل تاريخ 14 شوال 1200 =غشت 1786
وقد كتب التاريخ بخطه الشريف عادته في القرارات الهامة، المرسوم حول إنشاء
خط يربط المغرب بأمريكا عبر المحيط الأطلسي

وقد رأينا الكونگريس يقوم برفع طلبٍ رسمي الى الملك محمد الثالث بتاريخ 23 يونيه 1787 يضمنه التماس الرئيس الأمريكي جورج واشنطن بأن يقوم ملك المغرب بالمساعي الحميدة لدى تونس وطرابلس مؤكداً أن الشعب الأمريكي سيظل مدينا للمغرب بما يحققه من تقدّم ورخاء...

وعن هذه الرسالة بالذات أجاب ملك المغرب برسالته المشهورة الى الرئيس جورج واشنطن بتاريخ 15 ذي القعدة 1202 (17 غشت 1788).

وفي هذه الأثناء كانت أمريكا تعيش ظروفاً عصيبةً، فإن التنظيمات الداخلية من جهة والاضطرابات من جهة أخرى لم تنته بعد... لأجل ذلك نلاحظ مرور فترة من الزمن دون أن يتمكن الرئيس الأمريكي من إجابة العاهل المغربي على رسالته، وهكذا فلم يتيسر الجواب إلا بتاريخ فاتح دجنبر 1789.

لقد قال جورج واشنطن في الرسالة الجوابية من جملة ما قال :

«الى جلالة أمبراطور المغرب وصديقي الهمام العظيم

منذ تاريخ خطابنا إلى جلالتكم، فضلت الولايات المتحدة تبديل حكومتها بأخرى جديدة تتفق والدستور الذي أتشرف بإرفاق نسخة منه مع هذا الخطاب، وقد توصلت بنسخ من الخطابات التي تلطفتم جلالتكم بتحريرها الى تونس وطرابلس، وأرفع الى ساحتكم شكر الولايات المتحدة لهذه الالتفاتة الكريمة.

إن أراضينا لا تتوفر على مناجم ذهب أو فضة، وهذا الشعب الفتي ما زال لم يبرأ من خراب ودمار حرب طويلة، ولم يمهل حتى يكوّن ثروة ما عن طريق الزراعة أو التجارة... إلا أن أرضنا سخية وشعبنا صناعي، ولنا أن نمني أنفسنا بأننا سنتمكن تدريجياً من أن نصبح مفيدين لأصدقائنا.

وكان للتشجيع الذي تفضلتم جلالتكم به على تجارتنا مع مملكتكم، والدقة التي راعيتموها في عقد المعاهدة معناً، كل هذه الأشياء تركت أثراً عميقاً في الولايات المتحدة، وأكّدت احترامها وتعلقها بجلالتكم.

ويسرني في هذه المناسبة بأن أؤكد لجلالتكم، أنه طالما سأكون على رأس هذه الأمة، فلن أتوان عن تشجيع كل وسيلة من شأنها أن تدعم الصداقة والانسجام القائمين - لحسن الحظ - بين امبراطوريتكم وبيننا ».



بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
من عبد الله محمد بن عبد الله كان الله له

رسالة الملك سيدي محمد بن عبد الله إلى جورج واشنطن بتاريخ 15 ذو القعدة 1202=1788.

وقـد رأينا الكونگريس يقـوم برفع طلبٍ رسـمي الى الملك محـمـد الثـالث بتـاريخ 23 يونيه1787 يضـمنه التمـاس الرئيس الأمريكي جورج واشنطن بأن يقوم ملك المغرب بالمساعي الحميدة لدى تونس وطرابلس مؤكداً أن الشعب الأمريكي سيظل مدينا للمغرب بما يحققه من تقدّم ورخاء...

وعن هذه الرسالة بالذات أجاب ملك المغرب برسالته المشهورة الى الرئيس جورج واشنطن بتاريخ 15 ذي القعدة 1202 (17 غشت 1788).

وفي هذه الأثناء كانت أمريكا تعيش ظروفاً عصيبةً، فإن التنظيمات الداخلية من جهة والاضطرابات من جهة أخرى لم تنته بعد... لأجل ذلك نلاحظ مرور فترة من الزمن دون أن يتمكن الرئيس الأمريكي من إجابة العاهل المغربي على رسالته، وهكذا فلم يتيسر الجواب إلا بتاريخ فاتح دجنبر 1789.

لقد قال جورج واشنطن في الرسالة الجوابية من جملة ما قال :

«إلى جلالة أمبراطور المغرب وصديقي الهمام العظيم

منذ تاريخ خطابنا الى جلالتكم، فضلت الولايات المتحدة تبديل حكومتها بأخرى جديدة تتفق والدستور الذي أتشرف بإرفاق نسخة منه مع هذا الخطاب، وقد توصلت بنسخ من الخطابات التي تلطفتم جلالتكم بتحريرها الى تونس وطرابلس، وأرفع الى ساحتكم شكر الولايات المتحدة لهذه الالتفاتة الكريمة.

إن أراضينا لا تتوفر على مناجم ذهب أو فضة، وهذا الشعب الفتي ما زال لم يبرأ من خراب ودمار حرب طويلة، ولم يمهل حتى يكوّن ثروة ما عن طريق الزراعة أو التجارة... إلا أن أرضنا سخية وشعبنا صناعي، ولنا أن نمني أنفسنا بأننا سنتمكن تدريجياً من أن نصبح مفيدين لأصدقائنا.

وأذكر هنا أنه عندما نَعَى طوماس جيفرسون الملك محمد الثالث الى أعضاء الكونكريس طلب إليهم التفكير في التدابير الواجب اتخاذها لضمان سير العلاقات الطيبة بين المغرب وأمريكا، وقد تكلم طويلاً عن الأهمية البالغة التي يعلقها على الصداقة مع المغرب مؤكداً بأن تجارة أمريكا مع الدول التي تقع على المحيط وعلى المتوسط لابدّ أن تتأثر بفاجعة موت محمد الثالث.

ولما تربع السلطان المولى سليمان على كرسي الحكم وصلت التقارير الى الولايات المتحدة من قناصلها المعتمدين بالثغور المجاورة للمغرب بأن الحالة في المغرب رجعت الى حالتها الطبيعية وأن مولاي سليمان أخذ بزمام الحالة وأن واجب أمريكا يقضي بأن تعجل بإرسال مندوب عنها.

وهكذا عهد كاتب الدولة (Edmond Randolph) بتاريخ 28 مارس الى الوزير المفوض الأمريكي في البرتغال الكولونيل (David Humphrie) بأن يقوم بالمساعي اللازمة من أجل الحصول من السلطان مولاي سليمان على تجديد الاعتراف بالاتفاقية الأمريكية المنعقدة في 1786...

وهكذا اعترف مولاي سليمان باتفاقية 1786، وذلك في رسالة بتاريخ أول صفر 1210=18 غشت 1795 موجهة منه الى الرئيس الأمريكي كان مما جاء فيها «نحن على السلم والمهادنة معكم على نحو ما كان بينكم وبين والدنا المقدس...».

ولقد تليت رسالة مولاي سليمان على أعضاء الكونگريس فكانت بشرى بالنسبة للأعضاء وتم فعلاً تعيين قنصلٍ جديدٍ لأمريكا بالمغرب، ولم يكن هذا غير (Jaimes Simpson) الذي التحق بالعاصمة الدبلوماسية طنجة حيث تقيم البعثات السياسية...

الأزمة المغربية الأمريكية العابرة

بيد أن الأحوال لم تلبث أن تغيّرت فقد مرت العلاقات الأمريكية بظروف دقيقة بسبب الحرب التي شبت بين أمريكا من جهةٍ وبين قادة طرابلس من جهة أخرى...

وهكذا ففي أيام طوماس جيفرسون 1801-1809 وأثناء حصار طرابلس من قبَل الأمريكان ورد سفير من طرابلس على المغرب سنة 1802 يطلب من السلطان مولاي سليمان مركباً مشحوناً بالقمح...

إن المغرب بحكم ارتباطه بأخوته وجيرته كان يفهم أن الشرط السادس من المعاهدة المغربية الأمريكية يتضمن إشعاراً صريحاً بأن المغرب يعتبر المسلمين - ولو كانوا من غير إيالته - في أمانه وعلى صلح دائم معه لاسيما والأمر يتعلق بمساعدة إنسانية.

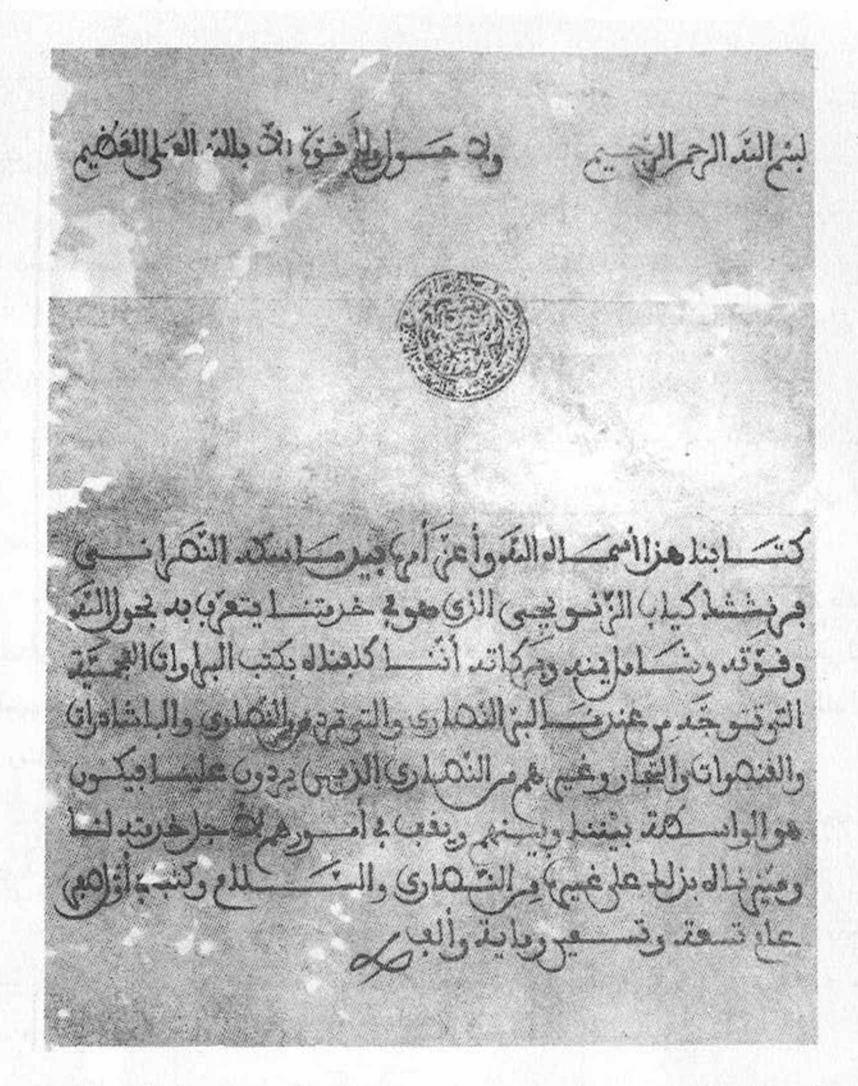
ونتيجة لهذا فقد حصلت اصطدامات في البحر بين قطع الأسطول المغربي والأسطول الأمريكي وهو الأمر الذي حمل السلطان المولى سليمان على الاتجاه نحو طنجة للوقوف على حقيقة الأمر... وقد تبيّن أن هناك سفناً أمريكية حجزت بالفعل من طرف الرؤساء المغاربة وأن هناك سفنا مغربية حجزت من الطرف الآخر!

وقد وقفتُ على رسالتين اثنتين باللغة الإنجليزية كلتاهما تحمل تاريخ 20 جمادى الثانية 1218=8 أكتوبر 1803 يتأكد أنهما حررتا والسلطان مولاي سليمان مقيمٌ بمدينة طنجة التي دخلها يوم الخميس [1] 18 جمادى الثانية 1218 خامس أكتوبر، وهما تحملان الطابع الملكي، الأولى الى القنصل الأمريكي جواباً عن رسالة سابقة منه: يؤكد له فيها أن ما حدث لا ينبغي أن يضر بصفو العلاقات بين المغرب وأمريكا ويضيف قائلاً: «إن الذين وردوا علينا من إخواننا المسلمين مستنجدين بنا كان من الصعب علينا أن نرد طلباتهم، وإن الرايس الذي وقف الى جانبهم إنما فعل ما تمليه عليه عاطفته...» وتختم الرسالة بإعطاء موعد لاستقبال السفير وقائد الأسطول...

أما الرسالة الثانية فهي موجهة الى العامل الجديد في طنجة محمد بن عبد الصادق وهي تأمره بأن يشرف على الإفراج عن سائر المحتجزات الأمريكية، ويقوم بإرجاع الأغراض الى أصحابها.

وفي اليوم الموالي لتاريخ الرسالتين المذكورتين وبعد استقبال مولاي سليمان للأميرال بريبل (Prible) يوم 7 أكتوبر حرر ظهير شريف صادر عن السلطان مولاي سليمان حول تجديد اعترافه باتفاقية والده، وهو يحمل تاريخ 21 جمادى الثانية 1218=9 أكتوبر 1803.

(1) A Survey of United States Relations With Morocco Nov 1957, Historical Division Departement of State, p 25 - Luella - J Hall, The United State and Morocco, 1971, p 61



بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره بيد ماسكه النصراني
فيه يشهد كيداب الزنقو يحيى الذي هو في خدمتنا يتعرف به بحول الله
وقوته وشامل يمنه وبركاته أننا كلفناه بكتب البطاقات العجمية
التي توجد من عندنا إلى النصارى والتي ترد من النصارى والباشدوات
والقنصوات والتجار وغيرهم من النصارى الذين يردون علينا فيكون
هو الواسطة بيننا وبينهم وينصب في أمورهم لأجل خدمته لنا
وميزناه بذلك على غيره من النصارى والسلام وكتب في أوائل
عام تسعة وتسعين ومائة وألف

تأكيد الصلح بين المغرب وأمريكا بتاريخ 21 جمادى الثانية عام 1218 (7 أكتوبر 1803).
في أعقاب الأزمة المغربية الأمريكية بسبب نجدة المغرب لطرابلس.

وبعيد هذا التاريخ 24 جمادى الثانية 1218=12 أكتوبر 1803 أي في اليوم الذي غادر فيه العاهل طنجة حررت رسالة من السلطان المولى سلميان الى الرئيس الأمريكي طوماس جيفرسون، ومجلس الشيوخ الأمريكي «إن ما وقع من وحشة - تقول الرسالة الملكية - بين سفننا وما وقع من ترامي رؤسائها بعضهم على البعض الآخر استدعى إصدار أمرنا لإحضار الجميع بمرسى طنجة حيث تحققنا بأن هذه القضية تافهة لا أهمية لها، وقد حلت المشكلة، وقد أخبرناكم بما وقع إعراباً عن تأكيد الصداقة والسلام معكم على نحو ما كان عليه الأمر في اتفاقية عام 1200، وإن العهود التي انعقدت بين البلدين ما تزال جارية....

وقد وقف الرئيس الأمريكي طوماس جيفرسون يخبر الكونكريس يوم 20 شعبان 1218=5 دجنبر 1803بأن كل المصاعب قد وقع التغلب عليها بصفة ودية، وأن العاهل المغربي قد جدد اعترافه بمعاهدة 1786، وبهذا دخلت حوادث الأمس في التاريخ !.

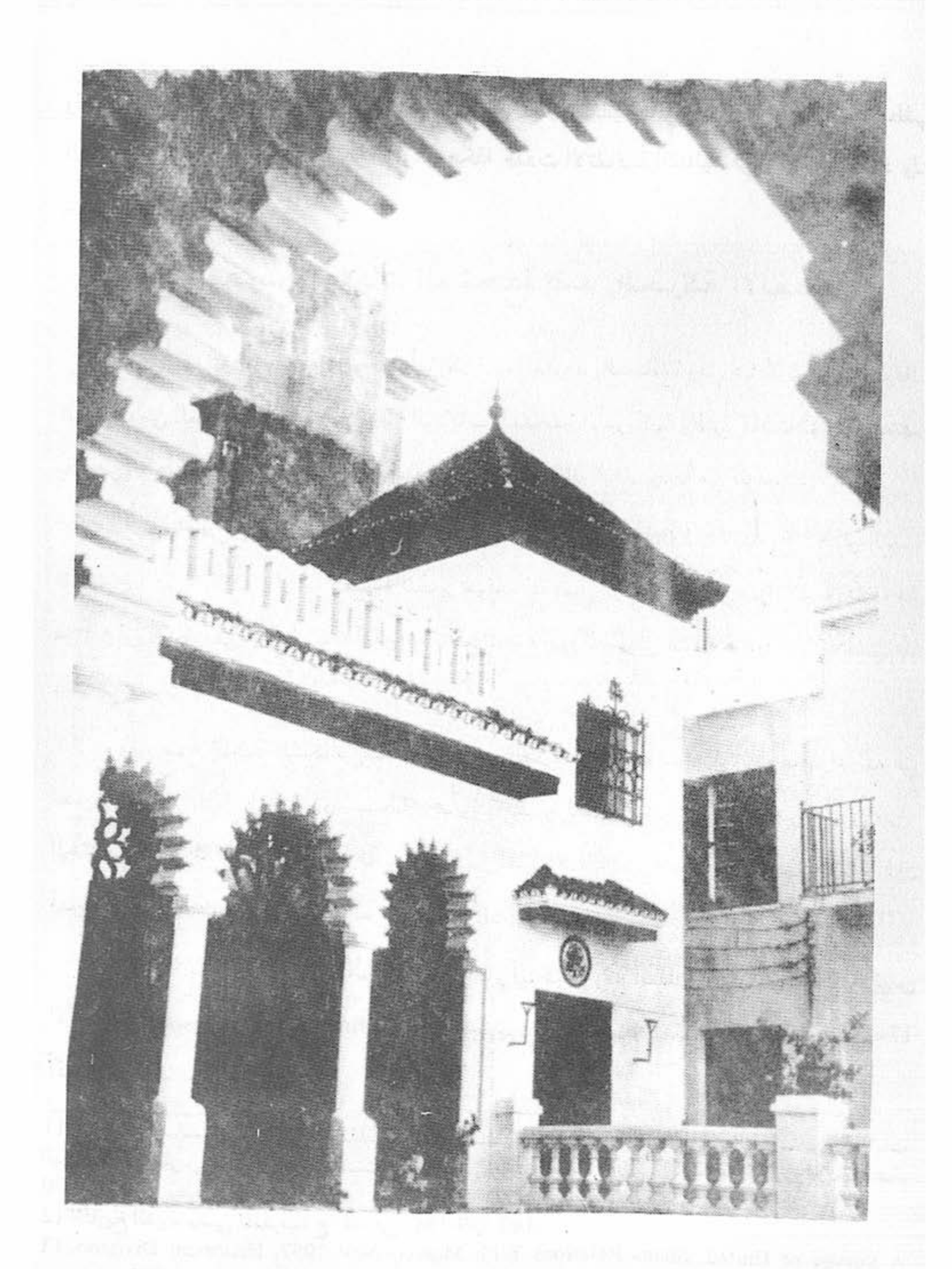
ولما كان القنصل قد حمل معه هدية للعاهل من رئيس الولايات المتحدة فقد طلب إليه الملك أن يُبقي الهدية تحت يده حتى تسنح الفرصة لمقدمه... أو يرسل من يصدر له الإذن بتسلميها... وقد ختمت الرسالة بأخبار القنصل بأنه سيجد طيّ هذه الرسالة نصّ جواب ملك المغرب على رسالة الرئيس الأمريكي .

وهنا قرأنا عن هبة السلطان مولاي سليمان للولايات المتحدة مقراً لبعثتها بطنجة. وبهذا تكون هذه الدار أقدم بناية تملكتْها الولايات المتحدة على وجه الكرة الأرضية [1] !

وعلى العادة المتبعة فقد وجّه السلطان المولى عبد الرحمن فور جلوسه على العرش 1238=1822 كتاباً الى سائر القناصل المعتمدين بالعاصمة الدبلوماسية يؤكد فيه سيْره في سياسته الخارجية على نفس الخط الذي كان عليه عمه السلطان المولى سليمان.

ولقد كان على معاهدة مراكش أن تنتهي عام 1837 أي بعد سبع سنوات من احتلال الجزائر من قبل فرنسا ولهذا فقد توصل القنصل الأمريكي جيمس ليب بتعليمات بتاريخ 10 غشت 1835 من أجل الشروع في المفاوضات لعقد اتفاق جديد بين المغرب وأمريكا، وقد عهد الى القنصل المذكور أن يسعى لكي يكون أمد الاتفاقية الجديدة نصف قرن على نحو سابقتها وأن يحصل فوق كل هذا

1) تقدم أثناء الحديث عن العلاقات المغربية الهولاندية عن انعام الملك محمد الثالث عام 1200=1786 على الفلامنك بالدار التي سكنوها أول ما وصلوا طنجة... انظر التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج. 9.



دار أمريكا بطنجة

وذاك على إضافة بند يقتضي أن تتجد الاتفاقية من نفسها تلقائياً مادام أحد الطرفين لم يتقدم بطلب إلغائها، قبل نفاذها بسنة على الأقل... وهكذا جددت الاتفاقية الثنائية في الوقت المحدد ولم يتغير فيها شيء.

تأييد المغرب للولايات المتحدة ضد الحركة الانفصالية

لقد اتسمت على العموم مواقف أمريكا إزاء المغرب بالمساندة ومن هنا لا نستغرب موقف المغرب من المحنة التي تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية والتي كادت تهدد وحْدَتها بالخطر، ونعني بذلك الحروب الانفصالية التي عرفتها تلك البلاد ردحاً من الزّمان...[1]

وقد جاء في رسالة للأمير مولاي العباس للقنصل دولونك De Long بتاريخ 13 دي القعدة 1278=14 مايه 1862 «إن ما قمنا به لتعزيز موقف القنصل الأمريكي ليس فقط لأنه واجب وحق من الحقوق ولكن لأن روابط الصداقة والود التي تجمع بين الدولتين منذ أيام أجدادنا تقتضي منا ذلك [2] !!

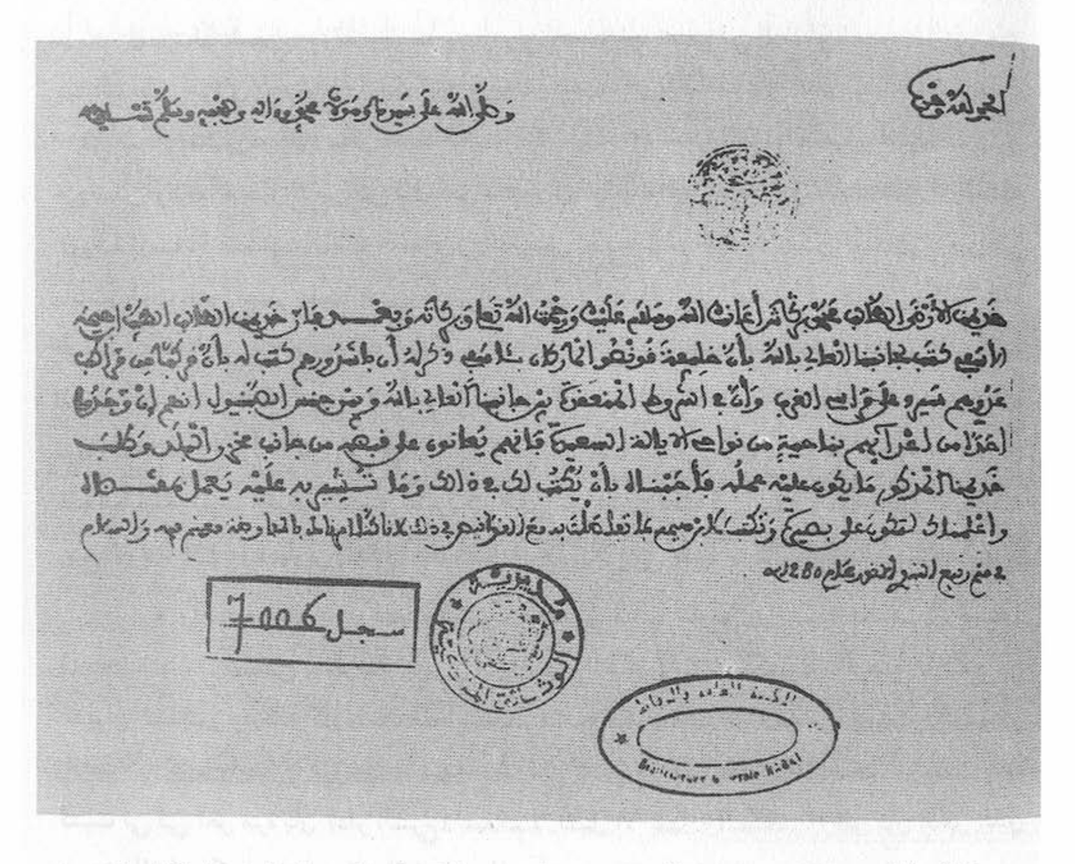
وقد صرح النائب السلطاني بطنجة بركاش طبقا لما كتب به القنصل ماك مَاث لدولته في نفس اليوم 12 أبريل 1863 بأن السلطان يتأسف كثيراً للحالة التي تعانيها أمريكا من جراء الخارجين على القانون وهو مقتنع **بأنه لو حصل نفس الحال في المغرب، لا سمح الله، فإن أمريكا والحكومات الأخرى سوف لا تشجع المروق والتمرد...**[3].

وعندما بلغت أخبار اغتيال الرئيس ابراهام لينكولن رفع الملك محمد الرابع الى الرئيس الأمريكي أندرو جونسن A Johnson يعزيه بتاريخ متم جمادى الأخيرة 1285=17 أكتوبر 1868.

1) كوّن الطيكساسيون جمهورية مستقلةً خاصة بهم منذ 2 مارس 1836 وقد ألحقت الطيكساس بالولايات المتحدة أول مارس 1845 لكنها انضمت عام 1861 لحرب الانشقاق الى أن اضطرت للعودة للاتحاد عام 1870.

2) التاريخ الديبلوماسي للمغرب، ج. 9، ص. 138-139-140.

3) A Survey of United, States Relations With Morcco Nov 1957, Historical Division, Departement of State, p 37, Not 1, Mc Math to Secretary of State April 12/1863 Diplomatic Correspendance1863, Vol III, P 1220-1221



الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

بمتم ربيع النبوي الأنور عام 1280

سجل 7006

رسالة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بن هشام محمد الرابع إلى نائبه بطنجة يؤيد الولايات المتحدة الامريكية في حربها ضد الانفصاليين وهي بتاريخ 30 ربيع الأول 1280 = 14 شتنبر 1863

موقف المغرب من الحماية القنصلية

لقد اتخذ المغرب موقفاً حاسماً من أمر «الحمايات» تجلّى في الرسالة الصارخة التي بعث بها السلطان مولاي الحسن - قبيل انعقاد مؤتمر مدريد الى نائبه بطنجة الذي نراه يحولها بدوره - في شكل منشور - الى سائر أعضاء السلك (بتاريخ 26 صفر 1297=9 يبراير 1880)، وكان في صدر أولئك القنصل الأمريكي فيليكس ماطيوس، وكانت الرسالة مصحوبة بما يمكن أن نسميه (ورقة إرسال) ضمّنها النائب السلطاني الطريس تمهيداً ثم خاتمة تذكّر القنصل الأمريكي بالتشريعات التي تسير عليها الدولة العثمانية التي لا تختلف عن المغرب في دينها، وكانت هذه هي الوثيقة الأولى من نوعها التي يذكر فيها الوزير المغربي ببنود المعاهدة المغربية الأمريكية المبرمة عام 1252=1836 وبنود المعاهدة المغربية الإسبانية المبرمة عام 1278=1861 ويحتج كذلك فيها بما تطبقه الدول الأخرى مع أمة إسلامية تقع في آسيا الصغرى ولا تطبّقه مع المغرب ! غير أن هذه المقارنة آثارت حفيظة القنصل الأمريكي الذي نشاهد ردّ فعله في رسالةٍ لاحقة تحمل تاريخ 12 ربيع الأول 1297=11 مارس 1880، قال القنصل الأمريكي في جملة ما قال باللغة العربية التالية :

... وأما قولك عن رعية الترك فغير خاف عليك أن الترك عندهم (بَرْلمنط) (Parlement) المسمى بالعربية الديوان وأن جميع الشكاوي التي تكون في الرعية تجتمع في الديوان المذكور ويأخذ كل واحد حقّه وعندهم جميع الشهادات الواقعة من المسلم واليهودي والنصراني كلها واحدة لا فرق بينهم فيها، ومراكش لا ديوان لها ولا برلمنط عندها... وأنت كنت كتبت لي في آخر مرة بأن (دار الشرع) عندكم لا تقبل إلا شهادة المسلم [1] فلو كان الحق الذي هو عند الترك يكون عند رعية مراكش لم يطلب أحد حماية ولا يقبلها...» !!

وحسب رسالة من السلطان مولاي الحسن الى الطريس نائبه في طنجة بتاريخ 13 رجب 1305=26 مارس 1888 فإن الحكومة المغربية تفكّر في إرسال سفير مغربي الى أمريكا وهذا أيضا ماتفيده رسالة أخرى تحمل تاريخ 22 شوال 1305=2 يوليه 1888 حيث نجد العاهل يأمر الطريس بمناسبة سفره الى مدريد أن يتصل بسفير انجلترا وأمريكا ويعلمهما بعزم الجناب الشريف على إرسال سفيرين مغربيين الى دولتهما [2].

1) في الرسالة لأبي زيد القيرواني «ولا تجوز شهادة الكافر...».
تدخلي في ندوة الأكاديمية الخاصة بأسس العلاقات الدولية في الإسلام، الرباط 17 مارس 1988.
2) المكناسي - الكوش، وثائق لدراسة تاريخ المغرب، ص. 40-42.

ومن المهم أن نسجل هنا للتاريخ أن الولايات المتحدة كانت الدولة الوحيدة التي سجلت تحفظها قبل أن تصادق على اتفاقة مؤتمر الجزيرة الخضراء وذلك في عبارات مكتوبة تتضمن «أن أمريكا التي لا توجد لها أطماع بالمغرب إنما شاركت في المؤتمر من أجل أن تضمن سائر الدول حقّها في التعامل مع المغرب ومن أجل المساعدة على إنشاء إصلاحات في البلاد من شأنها أن تضمن الاطمئنان والاستقرار...».

هذا وقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية آخر الدول التي اعترفت بالخماية الأجنبية للمغرب الذي لم يكن له اختيار غير تلك الحماية... !

المغرب وجمهورية دوبروڤتيك

بالرغم من أن جمهورية دوبروڤنيك (Dubrovnik)[1] أو (راكوزة) كما تسميها أحياناً الوثائق المغربية - كانت على هذا العهد محمية الباب العالي فقد حفظ التاريخ عدداً من الوثائق المتبادلة بينها وبين المغرب ممّا وقفتُ عليه في أرشيف دوبروفنيك [2]. ويتعلق الأمر بصفة خاصة بالاتصالات التي جرت في أعقاب اتهام إحدى السفن التابعة للجمهورية بتقصيرها في واجب نقل الحجاج المغاربة الى بلادهم وإنزالهم عوض ذلك بميناء مدن أخرى تقع على المتوسط : سوسة، صفاقس مخلةً بالشروط المتفق عليها بين المغاربة وبين بحرية دوبرونيك !

وهكذا حرر الملك محمد الثالث تصريحاً بتاريخ 24 شعبان 1191=27 شتنبر 1778 باللغة الفرنسية بواسطة سومبيل (Sumbel)، يذكر فيه أنه يشعر القناصل الأجانب بأنه يعتبر نفسه في حالة حرب مع جمهورية راكوزة ويعطي الأسباب لذلك... [3].

1) تقع دوبروڤ (Dubrovnik) على ساحل البحر الأدرياتيكي جنوب سنجق البوسنة وسنجق الهرسك كما تسميها وثائق العثمانيين، عقب سقوطها في أيديهم عام 1463...
نياز محمد شكريج : الفتح العثماني وانتشار الإسلام ونشأة الإسلامية في البوسنة والهرسك (يوغوسلافيا) في القرنين الخامس عشر الميلادي.
رسالة تقدم بها الأستاذ الشهيد شكريج الى جامعة بغداد في تشرين الأول 1971 وحضرت مناقشتها...
2) يتحدث كتاب تاريخ الأتراك في شمال إفريقيا (ج. 2، ص. 43) عن رسالة بعث بها العاهل المغربي الى البلاط العثماني مع السفير عبد الكريم أراغون، وكانت تتعلق بدوبروڤينيك.
3) توجد، رسالة بتاريخ 24 أبريل 1780 من العاهل المغربي الى قابطان راكوزة يتحدث فيها السلطان عن أداء واجبه لبحري من نفس الجنسية.
Jacques Caille : A propos d'un Document Inedit de Moulay Yazid, Hesp, p 239



كتاب من محمد الثالث إلى ديوان دوبروفنيك بتاريخ 6 جمادى الأولى 1194 = 10 مايو 1780. يخبرهم أنه توصَّل كتابهم المتشفع الذي يحمله كاولو ماريه وأنطونيو كازيلاري. وأنه يتجاوز عن الهفوة التي ارتكبوها حيث أخذوا الحجاج المغاربة من الاسكندرية وعوض أن ينزلوهم بالمراسي المغربية أنزلوهم في سوسة وصفاقص، وقد وقفت على هذا الخطاب في أرشيف دوبروفنيك

وقد ورد على المغرب في ربيع الأول 1184= أبريل 1780 سفيران من جمهورية دوبروفينيك[1] هما قنصل قادس دوديرو (Dodero) والقابطان كازيلاري (Casilari) وهما مبعوثان من الباب العالي من السلطان عبد الحميد وكانا يحملان أنفس الهدايا للتوسّل للسلطان.

وقد وصل الوفد الي مراكش لمقابلة العاهل المغربي محمد الثالث حيث وصل الطرفان الى اتفاق وصدر تصريحان بتاريخ 6 جمادى الأول 1194=10 مايه 1780 جعلا حداً للأزمة، وذلك بعد أن قدمت السفارة حُججاً معززة بشهادة من شيخ تونس تدل على أن السفينة المتهمة ليست من دوبروفينيك !

وبتاريخ 6 دجنبر 1797 توجه السلطان المولى سليمان الى بحريٍّ من (راكوزة) يعيد الى ذاكرته أنه تبعاً للقواعد المتفق عليها، فإن راكوزة كانت التزمت بأن تجعل عدداً من السفن تحت تصرف والده محمد الثالث كلما دعت حاجة المغرب الى إيصال الحجاج إلى ينبع ميناء المدينة المنورة...

وقد اتبعت هذه القاعدة الى شهر يبراير 1798 حيث نجد تسع سفن من (راكوزة) تذهب من الصويرة الى الأسكندرية محملة بالحجاج الذين قصدوا الحجاز...

وأخيراً ففي بداية القرن التاسع عشر سُمع عن طائفة من المغاربة ذهبت الى الديار الشرقية والحجاز بالذات بواسطة باخرة من راكوزة على نحو ما يرويه سفيرٌ نمساوي ورد على مكناس عام 1805...

وتحتضن دار المحفوظات في دوبروفينك عشرات الوثائق التي وقفتُ عليها كما أسلفت والتي كانت تتناول القضايا ذات الاهتمام المشترك بين المغرب ودوبرفنيك .

العلاقات بين المغرب ومالطة

منذ أن أخرج روجي العرب من مالطة سنة 1091م 1484 هـ أمست هذه مشاركة لصقلية في مصيرها الى أن كانت سنة 1530 م 937 هـ حيث نرى شارل كينت يتنازل عنها لفائدة «فرسان» سان جان الذين جنّدوا أنفسهم لمقاومة المجاهدين البحريين المسلمين في المتوسط.

1) باسم قورقوت : الوثائق العربية في دار المحفوظات بمدينة دوبرفينيك سرايبو 1960 يوغوسلاڤيا، الكتاب الأول، ج. 1-2.

ومن هنا وقع عدد من الأسرى في أيدي «الفرسان» فاحتفظوا بهم في مقابلة الإفراج عن أسراهم لدى الإيالات العثمانية في الجزائر وتونس وطرابلس والبلاد المشرقية...

ولما كان عهدُ السلطان سيدي محمد بن عبد الله (محمد الثالث) أخَذ على عاتقه الإفراج عن سائر المسلمين الأسارى من غير تمييز بين جنسياتهم، قرر توجيه سفارةً مغربية الى حاكم مالطة للقيام بعملية الافتداء، ورصد لذلك أموالاً باهضة...

ولكنه قبل أن يبعث بالسفير محمد بن عثمان على رأس بعثة مغربية أرسل السفير السيد محمد بن عبد الهادي الحافي [1]، ليقوم بعملية جرد الأسرى المسلمين، وكان السلطان محمد الثالث مهد لهذا بذكر مالطة ضمن الدول التي يسمح لها بالتجارة مع المغرب في بلاغه المشهور بتاريخ 20 دجنبر 1777.

وقد توجه ابن عثمان سنة 1192=1782 للجزيرة المذكورة... مزوداً بالتعليمات من البداية بتحرير النساء والصبيان والشيوخ وذوي الأعذار، وقد أمر السلطان أعضاء السفارة بالمكث هناك حتى ترد عليهم خمس مراكب : يركب الأسرى في أربعة منها بينما تتوجه السفارة في المركب الكبير الى نابولي بعد انتهاء مهمتها في مالطة التي يتكلم أهلها «سبعة ألسُن» على ما يقول ابن عثمان !

وفي أثناء هذا المقام راجت إشاعة في البلد مفادها أن السفارة جاءت لإحداث انقلاب في البلاد !! وأنها تنتظر ورود خمس مراكب بحرية لإنجاز هذه المؤامرة !! الأمر الذي خلق مصاعب للبعثة التي لم تتمكن من أداء مهمتها كما كانت ترجوه !

وقد ودع الدبلوماسيون المغاربة مدينة مالطة في سابع شعبان 1196=18 يوليه 1782 وساروا الى المرسى مع الأعيان الذين هبُّوا لوداعهم وركبوا في السفينة التي قدموا عليها في اتجاه نابولي...

1) خص الأستاذ ماريانو أريباس بالاو هذا الدبلوماسي المغربي الرباطي بدراسة جيدة مستوعبة حول مهمتيه الاثنتين في مالطة : الأولى التحق به محمد بن عثمان عام 1781والثانية قام بها وحيداً عام 1789، وكلتا المهمتين تنصبّ على افتداء الأسرى المعذّبين في مالطة...
وقد نشرت هذه الدراسة في مجلة «القنطرة» الإسبانية م 5، ف. 1-2 مدريد 1984، ص. 230-233، وقد عرّبتها الأستاذة آمنة اللوه، الباحثة في المعهد الجامعي للبحث العلمي، ويقرأ حول الحافي كذلك مقال في المجلة الإيطالية «دراسة مغربية»، نابولي 1974، ص. 171-173.

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
من محمد بن عبد الله الله وليه ومولاه



إلى الري كارلس [illegible] الري في لاصبانية السلام على
من اتبع الهدى أما بعد فقد بلغنا كتابك الوارد على
يد [illegible] وقرأناه وعرفنا ما فيه واعلم أن
كاتبنا السيد محمد بن عثمان الذي وجهناه لمالطة على
فداء أسارى المسلمين الذين بها اشترى من الأسارى من مالطة
ما سهل الله بشرائه ووجه كل واحد من الأسارى لبلده [illegible]
[illegible] من مالطة [illegible] جميع الأسارى الباقين [illegible]
[illegible] والبكاء والنوح [illegible]
[illegible] على تلك الحالة تكلم مع [illegible] فداء جميعهم فأجابه
[illegible] فداء جميعهم بما [illegible]
[illegible] ريال [illegible] ريال [illegible] وخمسين ريالا ونصف
وكتب لنا بما عقد في فداء الأسارى [illegible] الريال
[illegible] تكون عندك [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] والسلام في [illegible] شوال [illegible] وتسعين ومائة وألف
1196

رسائل الملك محمد الثالث إلى العاهل الإسباني بتاريخ 20 شوال 1196 = 28 شتنبر 1782
في شأن أسرى مالطة

ومع هذا لم ينس العاهل المغربي أسرى في مالطة، وتوجه برسائل هامة الى ملك اسبانيا حول الموضوع وقد وقفت على بعضها وكانت بتاريخ 20 شوال 1196=28 شتنبر 1782 وهي تتحدث عن توسل بقية الأسرى بابن عثمان وهو يتأهب لمغادرة مالطة كما وقفت على ثانية بتاريخ أواخر شعبان 1197=30 يوليه 1783 تتحدث عن أن بعض المالطيين «رجعوا عن بيعهم الذي كانوا تعاقدوا عليه مع ابن عثمان وكانت الثالثة بتاريخ 10 جمادى الأولى 1201=28 يبراير 1787 وهي تطلب من ملك اسبانيا أن يقوم بالاتصالات مع حاكم مالطة[1]...

علاقات المغرب باليونان

ونظراً للروابط التي كانت تجمع المملكة المغربية بالباب العالي فقد كانت القسطنطينية العظمى تستوصي خيراً بسائر الأقاليم التي كانت تقع حمايتها حتى لا يصلها أذى من قريب أو بعيد، وقد كان المغرب يستجيب لتلك التوصيات لأنه يراها محققة لأهداف العثمانيين...

وكان هذا نفس الموقف بالنسبة لجزر يُونيين السّبعة (Les iles Ionnienes) التي انفصلت عن البندقية ووضعت يدها في يد العثمانيين...

لقد كتب الباب العالي - وهو في غمرة صراعه لنابليون - الى السلطان مولاي سليمان بتاريخ 8 ذي القعدة 1214=2 أبريل 1800 يخبره بعلاقات الباب العالي بالجزر السبْعة المشار إليها، ويحتفظ الأرشيف المغربي بعدد من الوثائق التي تمس علاقاتنا باليونان وبخاصة في عهد الملك الحسن الأول، وهكذا نجد خطاباً بتاريخ 26 ذي القعدة 1293 1876/12/13=مرفوعاً من الحاجب موسى بن أحمد الى النائب السلطاني بطنجة حول تفويت أرض للدولة الى القنصل اليوناني وصدور الأمر المولوي بحيازة الأرض المذكورة.

العلاقات بين المغرب وألمانيا

لقد كشفت حرب 1287=1870 للمستشار الألماني بيسمارك عن الأهمية السياسية والاستراتيجية للمغرب الذي أصبح مجاوراً لفرنسا بالجزائر وقد كان للملك محمد الرابع على خبرة

1) لاحظت وأنا أبحث في أرشيف مالطة غياب سفارة ابن عثمان نهائياً الأمر الذي يرجع لديّ أن الملف مسروق !، د. التازي، البدر السافر... بحث قدم لأكاديمية المملكة المغربية يوم 2000/6/22.

القسم الأخير من رسالة بعثها الباب العالي الى العاهل المغربي السلطان مولاي سليمان
بتاريخ 8 ذي القعدة 1214 = 2 أبريل 1800 يطلب إليه أ ن يساعد جزر اليونان
التي انفصلت عن فينيسيا واحتمت بالعثمانيين

بالصراع الألماني الفرنسي. وفي هذه الأثناء (1275-1872) اتّخذ الوزير الأول بيسمارك قراراً بفتح القنصلية بطنجة وهو الأمر الذي أعلن عنه بصفة رسمية في السنة الموالية...

وقد عهد في الأخير الى كواليش (GÜlich) بمهمة تمثيل ألمانيا لدى البلاط المغربي وهكذا وجدنا المبعوث الألماني يعرض على العاهل الجديد الحسن (الأول) مساعدة ألمانيا لتكوين جيش مغربي عصري كما اقترح تزويد المغرب بالعتاد الحربي، وإنشاء شبكة للسكة الحديدية والطرق المعبدة علاوة على الخطوط التلغرافية... بيد أن أيام القنصل المذكور لم تطل حيث وجدنا الأمبراطورية الألمانية تعوضه بقنصلها العام السابق في بيروت، الذي كان يجيد اللغة العربية ويحمل اسم ثيودور ويبير (Theodor Weber).

وقد كان في صدر ما قام به القنصل الجديد ترتيب القنصلية الألمانية في طنجة وإعطائها نفساً جديداً حيث زودها بعدد من المساعدين والكتاب كان من بينهم ترجمان «من جنسية سورية» عاش في المغرب حوالي ربع قرن من الزمان.

وقد قصد السفير مدينة فاس لتقديم التحية للملك الحسن حيث وجدناه يحل بها يوم سابع مايه 1877. وقد مهدت هذه الوفادات للحديث حول اتفاقية مغربية ألمانية.

وفي أعقاب هذه السفارة عهد العاهل المغربي سنة 1877 الى الحاج العربي بريشة باقتناء كمية من الأسلحة من ألمانيا حيث رأينا القنصل ويبير يزود بريشة بعناوين المصانع الألمانية.

ولم يلبث العاهل المغربي أن بعث في شهر ربيع الثاني 1295 مايه 1878 ببعثة مغربية برئاسة قائد مدينة آسفي الطيبي بن هيمة الذي كان مصحوباً بوفدهام...

ولقد أعرب السفير ابن هيمة للأمبراطور گيوم عن رغبة السلطان المولى الحسن في إقامة علاقات متينة مع ألمانيا... لقد كان العاهل مهتماً فعلاً بتنظيم جيشه.

ولقد ظهر من خلال الحديث مع بيسمارك أنه يهدف لإبرام معاهدة تجارية كما يهدف لإرسال بعثة عسكرية... وقد كانت بنود المعاهدة المقترحة على الملك لا تختلف كثيراً عن نصوص الاتفاقية المغربية الإنجليزية المبرمة عام 1856...

وتحتفظ الوثائق المغربية بنص الرسالة التي تشير للمشروع الذي أعد بين أمبراطور ألمانيا وسلطان بروسيا من جهة، وبين سلطان فاس ومراكش من جهة أخرى : لقد كان يفاوض فيه عن

ألمانيا البارون طيسطا (Testa) الذي التحق بالقنصلية الألمانية، والذي كان على خبرة تامة بالشؤون الإسلامية، وباللغة العربية معززاً بالوزير المعتمد (ويبير) قبيل تسليمه المهام الى طيسطا.

ويتعيّن البارون طرافيرس (Travers) منذ أكتوبر 1887 عوضاً عن طيسطا (Testa) ولكن طرافيرس لم يطل مقامه بالمغرب حيث أصبح يقوم «بأشغال ألمانيا» والدثاوزن (Waldthausen) منذ صيف 1888.

وفي هذه الأثناء قرر العاهل السلطان المولى الحسن إرسال سفارة لدى الأمبراطور گيوم الثاني بمناسبة تسمله الحكم مكان والده.

وهكذا غادرت السفارة المغربية مياه طنجة يوم 22 يناير 1889=20 جمادى الأولى 1306 على متن سفينة ألمانية برئاسة عامل الشاوية عبد السلام بن رشيد الحريزي.

وقد أسهمت هذه السفارة في تسجيل خطوةٍ جديدة للتقارب الألماني المغربي... وهكذا نجد الأمبراطور گيوم الثاني يصدر أمراً بتعيين وزير معتمد جديد بطنجة كان له دور بارز في إعطاء نفس جديد للعلاقات ويتعلق الأمر بالسفير طاطّينباخ (Tattenbach)الذي ربط اتصاله مع وزير المالية آنذاك محمد التازي الملقّب بالموخى معززاً بأخيه عبد السلام...

وقد أقام السفير بفاس حيث تتابعت المفاوضات التي انتهت الى الإمضاء على الاتفاقية التجارية بفاس يوم الأحد 12 شوال 1307= أول يونيه 1890 [1].

1) Le Tourneau : Fez avant le Protectorat, p 167/ L'Allemagne et le Maroc, p 209/210



ولهذا الطرف سموا مفوضين من جلالة سلطان المغرب الذي الى سمو وزير الأمور الخارجية

الفقيه السيد محمد المفضل بن محمد غريط وأمناء حضرته الشريفة السيد العربي بن الحاج بناني

والسيد العربي بن عبد الرزاق بن شقرون والسيد عبد الكريم بن الحاج قدور بنيس

والسيد محمد بن الحاج الطاهر الأزرق والسيد محمد بن التهامي الكوهن والسيد

عمر بن عبد الكريم بركيان والسيد محمد بن عبد الكبير التازي والسيد عبد الوهاب بن محمد

بنيس والسيد العباس بن محمد بن ادريس والسيد ادريس بن أحمد بناني والسيد الحاج العربي

ابن عبد الكريم بن موسى والسيد الطاهر بن التهامي بناني والسيد محمد بن العربي بن ادريس

والسيد ادريس بن محمد بن ادريس والسيد هاشم بن جلون والسيد هاشم بن محمد العلو والسيد

محمد بن عبد الكريم بنيس والسيد محمد بن عبد النبي بن جلون والسيد محمد ابن شقرون والسيد الطيب

بناني الواضعين خطوطهم إثر رسم بنان من هذه الشروط وجلالة سلطان ألمانيا سمى

نائبه المتوسط الذي هو الآن بجانب الحضرة الشريفة الكونت طاطنباخ ولما كانوا هم مفوضين

فرفع الوفق بينهم على الفصول الآتي ذكرها

الفصل الأول

تكون المحبة والمعاملة بغير منازع فيما بين جلالة أمبراطور ألمانيا وبين جلالة سلطان المغرب

وأنصارهما الكمالة ورعيتهم فلأجل ذلك تكون التجارة متساوية ومطلقة بين الدولتين

المعظمتين المتعاملتين وفي إنفاذ وتعاملهم وإعلان أن تكون لرعيتهم الحقوق والامتيازات

الكاملة التي تكون بيد الممنوحة لرعية الأجناس الأكثر تفضيلا ومثل ما ذكر من الحقوق

والتمييز يكون لرعية سيدنا عندهم

الفصل الثاني

أن رعية الألمان لهم الحق أن يجلبوا إلى إيالة المغرب جميع السلع وغلات ... والمراكب

جانب من الاتفاقية المغربية الألمانية بتاريخ 12 شوال 1307 =1 يونيه 1890 وقد وقت بفاس

وقد ختمت بتوقيع السفير الألماني طاطِّينباخ نيابة عن جلالة أمبراطور ألمانيا وسلطان البروسيا وعن المغرب وزير الأمور الخارجية محمد المفضل غريط الذي عُزز توقيعه بتوقيعات عشرين من أمناء الحضرة الفاسية.

لقد أمسى طاطِينباخ يتمتع بالثقة من لدن المخزن وازدهرت في وقته الحركة التجارية مع ألمانيا، ولابد أن نشير الى اعتماد المغرب على الألمان في تسيير السفن التي اقتناها وبخاصة المركب الذي يحمل اسم السيد (التركي) والذي يحمل اسم السيد الحسني والبشير[1].

ومن هنا ندرك السر في وفرة الجالية الألمانية ونشاطها في المملكة المغربية، فعلاوةً على من كان تابعاً للمندوبية القنصلية، كان منهم الأطباء والمهندسون المكلفين ببناء القلاع التسعة... [2].

ولما انتهت مهمة طاطينباخ عوضه شينك (Schenck) أواخر سنة 1896... وقد سجلنا لهذا - في جملة ما سجلنا - قيامَه في شهر مارس من سنة 1898 بزيارة للعاصمة مراكش لتحية العاهل الجديد مولاي عبد العزيز ومفاوضة الحكومة المغربية من أجل علاج المشاكل العالقة...

. وانتهت مهمة شنيك في طنجة منذ 24 أبريل 1899 والمغرب في انتظار الوزير الألماني الجديد فون مانتزينجن (Von Mentzingen). الذي كان دخوله الى مراكش يوم 17 نونبر 1899=13 رجب 1317 وقد تحدثت المصادر الأروبية عن العناية التي لقيها السفير الجديد من طرف السلطان المولى عبد العزيز الذي اثنى على موقف ألمانيا وشجبها لتطاول فرنسا على توات...[3].

ولقد أصبحت المؤامرات تتجند فعلاً لإحباط كلّ أنواع التقارب مع ألمانيا... ومن هنا وردت الفكرة بزيارة الأمبراطور الألماني گيوم الثاني لثغر طنجة أثناء الجولة التي كان يعتزم القيام بها في البحر المتوسط وذلك ليعبّر عن اهتمامه بأمور المغرب...

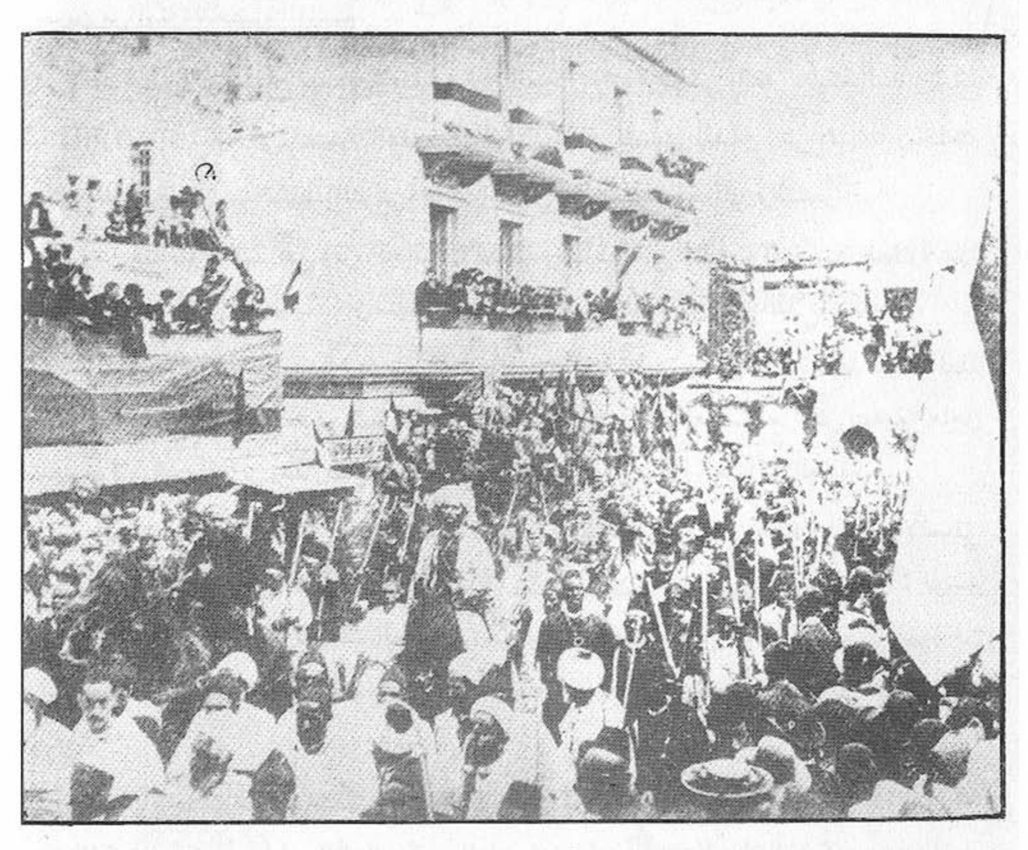
وقد رأى العاهل - تعبيراً منه عن اهتمامه بضيفه الكبير - أن يبعث بعمه الأمير مولاي عبد الملك ليكون في استقبال گيوم يوم الجمعة 31 مايه 1905=24 محرم 1323 [4].

1) ليوناركارو L Karow تسع سنوات في خدمة المغرب، تعريب عبد الرحيم حزل، جريدة العلم، 10 دجنبر 1999.

2) Le Tourneau : Fez avant le Protectorat, p 167/ L'Allemagne et le Maroc, p 209/210

3) ليوناركارو L Karow تسع سنوات في خدمة المغرب، تعريب عبد الرحيم حزل، جريدة العلم، 10 دجنبر 1999.

4) L'Allemagne et le Maroc, p 361-364



موكب الإمبراطور الألماني گيوم الثاني يخترق شوارع طنجة
يوم الجمعة 24 محرم 1323 =31 مايو 1905

وبالرغم من أن الأمبراطور لم يلق خطاباً في طنجة إلا أنه صرح حسب الندوة الصحفية التي عقدها القائم بالأعمال الألماني بعد وداع الأمبراطور صرّح بما يتضمن التأكيد بأن المغرب دولة مستقلة وأنه سيظل كذلك... [1].

وعندما تولى السلطان المولى عبد الحفيظ الحكم مكان أخيه مولاي عبد العزيز بعث الى برلين بسفارة تتألف من الهاشمي العبدي ابن وزير خارجيته عيسى ابن عمر.

وكان تاريخ 1911 يصادف تماماً تاريخ الاتفاقية الفرنسية الألمانية التي اعترفت ألمانيا بمقتضاها لفرنسا بمخططها في المغرب، وتبودلت الرسائل بين السفير الفرنسي في برلين ووزير الخارجية الألماني قبل إبرام معاهدة الحماية الفرنسية يوم 30 مارس 1912... !

علاقات المغرب ببلجيكا

كانت أول صلة رسمية للمملكة البلجيكية بالمملكة لمغربية ترجع لسنة 1838 ولما يمض على جلوس ليوبولد الأول على العرش سوى بضع سنوات حيث نجد العاهل البلجيكي يسعى الى الاتصال بالمغرب أيام السلطان المولى عبد الرحمن سنة 1254=1838، وهكذا فتحت قنصلية بطنجة تهدف لربط صلات تجارية والدخول للسوق المغربية...

لكن العلاقات إنما زكت سنة 1845 عندما تعين القنصل العام إرنيست دالوان (Ermest Dalwin) الذي اعتمد لدى السلطان مولاي عبد الرحمن... والذي لم يلبث وقد تربع سيدي محمد الرابع على العرش أن وصل الى إبرام معاهدة للتجارة والملاحة بتاريخ 2 رجب 1278=4 يناير 1862 وقد وقعها بطنجة عن المملكة المغربية الحاج عبد الرحمن بن محمد العاجي كما وقعها عن مملكة بلجيكا القنصل المذكور ويحتفظ الأرشيف البلجيكي بنصها [2].

ومنذ أن وقعت معاهدة الصداقة بين المغرب وبلجيكا أصبح الطرفان يتعاونان في مختلف المجالات وأمست زيارة القنصل العام للعاهل عادةً تقليدية لاطلاع العاهل على الأحوال الجارية...

1) Taillendier, p 258, L'Allemagne et le Maroc, p 826

2) انظر التاريخ الديبلوماسي للمغرب، ج. 10، ص. 107.

بسم الله — ولا حول ولا قوة إلا بالله

للجانب المولوي سلطان مراكشة وباس الجانب المولوي سلطان البلجيك حسبما
مراده هما به عقد شروط المحبة على أن يكون تجار الجانبين مقبولين بالحوكيين محتمين
في البلدين جعلوا نوابهم الموفقين يعني الجانب المولوي سلطان مراكشة وكيله
عن حضرته الأرفع الحاج عبد الرحمن العاجي والجانب المولوي سلطان البلجيك عيّن
الكبالير إرنيسط دالوان قونصو وخديم الرتبة في إيالة مراكشة رجل بلاده بعد ما
أكدهم الكل لمن فيهما ما بيدهما من التفويض اتفقا على ما سيذكر

الشرط الأول

يكون الصلح والمهادنة بين إيالة ورعية سلطان مراكشة وباشوية إيالة ورعية
سلطان البلجيك على الدوام

الشرط الثاني

النواب والقنصوات والرعيات من سلطان مراكشة وباشر تجارتهم ومراكبهم يكون لهم
جميع المنفعة في إيالة سلطان البلجيك التي كانت أو تكون لأجناس المحبين وكذلك النواب
والقنصوات والرعيات من سلطان البلجيك وتجارتهم ومراكبهم يكون لهم جميع المنفعة في
إيالة سلطان مراكشة وباشر التي كانت أو تكون لأجناس المحبين

الشرط الثالث

هذه الشروط المتفق يطبع عليها إن شاء الله في مدة قسم بعد من الجانبين

وختم النائبان المذكوران بخط يدهما وكتبا بعدها بطابع كنيتهما وسند بالله في يوم
2 من رجب الفرد الحرام عام 1278 الموافق للتاريخ المسيحي في 4 من شهر ينير سنة 1862



Ernest Daluin

خديم المقام العالي بالله الحاج عبد الرحمن بن محمد العاجي وفقه الله



الاتفاقية المغربية البلجيكية بتاريخ 2 رجب 1278 = 4 يناير 1862

ولما توفي الملك ليوبولد الأول وخلفه ابنه ليوبولد الثاني ورد القنصل على مدينة الرباط لرفع تحية العاهل الجديد وحينئذ جرى استقبال رسمي للقنصل إيرنيست دالوان صادف استعداد العاهل سيدي محمد للخروج لصلاة الجمعة يوم ثالث رجب 1281=2 دجنبر 1864 حيث نجد رسما جميلا للملك محمد الرابع على متن جواده.

وتبين من خلال الوثائق المغربية أن بلادنا اشترت من بلجيكا على عهد ليوبولد الثاني مؤنة حربية الأمر الذي تكشف عنه رسالة بتاريخ 20 رمضان 1282=6 يبراير 1886.

وعندما تربّع العاهل الجديد الملك الحسن الأول على كرسيّ الحكم كان عليه أن يحتفظ بتلك العلاقات التي ربطت بين المملكة المغربية ومملكة بلجيكا...



صورة الاستقبال للسفير البلجيكي من طرف السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان
يوم الجمعة 3 رجب 1281 = 2 دجنبر 1864

وإنه بفضل مساعي الوزير دالوان اقتنع المولى الحسن بأن يبعث بالسفير الزيدي الى المملكة البلجيكية عام 1293=1876 بعد أن كانت النية متجهة الى الاقتصار على بعض الدول الأروبية.

وقد تحركت السفارة من باريز الى بلجيكا يوم الإثنين 3 جمادى الثانية 1293=26 يونيه 1876 [1] على متن القطار حيث اجتمعت يوم الأربعاء 5 جمادى =28 يونيه بوزير الشؤون الخارجية. ثم جرى احتفال رسمي بالقصر الملكي وقابل جلالة الملك السفير المغربي بمزيد اعتبار واعتناء وإجلال حيث ألقى السفير خطبته أمام العاهل البلجيكي.

وقد كان من الأحداث البارزة في العلاقات المغربية البلجيكية السفارة الهامة التي وردت على مكناس بقيادة البارون إدوارد ويثنال (E Whethnal) بقصد تنشيط الحركة التجارية البلجيكية وعرض بعض المشاريع على العاهل المغربي وبخاصة مشروع إنشاء السكة الجديدية بين طنجة وفاس والخطوط التلغرافية...

وقد تم استقبال بالعاصمة الإسماعيلية يوم 21 يناير 1888 حيث نجد لوحة فنية رائعة لهذا المشهد الجميل بريشة الرسام البلجيكي موريس رومبيرج (M Romberg) الذي صحب السفارة، وتحتفظ قاعة الخزانة العامة بالرباط بهذه اللوحة الجميلة...

وجواباً على سفارة البارون ويثنال بعث السلطان سنة 1890 الى ليوبولد الثاني سفارة هامة برئاسة أحمد بن المؤذن السرغيني على ما تكشف عنه الوثائق المغربية والبلجيكية كذلك...

وبوفاة السلطان المولى الحسن الأول (2 ذي الحجة 1311=7 يونيه 1894) وجلوس ابنه السلطان المولى عبد العزيز علي كرسي الحكم حصلت شركة بلجيكية بتاريخ 27 غشت 1895 على رخصة بإنشاء مستودع للفحم الحجري لفترة تمتدّ ثلاثين سنة...

وقد شهدت سنة 1897 حدثاً من الأحداث النادرة التي شهدتها المملكة المغربية... ويتعلق الأمر بالزيارة «السياحية» الخاصة التي قام بها متنكراً [2] العاهل البلجيكي ليبولد الثاني للمغرب.

وقد كان مما لاحظه ليوبولد الثاني أنه من الممكن أن ينشأ في الصويرة ميناء رائع عن طريق حاجز أو حاجزين للماء يزيد في امتداد الأرصفة التي توجد في أطراف المدينة.

1) يراجع النص في الإتحاف، المجلد الثاني، ص. 290-291 وننبه هنا الى الخطإ الذي ورد عندما ترجم شهر جوان الى يوليوز والصواب يونيه.

2) نعرف أن الحكومة المغربية كانت على علم تام بهذه الزيارة لكنها تركت للعاهل البلجيكي حرية التحرك متنكراً وفق رغبته.

وقد اهتم الملاحظون بالأهداف المتوخّاة من زيارة الملك البلجيكي للمغرب وقد تأكد أن الهدف كان دائما محاولة الحصول على « موضع قدم » يكون بمثابة استراحة بالنسبة للقاصدين والعائدين من الكونغو...[1].

وقد شاهدنا أن الملك البلجيكي ليوبولد الثاني يرسل سفارة للمغرب كان على رأسها الكونت دوبوريسيري De Borisseret وبعد أن تمت الاتصالات جري الاستقبال الأول في قصر البطحاء بفاس بمحضر عدد من الجند حيث قدم السفير البلجيكي أوراق اعتماده للعاهل أوائل مايه 1904... وقام بإلقاء خطاب مقتضب باللغة الفرنسية قام بتعريبه سيرويس (Serruys).

مع غرب افريقيا وشرقها

لم تنقطع الصلة التي كانت تربط المغرب بالجهات التي تقع جنوبه في بقية افريقيا السوداء، وهكذا احتفظ بأواصر الأمس التي عرفتها الدول السابقة الى عهد السعديين الذين سلموا الحكم للملوك العلويين وهكذا لا نغفل ذكر المراسلات التي كانت للسلطان المولى اسماعيل مع واليه في تنبكت في أعقاب استرجاعه لمدينة العرائش من الإسبان يوم 18 محرم 1101 = 1 نونبر 1689... كما لا نغفل الإشارة الى ما سجلته الأوفاق الدولية من التي كانت تحلي العاهل المغربي بسلطان بلاد السودان.

وإذا ما واكبنا العاهل سيدي محمد الثالث، سنجده أولاً يقوم في بعض رسائله لحاكم جبل طارق بتاريخ 6 شوال 1178=29 مارس 1765 بتبليغ إنذار الى ملك انجلترا بعدم تجاوز الخط 23 كراد جنوب المغرب حيث كان يتجر الفرنسيس... ويطلب «نشر هذا الخبر عند تجار جنس انجلترا وجميع الرياس ليتجنّبوا مثل هذا الأمر...» على ما ذكرناه في العلاقات المغربية الإنجليزية...

ومن هنا ظل نعت «ملك السودان» يلازم العاهل في عددٍ من الوثائق، الدولية كان منها الاتفاقيات التي يبرمها مع بعض الأمم، ومنها كذلك الخطابات التي يتوجه بها الى رؤساء الدول، وقد وقفت في أرشيف الدولة بالبندقية على نص الاتفاقية المغربية البندقية بتاريخ 25 ذي الحجة 1173=15 يونيه 1765، وقد جاء في ديباجتها :

1) A Duchesne, Léopolde II et le Maroc 1885-1906, p 124, Note 26

وجاءتنا بيعتكم مسطرة بخط علمائكم وخطاب اعيانكم ولما
ان كانت تنبكت عندنا وجملة حواضر الغرب تعين علينا ان نبشركم
بما من الله به على المسلمين من فتح مدينة العرايش وهاهي في جملة مدن
الاسلام يتلى فيها كلام الله وتقام فيها حدود الله ومكن الله عباده
المسلمين من جميع ما احتوت عليه من سائر ما كان فيها من نصارى ومخازن
والمدافع والبارود وعدة وعدد وملكنا سبحانه رقابهم وطهرها الله من
جميعهم وكان فتحها على المسلمين مبينا فوجدنا فيها من النصارى الذين
دخلوا ايدينا اسارى سبع عشرة مائة وستة وعشرين كاملة وقتل منهم
نحو الالف ايام حصارنا لهم ومقاتلتهم ووجدنا في المدينة من المدافع
مائة وعشرين لا يكاد يوجد مثلها في بر النصارى كلها والقنبلة
بها خمسمائة مصفح من الحديد والقير من المكاحل ومن البارود خمس
مائة قنطار ومهراس اعدين الكثير للبنبات واما الكور والرصاص
وآلة الحرب والاثاث فشيء تجاوز العد والحد وحيث احتوت
حاضرتكم تنبكت على صلحاء واخيار وكنتم حتى انتم مجاورين للعبيد
الكفار فناسب بهذا الفتح وبعثنا اليكم الرقاص بالعجل فان هذا
الفتح فرح به كل موحد وحزن له كل جاحد

رسالة السلطان مولاي إسماعيل لواليه في تنبكتو يبشره بتحرير العرائش
بعد أن كان الوالي قد بعث بتجديد البيعة للعاهل المغربي

صار الصلح والمهادنة مع برنجبة متاع البلنسيان وديوانهم مع سلطان الغرب انبرادور دي مراكش وفاس ومكناسة وسوس وتافلالت وتنبكت وإقليم السودان، السلطان أمير المؤمنين...

وفي رسالته لملك الدانمارك عام 1777=1191 نعت العاهل نفسه بأنه ملك مراكش وسوس ودرعة وبلاد السودان...

وفي سرد هوست Host عن الأحداث عام 1788=1202-1203 ذكر أن العاهل المغربي سيدي محمد عهد إلى الأمير مولاي عبد السلام بحكم الأقاليم الجنوبية الى منطقة الحدود مع غينيا.

وقد نص صاحب كتاب (إنفاق الميسور في تاريخ التكرور) محمد بلو بن عثمان بن فودى على ذكر وثائق وردت من السلطان مولاي سليمان سلطان المغارب على حد تعبيره، وكانت الأولى بتاريخ أواسط جمادى الثانية عام خمسة وعشرين ومائتين وألف = أواسط يوليه 1810. بينما كان الوثيقة الثانية على سبيل التحديد بتاريخ الثامن عشر من جمادى الأخيرة من نفس العام.

والرسالتان معاً تتضمنان التشجيع على مواصلة الجهاد حفظاً للبلاد من الدخلاء، ومن المهم أن نشير الى ما ورد أواخر الخطاب السليماني للأمير الباقري : «... ويصلك الطابع الذي بعثت عليه وعلى الوصف الذي أشرت إليه في كتابك».

لقد ظلت الصلات بين الأمبراطورية المغربية وبين بلاد السودان على نحو ما كانت عليه : حيث نجد المساجد تردد أيام الجمع دائماً اسم العاهل المغربي تعبيراً عن الولاء لسلطان المغرب كما نجد المناطق تتصيد فرص الأعياد، وفرص تربع الملوك على كرسي الحكم لترحل في اتجاه الشمال لتقديم التهاني للعاهل المغربي.

أما مع شرق افريقيا فإن الذي يهمنا في هذا الفصل الموجز هو الحديث عن مسارّ الدعوة المهدية خارج السودان وخاصة ببلاد المغرب الأقصى.

إن مهدى السودان لم يقتصر على اتصالاته مع أقاليم بلاد السودان الشرقي ولكنه حاول أن يربط له علاقات مع المغرب عن طريق بعض الأتباع ممّن صادفتهم ظروفهم يتعاطون التجارة هناك على ما يفهم من الرسالة التي رفعها المهدي للمغرب بتاريخ 5 رجب 1302=20 أبريل 1885.

الاتفاقيات المغربية المتعددة الأطراف

قامت المملكة المغربية منذ وقت بعيد بمادرات تعتبر في نظرنا من المبادرات الرائدة في تاريخ العلاقات الدولية، ويتعلّق الأمر بإبرام اتفاقياتٍ متعددة الأطراف تشمل أكثر من جهةٍ

ولابد أن نشير هنا الى بعض الحالات من التي قدمنا الحديث عنها في تاريخ الأمس.

وإذا ما انتقلنا الى التاريخ الحديث أي أواسط القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فسنشهد طائفة عن الاتفاقيات المتعددة الأطراف...

وهكذا كانت اتفاقية المجلس الصحي الدولي 1256=1840، واتفاقية منار أشقار 1282=1865 واتفاقية مدريد 1297=1888، واتفاقية الجزيرة الخضراء 1323=1906 [1].

العلاقات المغربية
بدول أمريكا الوسطى والجنوبية

لم تقتصر علاقات المغرب في القارة الأمريكية على شمال امريكا ولكنها تجاوزتها أيضا الى الدول التي تقع سواء في وسط القارة أو جنوبها ممن يتكلم أصحابها باللاتينية...

وهكذا فمن أمريكا الوسطى نجد الحديث عن آثار علاقتنا مع المكسيك (Mexique) وگواتيمالا (Guatimala) وكوسطاريكا (Costa Rica)...

أما عن دول أمريكا الجنوبية فإننا نلاحظ أن للمغرب علاقات مع ڤينزويلا (Venezuela) والبرازيل (Bresil) وبوليڤيا (Bolivie) وباراگواي (Paraguay) والأرجنتين (Argentine) وأوروگوي (Uruguay).

والى جانب اتصالات المملكة المغربية بهاته الدول نشير الى الاتصال بجزيرة هايتي (Haiti)، ونذكر على الخصوص صدى جزيرة كوبا في المملكة المغربية، أواسط خمسينات القرن التاسع عشر أيام السلطان مولاي عبد الرحمن (1853-56) أثنا حروب القرم بين تركيا وروسيا!

1) يراجع التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج. 7، ج. 9.

(1)

من الجمهورية الفنزويلية السلام على كل من يقف على هذا بلما وصلنا تكون منبعث
المحاسب بكثرة [illegible] البيع والشراء بين دولة فنزويلا العظيمة ودولة مراكشة الشريفة
عينا السيد [illegible] ابن ابيم الكوميرسيو قنصول لدولتنا العظيمة بطنجة لمعرفته بذلك
وسميناه بهذا الكتاب ثم انا نطلب من الحضرة الشريفة العالية بالله ان تلقاه بالقبول
وتعرف به ولاتنسا ليستعين على كل الامور المحررة الفا ذرنية ونشهد بذلك بهذا الكتاب خطي
وطبع كما هي العادة بخط يدنا وبخط وزير الامور البرانية وطبع بكركس 30 إينايرو
عام 1884 الختم الجمهوري ثبت / اخواه برقوسكو وزير الامور البرانية رفايل سيسبس

(2)

نعم بلآن قد وقع تبديل عظيم تبين من
الجمهور الاقلاو بعد تبديل المذكور الوزير للأمور البرانية متاع الحكم الجديد
مراسم العزة النائبة الآن عن السلطان هنالك لوزير الامور البرانية لدى حضرته
الشريفة مولى الحسن بالرسالة الصاحبة التي اطلب منكم انا ان تقصرها مقصودها
الواجب بالرفع إلى عالي مقام سلطانكم خباء هذا الواقع والمطلوب معوان يتوجب
الحكم الرصيلي الجديد الذي يريد مراعيه ملاطات محبة مع هذه الايالة؛ فلم ارتب
حضرته الشريفة ستساعد بهذا المطلوب والتمس منكم ان تستلم لي بالاجابة من حكم
الدولة الشريفة لكي اوجه بها إلى دولة البرازل وعلى المحبة والسلام وتاريخ ثم بينه
سنة 1890 / الموافق 18 / جمادى الاولى سنة 1307 /
النائب عن دولة برازيل
... انسل كلاص

(3)

السوال عنكم رطلب الله تكونوا بخير وعافية وبعد نجعل في علم جنابكم ان حضرة وزير الامور
البرانية أخبرنا بان دول الريبوبليكات الثلاثة المكسيكية والكواتيمالية والارخنطينية
اتفقت مع دولة إسبانيا على ان النواب الصبنولية يحمون رعيتها واخبر اضعهم
بهذه الايالة وعلى المحبة والسلام في 30 ابريل سنة 1890 / 10 رمضان 1307
المخطط المفوض لحضرة سلطان إسبانيا في الحضرة الشريفة
فرانسيسكو رافايل فيكيرا

1 - رسالة من الرئيس الفينيزويلي، حررت بكاركاس بتاريخ 30 يناير 1884.
2 - خطاب من قنصل دولة البرازيل بطنجة كلاص إلى النائب السيد محمد بركاش بتاريخ 10 يناير 1890.
3 - رسالة من نائب الجمهوريات الثلاث : المكسيك - والكواتيمالا والأرجنتين فرانسيسكو رافاييل فيكيرا بتاريخ 30 أبريل 1890 .

ويتعلق الأمر بالوفادة التي وردت عن روسيا لجس النبض حول موقف المغرب من تلك الحروب حيث وجدنا أن الولايات المتحدة تسعى لجر المغرب الى الكتلة «المحايدة»... وحيث قرأنا - وهذا هو المقصود - عن وجود مخطط أمريكي للضغط على اسبانيا حتى ترجع مليلية الى المغرب !

وفي أثناء التسعينات من القرن التاسع عشر كذلك وجدنا أن المملكة المغربية تتابع تطور الأحوال بجزيرة كوبا في أعقاب الثورة العارمة التي شبت في الجزيرة ضد الإسبان وقد كان مرد ذلك التتبع الى أن الخارجية المغربية كانت مهتمة بما تتعرض له جارتها اسبانيا من تحولات...

علاقات المملكة المغربية بمملكة (حيدر آباد)

لم تقتصر صلات المغرب في القرون الماضية على القارة الإفريقية والأروبية والأمريكية ولكنها تعدّت ذلك الى بلاد السند والهند...

ونحن نتحدّث هنا عن أيام الملك الحسن الأول 1290-1311= 1873-1894 الذي سجل عهده تعرف المغرب على معظم الدول التي عرفها المعمور آنذاك نجد رسالةً من حيدر آباد (الدكن Dec-an) صانها الله تعالى عن الفتن والمحن) بعث محمد نظام الدين حسن عن بلاط حيدر آباد الى سلطان المغرب مولاي الحسن رسالة بتاريخ 4 جمادى الثانية 1315=31 أكتوبر 1897 كلّها عاطفة وود[1].

1)ما يزال المسلمون يذكرون الى الآن في مدينة حيدر آباد هذه الصلات على ما وقفت عليه هناك في زيارته الأخيرة للمدينة في شتنبر 1998.

الباب الثامن : القسم الثاني

العهد الجديد

ملحمة الأربع والأربعين سنة لاسترجاع الاستقلال

المغرب في المنظمات الدولية :

1) منظمة الأمم المتحدة
2) جامعة الدول العربية
3) اتحاد دول المغرب العربي
4) منظمة الوحدة الإفريقية
5) حركة عدم الانحياز
6) منظمة المؤتمر الإسلامي

العلاقات الثنائية مع :

1) الدول العربية والإسلامية
2) دول افريقيا
3) الدول الأروبية
4) أمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية
5) آسيا واستراليا والأوقيانوس

ملحمة الأربع والأربعين سنة لاسترجاع الاستقلال

لقد دشنت الملحمة المغربية من أجل استرجاع الاستقلال فور عقد الحماية يوم السبت 11 ربيع الثاني 1330 = 30 مارس 1912 عندما شبت الثورة بمدينة فاس ابتداء من يوم الأربعاء 29 ربيع الثاني = 17 أبريل الموالي وقد عرف التاريخ هذه الأيام بالأيام الدامية[1]...

وعبثا ما كانت تقوم به الحماية من «جهود» لإظهار «حسن النية» وأن المغرب سائر في طريق التقدم، فإن الكثرة من المغاربة أخذوا يشعرون بأن الحماية لا تعني ما كانوا يتوقعون نظراً لما يلاحظونه من تجاوزات وخروقات !!

ولم تختلف منطقة الشمال التي خضعت لاسبانيا عن منطقة الجنوب الأمر الذي تفسره ثورة الريف التي عرفت انطلاقتها الجادّة شروق يوم الأربعاء 8 شوال 1339 = 15 يونيه 1921 في معركة سيدي ابراهيم التي قادت الى نصر انوال [2].

---

1) عبد الهادي التازي : الحماية الفرنسية بدءها نهايتها، طبعة دار الرشاد الحديثة - البيضاء 1401=1980، ص. 7 ومابعدها.

2) أحمد البوعياشي، حرب الريف التحريرية ومراحل النضال، نشر عبد السلام جسوس وسوشبريس، مطبعة دار أمل 1394=1974، ج. 2، ص. 85.

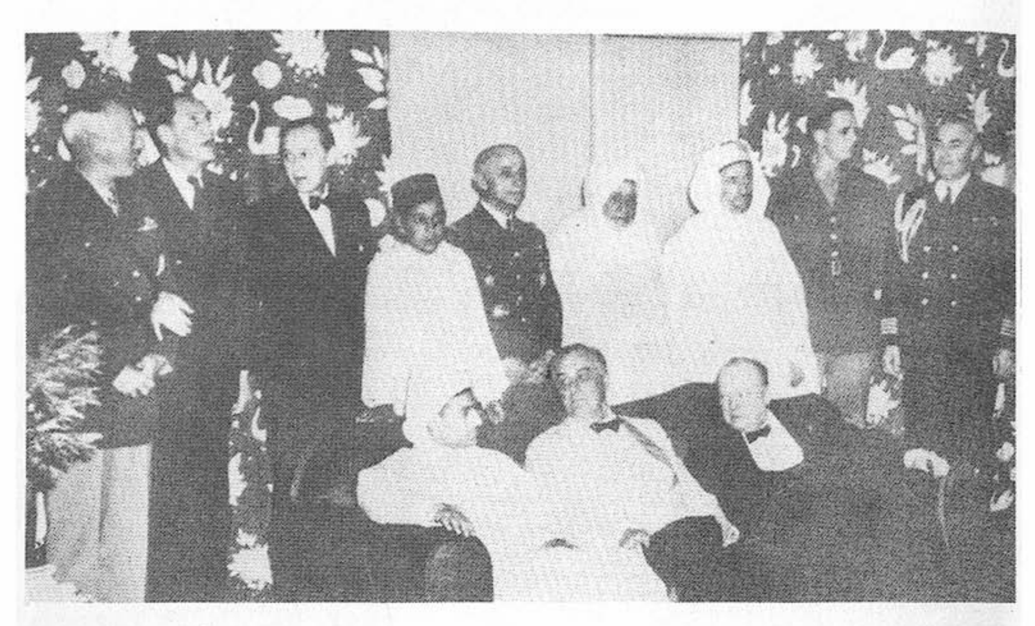
واستمرت المواجهات المسلحة – أحيانا – في المدينة والجبل والصحراء الى الثلاثينات عندما عوضتها الكتلة الوطنية بأقلامها اللاذعة واحتجاجاتها المتوالية ومظاهراتها الدامية حيث أصبح رجال المقاومة ضيوفاً دائمين على السجون والمعتقلات في شتى جهات المغرب النائية...

وكان إسهام المغرب برجاله في الحرب العظمى الأولى والثانية وكأنه لا يعني أنه يستحق بصيصاً من الحرية ومساواة في الحقوق حتى أتاحت الفرصة أثناء الحرب العالمية عام 1943 في الدار البيضاء باجتماع الرئيس الأمريكي روزفيلت والوزير البريطاني الأول تشيرشيل بسلطان المغرب سيدي محمد بن يوسف وولي عهده الأمير مولاي الحسن عندها فقط عرف العالم أكثر عن هذا المغرب «المحمي» والمحروم في نفس الوقت !!

ولم يكن غريباً علينا أن نسمع عن عريضة يقدمها حزب الاستقلال يوم 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال ! وهنا توالت المظاهرات وتضاعفت الاصطدامات التي أعقبتها تصريحات السلطان المذكور بطنجة في أبريل 1947. تلك التصريحات التي أربكت رجال الحماية الذي أخذو يعتمدون على "المسكنات" التي كانت تتجلى في شتى الأشكال. إن المغاربة أخذوا يشعرون بالدّونية على مختلف الصُّعد... وقد زاد في متاعب الحماية اعتمادها على بعض المقيمين العامّين العسكريين الذين لم يكونوا يعرفون عن المغرب إلا شيئاً واحداً وهو أنه إنما ولد مع بسط الحماية !!

وهنا نسجل لقطة رائعة من تاريخ هذا المغرب عندما وقف ملكاً وشعبا في وجه أولئك العسكريين الذين لم يترددوا يوم 9 ذي الحجة 1372 (ليلة عيد الأضحى!) = 20 غشت 1953 في خلع سلطان المغرب ونفيه مع أسرته الى مجاهل الدنيا والرمي بالزعماء والوطنيين في غياهب السجون !

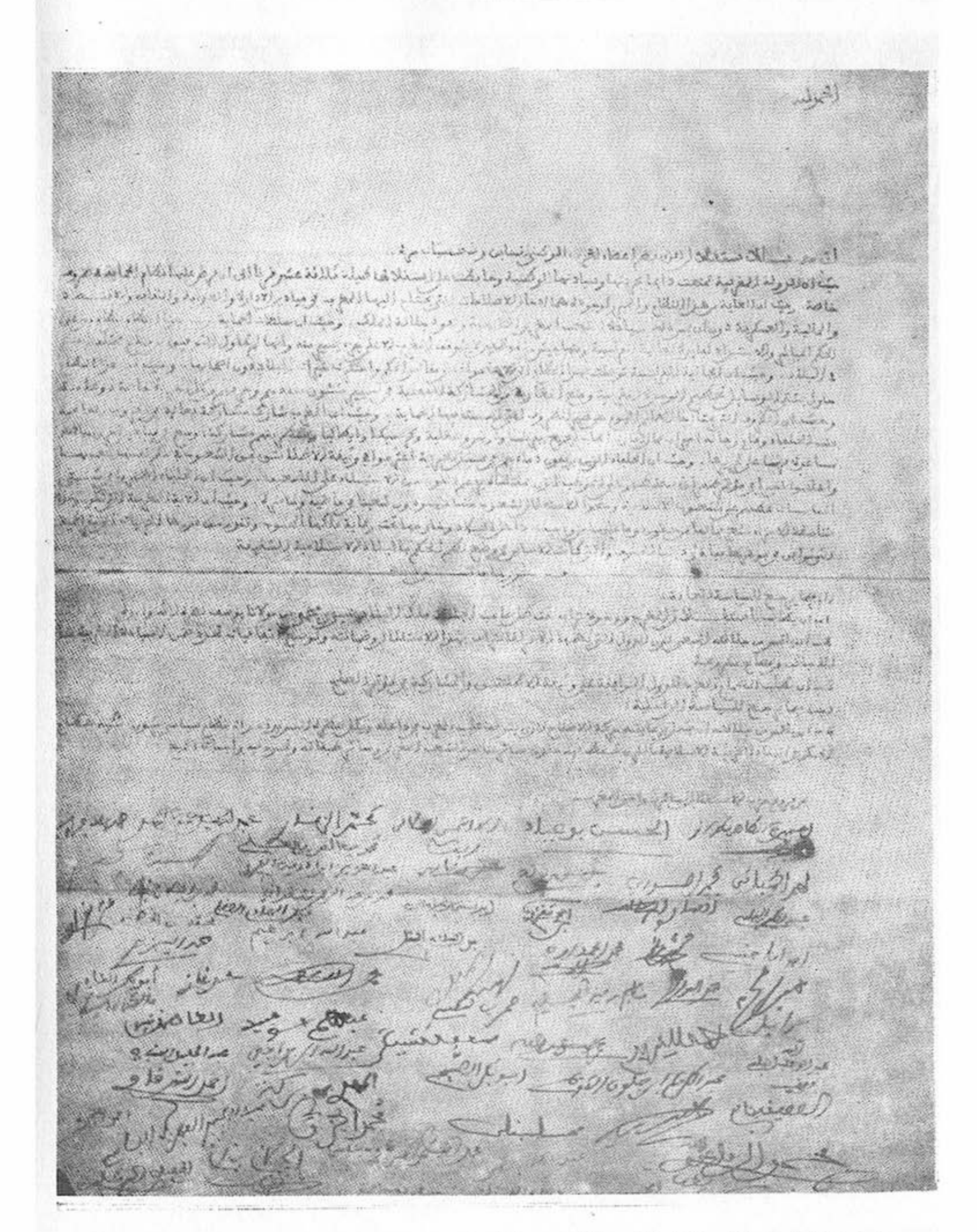
ومن هنا تحركت المقاومة المسلحة الضارية تتعقب مصالح الاستعمار، وقد تحرك في الوقت ذاته الضمير العالمي من أعلى منبر الأمم المتحدة والجامعة العربية والبلاد الإسلامية.



الرئيس روزفيلت والوزير تشرشبل مع جلالة الملك سيدي محمد بن يوسف وابنه سمو ولي العهد الأمير مولاي الحسن أثناء اللقاء التاريخي بأنفا (الدار البيضاء) يوم 22 يناير 1943 الجمعة الموافق 15 محرم 1362



جلالة الملك سيدي محمد بن يوسف يستقبل السلك الدبلوماسي بطنجة



الوثيقة التاريخية للمطالبة بالاستقلال تحت ظلّ صاحب الجلالة ملك البلاد سيدي محمد بن يوسف
وكانت بتاريخ 11 يناير 1944



مهما حاول الكاتب أن يصور شعور المغربي الذي عاش زوال يوم 20 غشت 1953 مع أصداء إخراج الملك سيدي محمد بن يوسف من قصره، وإبعاده عن عرشه ونفيه إلى مجاهل الدنيا...مهما حاول أن يفعل فسيظل بعيدا عن الحقيقة. ذقنا الآلام في شتى ضروبها عندما كنا نتعرض للاعتقال والسجن، لكن ما شعرنا به يوم 20غشت 1953 كان أعتى وأقسى من كل ما تحملناه، الكل باكٍ واجم، والكل شاكٍ ناقم...

وقد ألهبت هذه الصورة شعور المغاربة أجمعين، كانت الصورة الأولى التي ظهرت في (باري ماطش) في أعقاب الحدث الحزين! وهي ناطقة بما كان يتحلى به العاهل العظيم من إيثار وتضحية وإباء...



كنت حاضرا يوم أخذت هذه الصورة لجلالة الملك محمد الخامس صباح الإثنين 7 نونبر 1955=21 ربيع الأول 1375 في قصر سان جيرمان آن لي وهو يستقبل وفد علماء جامعة القرويين الذي ورد على باريز للسلام عليه



عودة جلالة الملك محمد الخامس إلى الرباط يوم 16 نونبر 1955

لقد وجدت أصداء هذه الملحمة في كل الأرشيفات الأجنبية التي زرتها في مختلف القارات وبشتى اللغات ومزودة بالصور والخرائط والتقارير... بما في ذلك أرشيف (الكي دروسي) الذي كانت تنهال عليه من سائر سفاراته بالخارج ما يعبر عن الاهتمام الكبير الذي يوليه الرأي العالمي للنيل من أمة كانت الى الأمس القريب تساعد الأمم الأخرى على تحرير بلادها من نير الاستعمار بل وتعمل على مساعدة تلك الأمم ماديا لبناء استقلالها !!

أما في داخل المغرب فقد أصبح المواطنون جميعاً سجناء، وتعطلت المساجد، وألغيت سائر مظاهر الأفراح وأصبحت الكلمة للمسدسات التي تحصد كل من سولت له نفسه التعاون مع الاستعمار. عندها أجبرت فرنسا جبراً على فتح المفاوضات مع رجال الحركة الوطنية من أجل إرجاع سيد البلاد الى عرشه !!

وهكذا عاش المغاربة يوم الأربعاء 30 ربيع الثاني 1375=16 نونبر 1955 عاشوا يوما تاريخيا مشهوداً سجل عودة الملك محمد الخامس بعد غياب استمر أكثر من سنتين كاملتين !! وعادت المياه الى مجاريها.

وقد استبشر المغاربة خيراً واتجهوا نحو تحرير بقية المواقع التي كان الاستعمار توزعها في غيبة عن أصحابها سواء في الشمال أو الجنوب.

إنها ملحمة تحتاج في تدوينها الى مجلدات كما تحتاج إلى الأفلام والمسلسلات وتحتاج الى الحديث عن آثارها ونتائجها ليس في المغرب فحسب ولكن في سائر القارة الإفريقية بل وسائر الشعوب المقهورة التي انتفضت لتتخلص من القيود والأغلال[1]...

1) د. التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج. 10، ص. 191-230.

المغرب في الأمم المتحدة

كان يوم 14 رمضان 1375=26 أبريل 1956 يوماً مشهوداً عندما سلم الملك محمد الخامس المرسوم الملكي إلى الأستاذ الحاج أحمد بلافريج يعينه وزيراً للشؤون الخارجية حيث أعيد الاعتبار للتاريخ الدبلوماسي للمغرب بعد غياب غير طبيعي !

ومن هنا وجدنا الوفد المغربي يأخذ مقعده في منظمة الأمم المتحدة برئاسة السيد بلافريج يوم 6 نونبر 1956. ولم يلبث ولي العهد الأمير مولاي الحسن أن قام بزيارة للمنتظم الدولي يوم 26 نونبر 1956... ثم كانت الزيارة التي قام بها الملك محمد الخامس لنيويورك حيث ألقى يوم 9 دجنبر 1957 خطابه التاريخي أمام المنتظم الدولي الذي كان يسمع بالعاهل عندما كان بالمنفى !

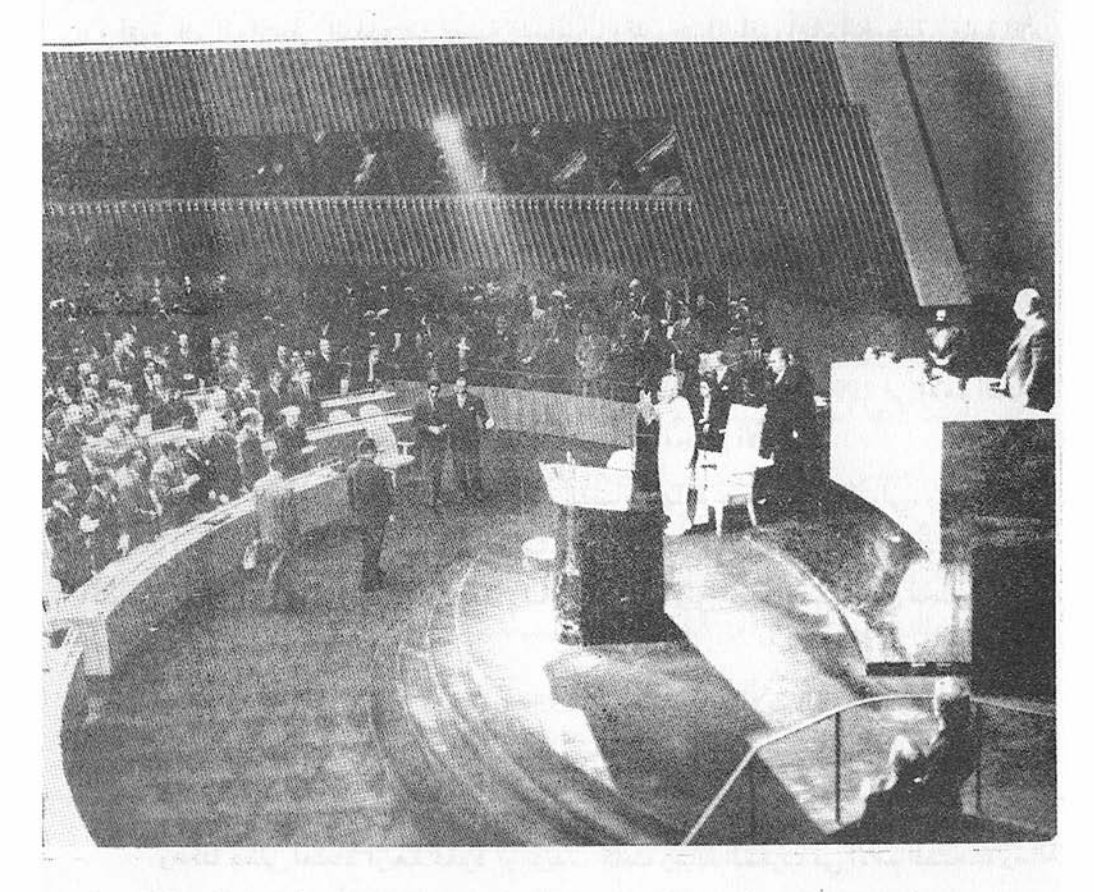
كان خطابا هاماً لم ينس فيه الدول الإفريقية التي ما زالت محرومة من حريتها واستقلالها ودعا الى العمل من أجل استقلال الجزائر التي نعتها بالشقيقة.

وقد شاهدنا الملك محمد الخامس يكلف ولي عهده بمهمة رئاسة وفد المغرب في الدورة الخامسة عشرة حيث ألقى خطاباً يوم 4 أكتوبر 1960. تناول فيه عدداً من القضايا التي كانت تهمّ المنتظم الدّولي.

وعندما تبوأ الملك الحسن الثاني كرسي المملكة بعد وفاة والده العظيم (الأحد 10 رمضان 1380=26 يناير 1961)، قام في 20 مارس 1963 بزيارة لمقر الأمم المتحدة ليهدي اللوحة التذكارية التي أثث بها مدخل المبنى. وكان أعلاها يحمل الآية القرآنية «**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا**». وبعدها تأتي ديباجة ميثاق الأمم المتحدة.

وهكذا أخذ المغرب طريقه الجاد في المنتظم الدولي وكان إسهامه رصيداً هائلاً وحافلا بالصور المعبّرة موزعاً - حسب العناوين - في مختلف أروقة الأمم المتحدة، عدد هام من الوثائق التي تجلت فيها بعض المواقف المنسية اليوم !!

وقد وجدنا الملك الحسن الثاني يلقي في الأمم المتحدة يوم الأربعاء 14 يبراير 1967 خطابه جواباً على كلمة السيد رئيس الكتلة الإفريقية الأسيوية وكان خطاباً جريّئاً ونقداً ذاتياً صادقاً.



وقفة تاريخية للعالم أجمع تكريماً لجلالة الملك محمد الخامس الذي كان يمثل أمجاد القرون الحافلة للملكة المغربية... بعد عودته من المنفى واسترجاع الاستقلال يقف يوم 9 دجنبر 1957 ليقدم هذا المغرب العظيم إلى الأمم المتحدة التي تعرف جيدا عن ماضيه وعن إسهامه المتميز في صنع تاريخ العالم...

وفي إطار مساعي المغرب الحميدة قام العاهل في أكتوبر من نفس السنة 1982 صحبة لجنة السبعة المنبثقة عن قمة فاس العربية (شتنبر 1982)، حيث ألقى خطاباً في الأمم المتحدة اعتبر من أقوى المرافعات في الدفاع عن قضية فلسطين. وقد وجدناه يلقي أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم 17 شتنبر 1983 خطاباً تناول فيه ملفين اثنين : الأول يتعلق بالشرق الأوسط. والملف الثاني يتعلق بافريقيا... كان الخطاب وثيقة قانونية قدمت للأمم المتحدة حول ماذا يجب اتخاذه إزاء هذين الملفين الساخنين لاسيما وأنه كان يتكلم كرئيس للقمة العربية وكمعنيٍّ بمشاكل القارة الإفريقية... وكان منها «مشكل» الصحراء الغربية التيكان المغرب استرجعها من إسبانيا على نحو ما استرجع طرفاية وإيفني...

وقد حل الملك الحسن الثاني بنيويورك في خريف 1991 حيث قام بنشاط كثيف حول القضايا العالقة سواء بالنسبة للمشرق أو المغرب، وقد وجدناه أواخر عام 1992 في الأمم المتحدة يحضر اجتماع رؤساء دول وحكومات البلدان الأعضاء في مجلس الأمن.

ولقد أثار الملك في هذا الخطاب عدداً من القضايا الهامة على الصعيد الدولي. وتأتي مناسبة احتفال الأمم المتحدة بمرور خمسين عاماً على انشائها فنجده في صدر الحاضرين يوم 24 أكتوبر 1995، وقد توعكت صحته في هذه الأثناء فأناب عنه ولي عهده الأمير سيدي محمد في إلقاء الخطاب.

وتعقد دورة استثنائية يوم 25 يونيه 1997 للجمعية العامة للأمم المتحدة، وكانت مخصصة لقضايا البيئة.. ونظراً للاهتمام الذي يوليه المغرب للبيئة، عهد الملك بالنيابة عنه الى ولي عهده سيدي محمد الذي ألقى خطاباً حول الموضوع.

وهكذا فعلى امتداد أربعة عقود أو تزيد.. كانت رسالة المغرب في الأمم المتحدة رسالة واضحة، فاعلة تعمل من أجل بناء صرح السلام واحترام القانون وتكريم الإنسان[1].

مع جامعة الدول العربية

وقد انضم المغرب المستقل رسمياً الى الجامعة عضواً عاملاً في سائر فروعها منذ عام 1958 ورأينا المملكة توجه الدعوة لمجلس الجامعة للانعقاد بالدار البيضاء في صفر 1379= شتنبر 1959.

1) د. التازي: الملك الحسن الثاني في الأمم المتحدة، 1956-1997، بحث قدم لأكاديمية المملكة المغربية بمبناها الجديد في دورتها الربيعية لسنة 2000 محرم 1421 = أبريل 2000.

ومن هنا عاد الاتصال المباشر للمغرب بالمشرق حيث قام الملك محمد الخامس في 8 رجب 1379=7 يناير 1960 بزيارة للديار المشرقية وهكذا زار (مصر وسوريا، المملكة العربية السعودية، المملكة الأردنية الهاشمية والجمهورية اللبنانية) من غير أن ينسى زيارة مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في ليرموك وفي أريحا.

وبعد وفاة الملك محمد الخامس لبى الملك الحسن الثاني الدعوة لحضور القمة الأولى للدول العربية في القاهرة أواخر شعبان 1383=17 يناير 1964 حيث ظهرت شخصيته بارزة. ومن هنا انطلق المغرب في مسيرته العربية، فلم يغب عن مؤتمر من المؤتمرات العربية حيث وجدناه يشارك في القمة الثانية بالاسكندرية، ويقوم لعقد القمة الثالثة بالدار البيضاء، عام 1965.

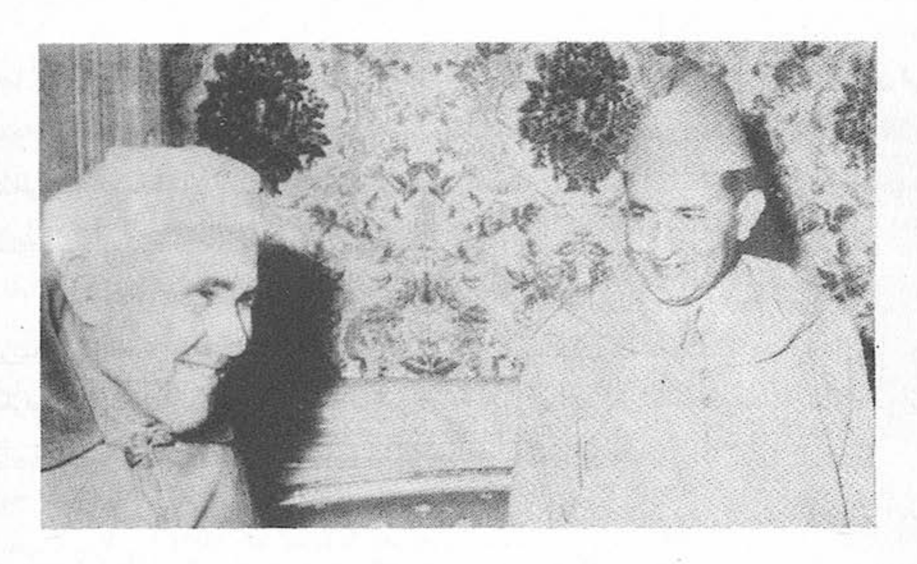
وكان المغرب حاضراً في مؤتمر القمة الرابع الذي انعقد بالخرطوم في غشت 1967 إثر الحرب التي احتلت فيها اسرائيل سيناء وغزة والضفة الغربية والجولان والقدس...

ثم احتضن المغرب المؤتمر الخامس بالرباط أواخر عام 1969. ولابد أن نذكّر هنا بإرسال المغرب لتجريدة من القوات الملكية الى الجبهة السورية لدعم دفاعها في الجولان (فبراير 1973)، كما نذكر بإرسال الجيش المغربي الى الجبهة المصرية بسيناء وقناة السويس. وقد شارك المغرب برئاسة الملك الحسن الثاني في القمة السادسة المنعقدة بالجزائر أواخر نونبر 1973.

واحتضنت المملكة المغربية مرة ثالثة مؤتمر القمة السابع في أكتوبر 1974، كما شارك المغرب في القمة الثامنة بالقاهرة في أكتوبر 1976، وقد شارك المغرب أيضا في مؤتمر بغداد عند انعقاد القمة التاسعة في نونبر 1978. ولما انعقدت القمة العاشرة بتونس في نونبر 1979 كان المغرب حاضراً على نحو ما كان عندما انعقد مؤتمر القمة الحادي عشر بعمان في نونبر 1980.

ومن جديد احتضنت المملكة المغربية بفاس مؤتمر القمة العربي الثاني عشر في دورته الأولى نونبر 1981 ودورته المستأنفة بفاس كذلك شتنبر 1982 التي كان من قراراتها تكوين لجنة السبعة التي عهد إليه فيها بالاتصال مع الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن الدولي لمتابعة القرارات المتعلقة بالصّراع العربي الإسرائيلي على ما سبقت الإشارة إليه عند الحديث عن (المغرب في الأمم المتحدة).

ثم كان المؤتمر الرابع عشر غير العادي بالدار البيضاء عام 1985... وقد حضرت المملكة المغربية في عمّان القمة العربية الطارئة ممثلة بولي العهد سيدي محمد. وحضر الملك الحسن الثاني قمة طارئة ثانية بالجزائر في يونيه 1988 في أعقاب انتفاضة الشعب الفلسطيني.



تسجيل مصور للمقابلة التاريخية التي تمت في يوم 13 يناير 1960 بقصر القبة بالقاهرة بين جلالة المغفور له محمد الخامس، والبطل العظيم محمد بن عبد الكريم الخطابي.



جلالة الملك الحسن الثاني في أول مؤتمر قمة عربي بالقاهرة 1964.

وقد دعا الملك الحسن الثاني لقمة عربية طارئة جديدة بالدار البيضاء يوم 23 مايه 1989 تميزت بعودة جمهورية مصر العربية الى حظيرة الجامعة العربية والتئام الصف العربي...

وقد شارك المغرب في قمة جامعة الدول العربية بالقاهرة عام 1991 بعد الأزمة العراقية الكويتية التي أقضت مضاجع الأسرة العربية كلّها من الفرات الى المحيط !! ومنذ ذلك التاريخ وجامعة الدول العربية تعمل على ترميم اليت !!

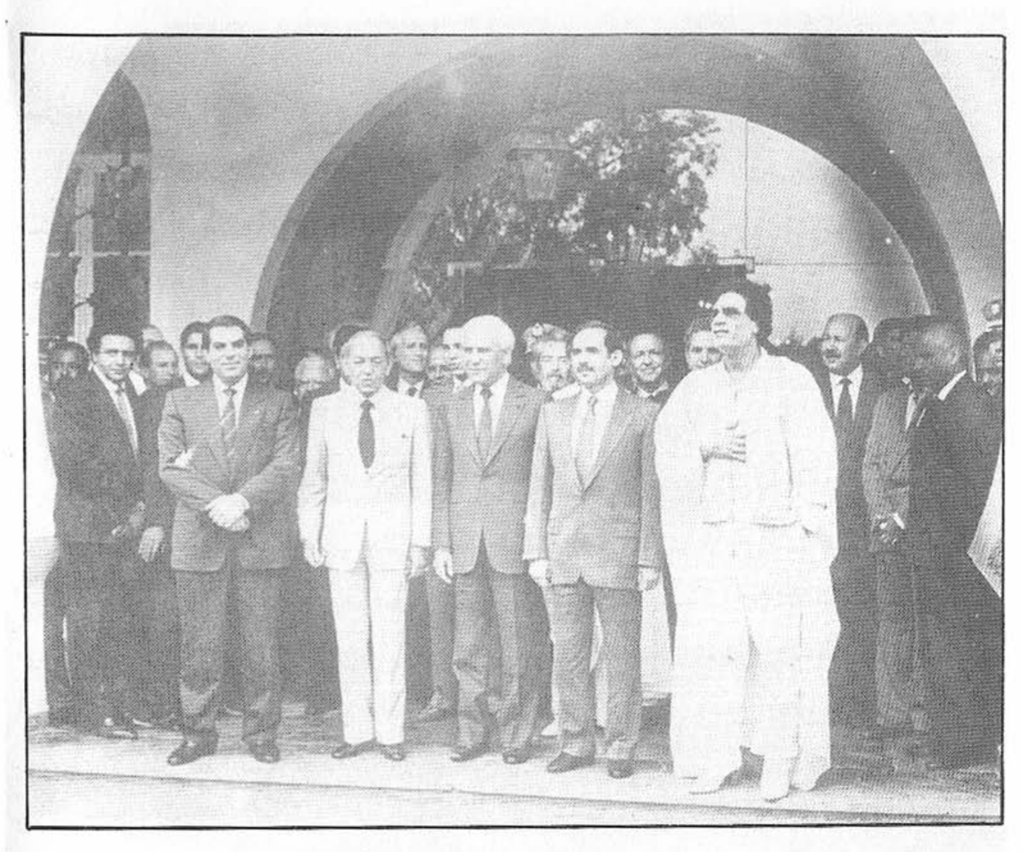
اتحاد المغرب العربي

ظلت وحدة المغرب العربي حلماً يداعب زعماء المغرب منذ الأربعينات عندما كانت بلاد المغرب تعاني من الهيمنة الأجنبية، وبعد استرجاع المغرب لاستقلاله، تحدث الملك محمد الخامس يوم الأربعاء 28 رمضان 13777 = 16 أبريل 1958 عن هذا الاتحاد المنشود، بل إنه قبل هذا لم يتردد أمام ممثلي الصحافة يوم الخميس 14 شعبان 6 مارس 1958 أن أعرب عن الأمل في أن يرى رابطة بين هذه الأقطار نظراً لما يجمعها من أواصر تتمثل في الواقع الجغرافي والثقافي والروحي والاقتصادي، لكنه لم يكتب لهذه الأمنية أن ترى النور أيام الملك المذكور.

وبعد الحوادث المؤسفة التي عرفتها الحدود المغربية الجزائرية عام 1963 هنا تنبه القادة الى ضرورة إرساء قواعد لتلك الرابطة وكان اجتماع تونس عام 1964 الذي أسفر عن إنشاء اللجنة الاستشارية الدائمة لوزراء الاقتصاد في الدول المعنية.

ومن هنا عشنا مع عدد من المؤتمرات والمحاولات والخطابات والزيارات المتبادلة كما شاهدنا محاولة توسيع الإطار ليشمل طرابلس وموريطانيا.

وبالرغم من مرحلة فتورٍ عاشتها تلك الأماني، فقد ابتهجت الجماهير المغربية بانفتاح آفاق جديدة لبناء مغرب قوي متكامل، وهكذا شاهدنا افتتاح مؤتمر القمة التأسيسي لاتحاد دول المغرب العربي بقصر البلدية بمراكش في يوم 16 يبراير 1989=9 رجب 1409 حيث انتهى الاجتماع الى توقيع معاهدة اتحاد المغرب العربي من تسع عشرة مادة وقعها الخمسة : الحسن الثاني، الشادلي بن جديد، زين العابدين بن علي، معمر القذافي، معاوية ولد سيدي أحمد الطايع.



صورة تاريخية معبّرة عنْ الأماني في مواصلة بناء صرح المغرب العربي

مع منظمة الوحدة الإفريقية

ظل المغرب يعتز دائما بانتمائه الى افريقيا.. ومن هنا رأينا الملك محمد الخامس - وقد استرجعت البلاد استقلالها - يلبي نداء الرئيس باتريس لومومبا ويوفد الى الكونغو فرقة من الجيش المغربي بتعاون مع الأمم المتحدة - لبسط الأمن هناك.. وفي أعقاب هذا دعا المغرب الى مؤتمر تشارك فيه الدول الإفريقية المستقلة من أجل التخطيط لإفريقيا حرة. ومن ثم كان ميثاق الدار البيضاء يوليه 1961.

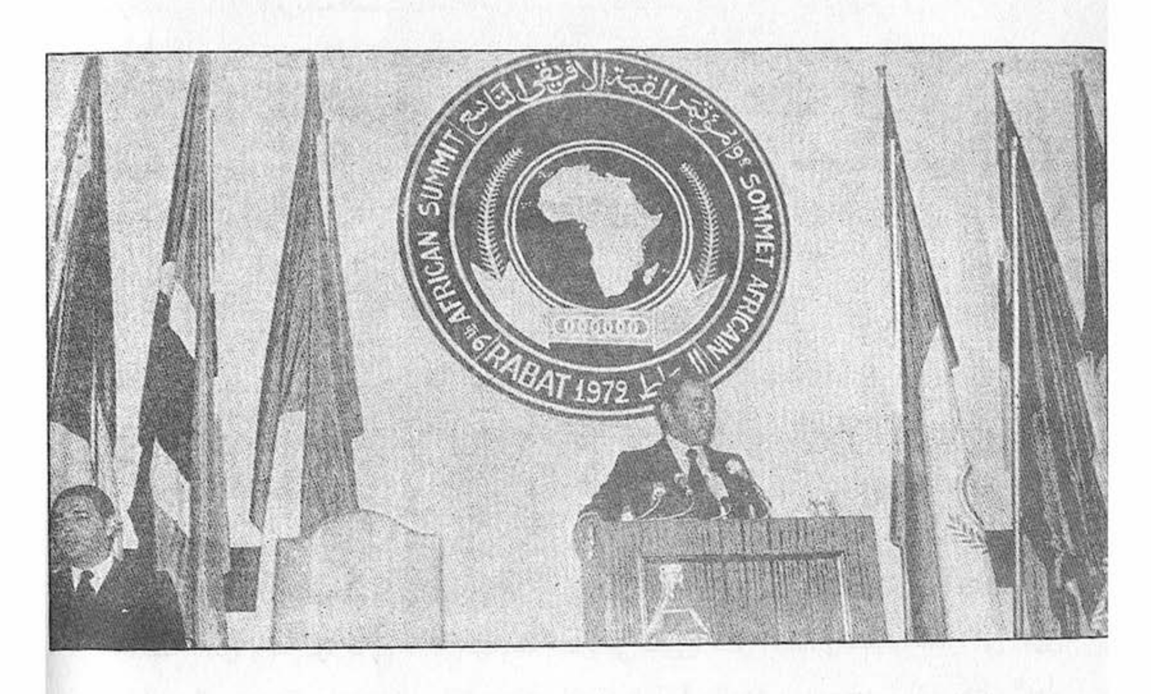
ولما ظهرت المحاولات الأخرى التي تدعو الى تكتلات إقليمية لم يكن هناك مانع عند المغرب من القيام بدوره الفاعل، ومن هنا حضر الملك الحسن الثاني في مؤتمر القمة الإفريقية الأول الذي دعت إليه منظمة الوحدة الإفريقية بالقاهرة في يوليه 1964 ومن هنا أخذ المغرب طريقه الى جانب إخوته الأفارقة في فحضر القمة الإفريقية الثانية في أكرا (غانة) أكتوبر 1965.

كما حضر القمة الثالثة في إيثيوبيا عام 1966، وحضر القمة الرابعة التي انعقدت سنة 1967 بجمهورية الكونغو الديموقراطية، وكذا في القمة الخامسة بالجزائر عام 1968، وفي السادسة بالكاميرون عام 1969، والسابعة عام 1970 بزامبيا، والثامنة عام 1971 بموريطانيا.

وقد احتضنت المملكة المغربية المؤتمر التاسع عام 1972... وكان المغرب حاضرا في القمة العاشرة بنيجيريا عام 1973، وفي القمة الحادية عشرة بالصومال عام 1974، والثانية عشرة في أوگاندا عام 1975، والثالثة عشرة بجزيرة موريس عام 1976، والرابعة عشرة بالكابون عام 1977، والخامسة عشرة بالخرطوم عام 1978 والسادسة عشرة في ليبيريا عام 1979، والسابعة عشرة في (فري طاون) سيراليون يوليه عام 1980 حيث تبعتها مباشرة مهمة ولي العهد سيدي محمد لدى بعض الدول الإفريقية: السينغال، غينيا، الكامرون، نيجيريا. وكانت أول مهمة سياسية يقوم بها ولي العهد وسنّه نحو ستّ عشرة سنة قبل أن يصبح الملك محمد السادس[1]

وقد حضر جلالة الملك الحسن الثاني القمة الثامنة عشرة التي انعقدت في نيروبي يونيه 1981 حيث أسفر الاجتماع عن تكوين لجنة متابعة لقضية الصحراء شارك الملك بنفسه في أعمالها في غشت 1981.

1) د. التازي، دفاعاً عن الوحدة الترابية للمملكة المغربية، طبعة أولى 1982، مطبعة أگدال، الرباط، طبعة ثانية، دار نشر المعرفة،الرباط 1420=1999 رقم الإيداع القانوني 1103=1999، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج. 10، ص. 237 وما بعدها رقم الإيداع القانوني 1986/25 مطابع فضالة، المحمدية.



منظمة الوحدة الإفريقية

وحضر المغرب القمة التاسعة عشرة المنعقدة في إيثيوبيا عام 1983، كما حضر القمة العشرين بأديس أبيبا 1984، وهذه هي القمة التي علق فيها المغرب نشاطه في منظمة الوحدة الإفريقية في انتظار أن يتغلب جانب الحكمة والتعقل تقول الرسالة الملكية إلا أن المغرب مع هذا وبحكم انتمائه الإفريقي سيبقى في خدمة إفريقيا...

ومن هنا نرى أن علاقاتنا بالدول الإفريقية استمرت - في غير إطار المنظمة - قائمة وحاضرة بكثافة وفي مختلف الحقول، وهكذا نجد الوفود المتبادلة، ونجد أن مؤتمرات القمة على الصُّعُد الأخرى تجمعنا بأخوتنا الأفارقة ونذكر على سبيل المثال القمة الإفريقية الفرنسية الخامسة عشرة التي انعقدت بالدار البيضاء في دجنبر 1988[1].

كما نذكر التجريدة العسكرية التي راحت للصومال في دجنبر 1992 وإقامة العلاقات الدبلوماسية مع جنوب افريقيا عام 1994. ونذكر القمة الإفريقية الأوروبية المنعقدة بالقاهرة في بداية أبريل 2000 التي حضرها الملك محمد السادس بعد وفاة والده الملك الحسن الثاني.

دول عدم الانحياز

قام المغرب بدور فعال من أجل تأسيس حركة عدم الانحياز انطلاقاً من إيمانه بجدوى العمل الذي لا يتأثر بالمعسكرين المتصارعين آنذاك : الشرقي والغربي.

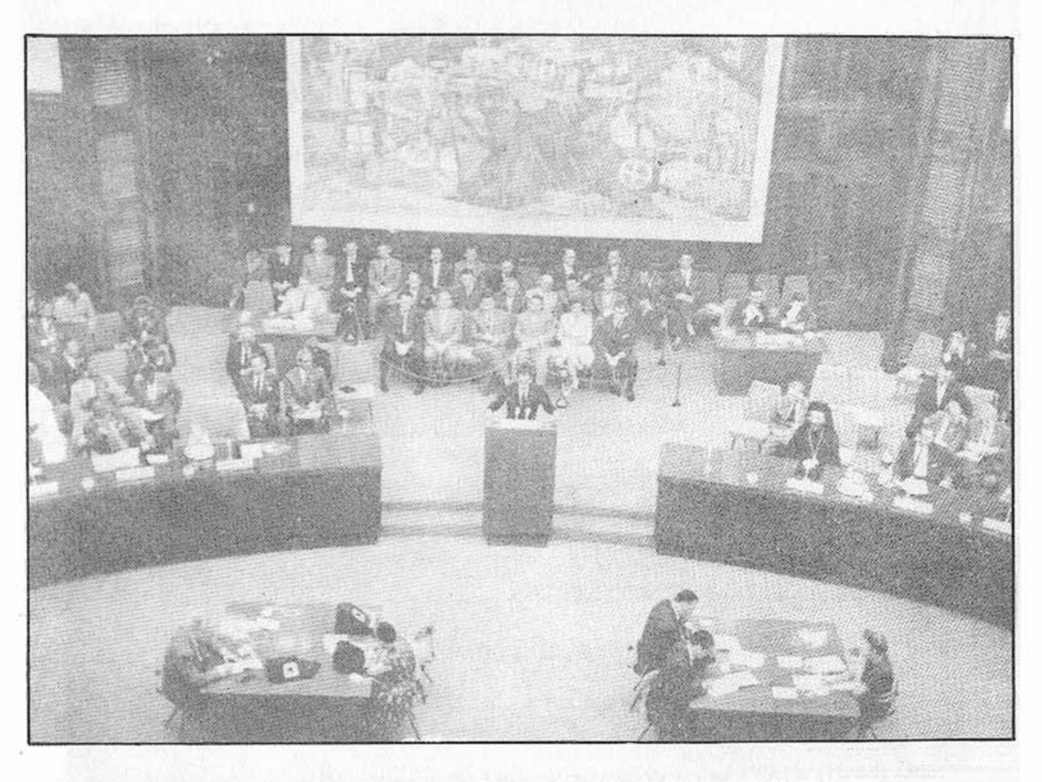
ومن هنا كان عضواً متميزاً في المؤتمر التاريخي الذي انعقد في بلغراد. شتنبر 1961، والذي حضره الملك الحسن الثاني الى جانب سبعة وعشرين من ملوك ورؤساء الدول والحكومات.

وقد ظلٌ إسهام الملك الشاب في هذا المؤتمر يقيم الدليل على تعلق المغرب بمبدأ عدم التبعية...

«... على أن عدم التبعية لا يعني - يقول الملك - أنٌ مبدأ عدم الانحياز يقتضي نكران جميع الأفكار الرشيدة البناءة المثمرة الآتية من أحد المعسكرين... لكن الاختيار ينبغي أن يرتكز على الموضوعية...».

وقد ظل المغرب حاضراً في مؤتمرات عدم الانحياز منذ ذلك التاريخ. ومن هنا وجدناه في القمة الثانية التي انعقدت بالقاهرة عام 1964، وفي القمة الثالثة التي انعقدت في لوساكا (زامبيا)

1) د. التازي، التاريخ الديبلوماسي للمغرب، ج. 10، ص. 283.



صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يلقي خطابه في مؤتمر بلغراد للدول عدم الانحياز

عام 1970، وفي القمة الرابعة بالجزائر 1973، وفي القمة الخامسة في كولومبو (سرى لانكا) عام 1976 وفي القمة السادسة في هافانا (كوبا) 1979، والسابعة في نيودلهي (الهند) عام 1983 حيث ترأس الوفد المغربي سمو ولي العهد.

وقد حضر المغرب المؤتمر الثامن الذي انعقد في هراري (زيمبابوي) 1986، والمؤتمر التاسع في بلغراد 1989، ثم المؤتمر العاشر في جاكارطا 1992 ثم الحادي عشر 1995 بكولومبيا، والثاني عشر 1998 في افريقيا الجنوبية...

منظمة المؤتمر الإسلامي

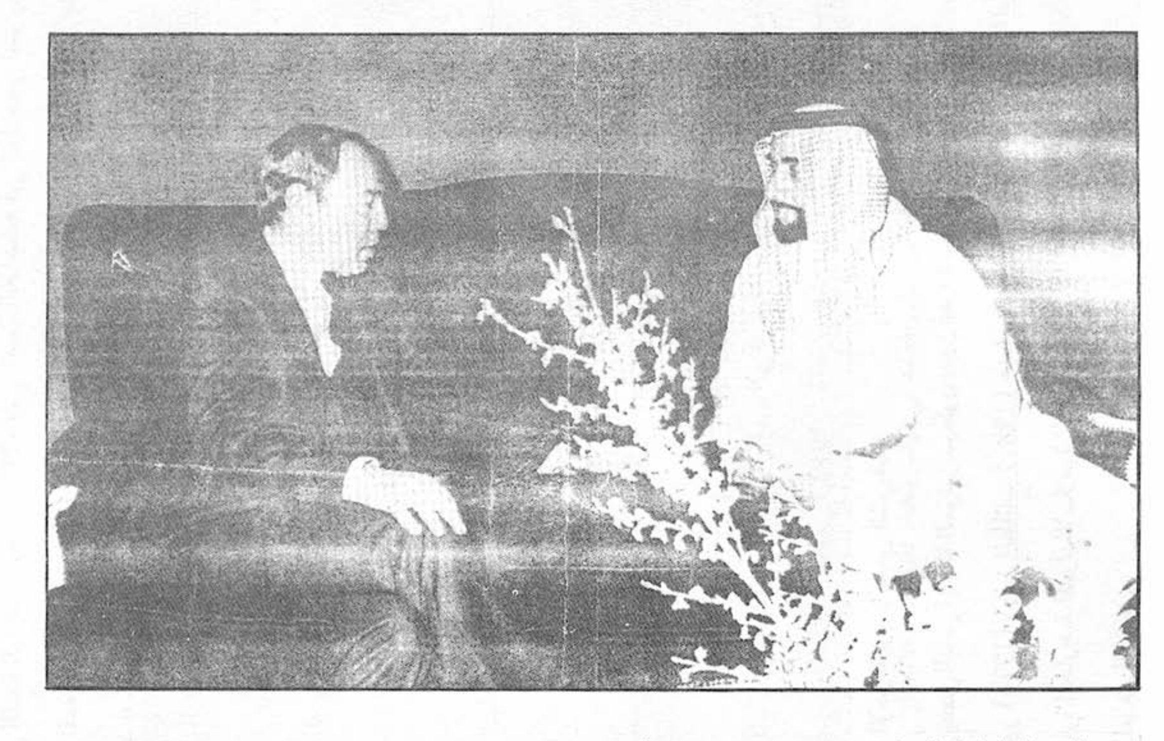
لقد كان المغرب على موعد مع التاريخ عندما أدَّخَرَ له المأثرة التي تجلت في دعوة الملك الحسن الثاني لقادة العالم الإسلامي قاطبة للاجتماع بالمغرب في أعقاب المحاولة المارقة لإحراق المسجد الأقصى، وهكذا اجتمع أولئك القادة في مؤتمر بمدينة الرباط في رجب 1389= شتنبر 1969.

وكان الملك الحسن الثاني بعث برسالة هامة الى قداسة الباب بولس السادس بتاريخ 22 ربيع الأول 1387= فاتح يوليه 1967 سنتين قبل هذا المؤتمر، يلفت فيها نظر الباب الى حضوره العمل الذي أقدم عليه الإسرائيليون بالقدس الشريف»

ولقد ظن بعض الناس أن هذا المؤتمر سيكون بدون غد ! لكنهم لم يلبثوا أن سمعوا عن فروعه وتوابعه في لاهور (1974)، وفي الطائف (1981) حيث وافق المؤتمر بالاجماع على القرار الذي اتخذه مؤتمر وزارة الخارجية للدول الإسلامية المنعقد بفاس عام 1979 والذي يقضي بإنشاء لجنة القدس وإسناد للعاهل المغربي.

وقد احتضنت المملكة المغربية مؤتمر القمة الإسلامي الرابع بالدار البيضاء عام 1984 وانعقد المؤتمر الخامس بالكويت عام 1987، والسادس في داكار السينيغال 1991 والسابع بالدار البيضاء 1994 والثامن في تهران 1997.

1) د. التازي، القدس والخليل في الرحلات المغربية، منشورات إيسيسكو 1418=1997، ص. 8-93.



صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يستقبل سمو الأمير زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة
على هامش انعقاد المؤتمر الإسلامي

العلاقات الثنائية مع الدول العربية والإسلامية

الى جانب الاتصال بالجامعة العربية كمنظمة وبالمؤتمر الإسلامي كذلك، وبالمنظمات الدولية الأخرى كنا نلاحظ أن للمغرب صلات ممتازة مع كل دولة على حدة، تتمثل تلك الصلات في إبرام الاتفاقيات وتبادل السفارات...

وهذه لائحة هذه الدول كما وصلتنا أواسط يونيه 2000.

- المملكة الأردنية الهاشمية
- الجمهورية التونسية
- جمهورية أذربيجان
- جمهورية الغابون
- جمهورية ألبانيا
- جمهورية غامبيا
- دولة الإمارات العربية المتحدة
- الجمهورية الجزئراية الديموقراطية الشعبية
- جمهورية أندونيسيا
- جمهورية القُمُر الاتحادية الإسلامية
- جمهورية أوزبكستان
- جمهورية جيبوتي
- الجمهورية الإسلامية الإيرانية
- المملكة العربية السعودية
- جمهورية باكستان الإسلامية
- جمهورية السنيغال
- دولة البحرين
- جمهورية السودان
- بوركينا فاسو
- الجمهورية العربية السورية
- جمهورية بنغلاديش الشعبية
- جمهورية سورينام
- جمهورية بنين
- الجمهورية العراقية
- الجمهورية التركية
- سلطنة عُمان
- جمهورية تشاد
- جمهورية غينيا
- جمهورية غينيا بيساو

- جمهورية تركمنستان
- دولة فلسطين
- جمهورية قرقيزستان
- دولة قطر
- جمهورية الكاميرون
- دولة الكويت
- جمهورية كازاخستان
- الجمهورية اللبنانية
- الجماهرية العربية الليبية الاشتراكية العظمى
- جمهورية مالديف
- جمهورية مالي
- ماليزيا
- جمهورية مصر العربية
- الجمهورية الإسلامية الموريتانية
- جمهورية الموزامبيق
- جمهورية النيجر
- جمهورية نيجيريا الفدرالية
- الجمهورية اليمنية
- جمهورية غويانا

هذا بالإضافة الى الدول الآتية التي لا يُوجد لنا اليوم تمثيل ديبلوماسي لديها

- بروناي، دار السلام
- طوغو
- سيراليون
- تاجكستان
- أوغندا
- الصومال

العلاقات الثنائية مع القارة الإفريقية

وهذه لائحة الدول الإفريقية التي تربطنا بها علاقات ثنائية علاوةً على علاقاتنا بها في المنظمات الدولية، على نحو ما وصلتنا أواسط يونيه 2000.

- أفغانستان
- افريقيا الجنوبية
- الجزائر
- انگولا
- بنين
- بوطسوانا
- بوركينافاسو
- بوراندي
- الكامرون
- كاب فيرط
- سانترافريك
- القُمر
- كونگو برازافيل
- كونگو كينشاشا
- كوط ديفوار
- جيبوتي
- مصر
- ايريثيا
- الگابون
- گامبيا
- غانا
- غينيا
- غينيا بيساو
- غينيا الاستوائية
- كينيا
- لوسوطو
- ليبيريا
- ليبيا
- مدغشقر
- مالي
- مالاوي
- موريس
- موريطانيا
- موزامبيك
- ناميبيا
- النيجير
- نجيريا
- گامبيا
- أوگاندا
- رواندا
- زيمبابوي
- ساوطومي وبرانسيبي
- السينيغال
- سيشيل
- سييراليون
- الصومال
- السودان
- سوازيلاند
- تانزانيا
- تشاد
- طوغو
- تونس
- زامبيا
- زيمبابوي

ملاحظة : يلاحظ أن الدول التسع : الجزائر، القمر، جيبوتي، مصر، ليبيا، موريطانيا، الصومال، السودان، تونس، هذه الدول تابعة لإدارة الشؤون العربية والإسلامية.

العلاقات مع القارة الأوروبية

ومع ما يربطنا أيضاً بهذه الدول في المنظمات العالمية نجد للمغرب علاقات ثنائية معها، وهي كما وصلتنا على هذا الترتيب :

- ألبانيا
- المانيا
- النمسا
- أرمينيا
- أذربيجان
- بلجيكا
- بيلاروس
- البوسنة -الهرسك
- بلغاريا
- قبرص
- كرواتيا
- الدانمارك
- اسبانيا
- استونيا
- فينلاندا
- فرانسا
- جيورجيا
- اليونان
- هنغاريا
- أيطاليا
- ايرلاندا
- ايسلاندا
- ليطونيا
- ليتوانيا
- لوكسمبوغ
- مقدونيا[1]
- مالطة
- مولدافيا
- موناكو
- النورفيج
- هولاندا
- بولونيا
- برتغال
- جمهورية التشيك
- رومانيا
- المملكة المتحدة
- روسيا
- سانت مارين
- سلوفاكيا
- سلوفانيا
- سويد
- سويسرا
- تركيا
- أوكرانيا
- الفاتيكان
- يوغوسلافيا (صيربيا ومونطي نيگرو)

1) ليس للمغرب علاقات دبلوماسية مع مقدونيا

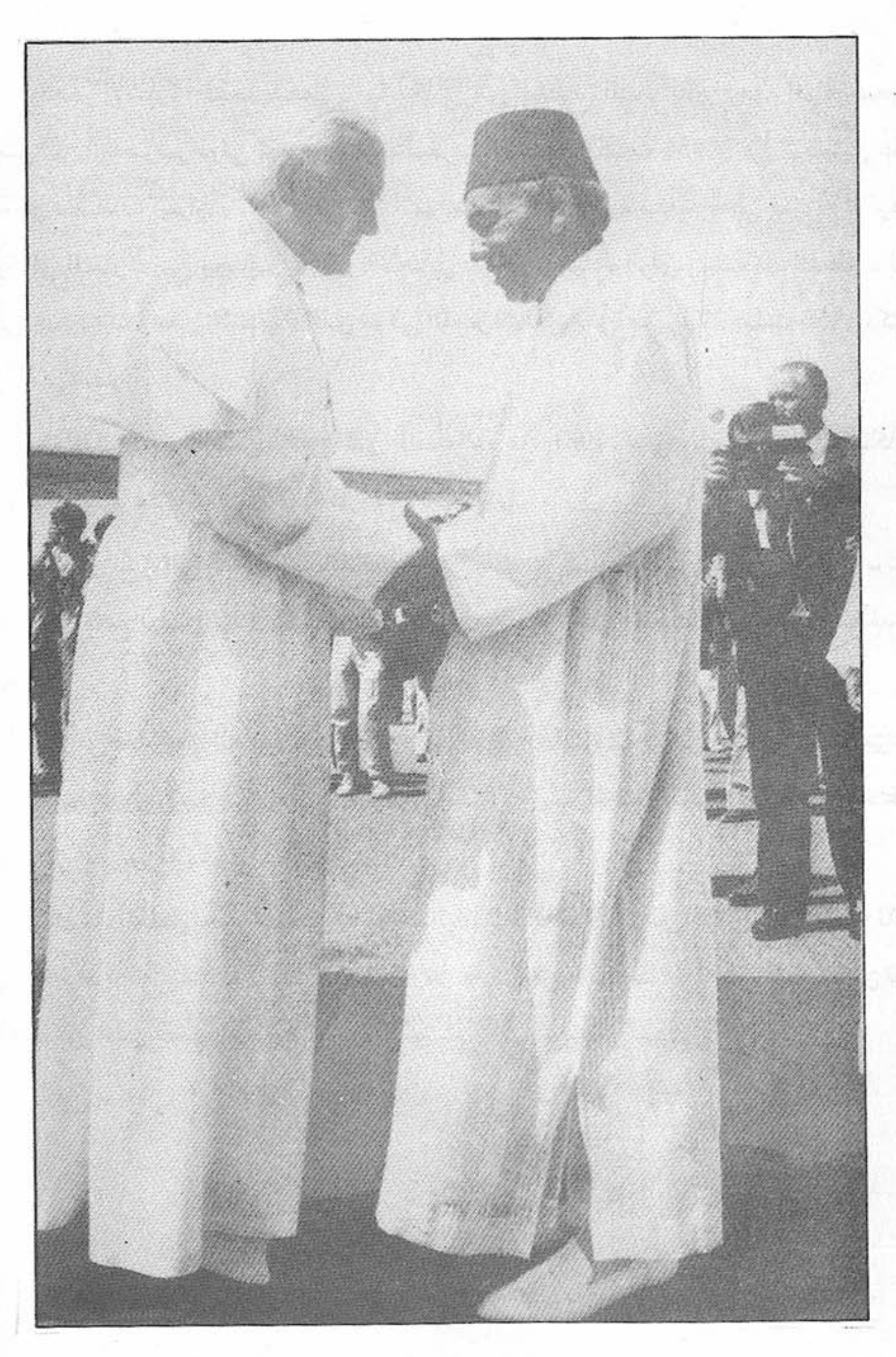
وتجدر الإشارة -فيما يتصل بالفاتيكان- الى الخطاب الهام الذي وجهه الملك محمد الخامس الى أول مؤتمر دولي ثقافي انعقد بالمغرب المستقل (غشت 1956) في تومليلين على مقربة من مصطاف إيفران «...نرَى في هذا المؤتمر استجابةً لرغبة متغلغلة في صدرنا ألا وهي الدعوة الى التقارب بين مختلف الأديان والأجناس عن طريق تبادل الرأي واستخدام المنطق» قال هذا في خطابه أثناء حفل الاستقبال الذي تم في القصر الملكي بالرباط يوم 29 غشت 1956 وكنت ضمن الذين حضروا...

وما انفك الملك الحسن الثاني الذي خلف والده عام 1961، على صلة بحاضرة الفاتيكان. حيث وجدناه يقيم علاقات دبلوماسية قارة مع الحاضرة...

ولابدّ أن نعيد الى الذاكرة الرسالة الهامة التي بعث بها الملك الحسن الثاني الى البابا بولس السادس في فاتح يوليه 1967 يكشف فيها «خطورة العمل الذي أقدمت عليه أسرائيل بالقدس الشريف»

أكثر من هذا وجدنا الملك الحسن الثاني المذكور في حاضرة الفاتيكان بعد الإجماع في مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية بفاس 1979 على اختياره رئيساً للجنة القدس على ما أسلفناه عند الحديث عن المؤتمر الإسلامي...

هناك قام العاهل بحوار متيصر مع قداسة البابا الجديد يوحنا بولس الثاني يوم الأربعاء ثاني أبريل 1980 حول قضية احتلال بيت المقدس، وقد سجلنا إلى جانب هذا ردّ الزيارة للمغرب من قبل البابا المذكور الذي خصّص له المغرب يوم 9 غشت 1985 استقبالاً كبيراً...



صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يستقبل بمطار محمد الخامس بالدار البيضاء
يوم الاثنين 19 غشت 1985 البابا يوحنا بولس الثاني.

العلاقات مع القارة الأمريكية

وهذه لائحة بالدول الأمريكية التي لها تمثيل دبلوماسي بالمغرب

- الأرجنتين
- البرازيل
- الأورغواي
- البيرو
- الشيلي
- غواتيمالا
- فنزويلا
- كانادا
- كولومبيا
- المكسيك
- نيكاراغوا
- السالفادور
- الولايات المتحدة الأمريكية
- البراغواي
- الاكواتور

ويلاحظ أن التمثيليات الدبلوماسية المغربية بالقارة الأمريكية تغطي أيضا بوليفيا وباناما وسورينام وتريننداد وتوباغو وغويانا، وجمايك والهندوراس وكوسطاريكا.

مع دول آسيا والأوقيانوس

- اليابان
- اندونيسيا
- إيران
- الهند
- باكستان
- الصين
- كوريا الجنوبية
- كوريا الشمالية
- فيتنام
- ماليزيا
- مونغوليا
- استراليا
- الفيليبين
- ميانْمار
- طايلاند
- بنغلاديش
- بروناي
- سريلانكا
- كازاخستان
- قيرقيزستان
- أذربيجان
- تركمنستان
- غينيا الجديدة
- بابوازي
- أوزبيكستان
- فانواتو
- زيلاندا الجديدة
- الكامبودج
- سنغافورة
- اللأوس
- فيدجي
- بهْوتان
- أفغانيستان
- النيبّال
- جزر سليمان
- مالديف

والى جانب الممثلين الدبلوماسيين الذين أشرنا إليهم ممن يعتمدون بالمغرب، هناك أيضاً دبلوماسيون ممثلون لهيئات عالمية، الأمر الذي يؤكد عن المكانة الدولية للمغرب، ويتعلق الأمر بـ :

- برنامج الأمم المتحدة للتنمية (PNUD)
- مركز الإعلام للأمم المتحدة (CINU)
- اللجنة العربية للطيران المدني (ACAL)
- المنظمة العربية للتنمية الصناعية والتعدين (:OADM)
- البرنامج العالمي للتغذية (PAM)
- صندوق الأمم المتحدة للسكان (ENUAP)
- البنك الدولي لإعادة البناء والتنمية (BRD)
- البنك الإسلامي للتنمية (BID)
- صندوق الأمم المتحدة للطفولة (UNICEF)
- المنظمة الدولية للصحة (OMS)
- منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (UNESCO)
- المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ISESCO)
- ومنظمة الأمم المتحدة للتغذية والزراعة (FAO)

وأخيراً نذكر حضور المغرب في بعض العواصم التي تحتضن مؤسسات متعددة الأطراف ونذكر على سبيل المثال :

- نيويورك حيث الأمم المتحدة والقضايا السياسية
- القاهرة حيث جامعة الدول العربية
- جنيف حيث الشؤون الاقتصادية والاجتماعية
- فيينا حيث قضايا السلاح...
- نيروبي حيث قضايا البيئة
- أديس أبيبا حيث الشؤون الإفريقية
- باريز حيث اليونيسكو

- روما حيث المنظمة الدولية للزراعة
- لندن حيث المؤسسة العالمية للسكر
- بروكسيل حيث المجموعة الأروبية
- جدة حيث منظمة المؤتمر الإسلامي

هذا كله الى مشاركة المغرب في المنظمات التي تظهر على الساحة الدولية والإقليمية مثل المؤتمر الدولي للمواد المائية، والمنظمة العالمية للتجارة والتعريفة الجمركية.

وهكذا ومن خلال «المجلّدات الضخام» التي ينوء بها ارشيف إدارة الشؤون القانونية والمعاهدات بوزارة الشؤون الخارجية مما يتصل بعلاقاتنا مع كلّ قارة من القارات أو جهة من الجهات، من خلال كل ذلك يقف الباحثون على تفاصيل المسيرة الجديدة الدولية للمملكة المغربية.

إذ أضفنا الى كل هذه المؤسسات التي تحرك الجهاز الدبلوماسي، الفضاءات الأخرى التي يقوم بها ما نسميه الدبلوماسية الموازية مؤسسات أكاديمية ونيابية ورياضية إلخ، فإننا سنزداد اقتناعاً بالمركز المرموق الذي يتمتع به التاريخ الدولي على مختلف الصُّعُد[1].

* * *

1) نغتنم هذه الفرصة لنجدد الشكر لأجهزة وزارة الشؤون الخارجية التي كانت تستجيب لكل استفساراتنا... ونخص بالذكر إدارة الشؤون العربية والإسلامية، والشؤون الإفريقية والشؤون الأروبية، والشؤون الأمريكية، وشؤون آسيا والأوقيانوس، والأمم المتحدة، والتعاون الدولي، والشؤون القانونية والمعاهدات والتعاون الثقافي والعلمي وإدارة التشريفات...

إن الذين يهتمون بالمسيرة المغربية سيلاحظون ظاهرةً لم تتحقق لكلّ الأمم وهي أن ملوك المغرب كانوا على أتم الوعي من أن مهمتهم لا تقف عند أشخاصهم وهم يزاولون مسؤولياتهم.

ومن أجل ذلك كانوا «يُعدون» الخلف الذي يتوخونه للحكم... وإن مجرد استعراض عابر للرجال الذين تعاقبوا على الحكم بهذه البلاد يكفي للاقتناع بدرجة «الهمّ» الذي كان يساور رئيس الدولة وهو يخطط لمشروعٍ قد لا يتمكن هو من إنجازه !!

من هنا وجدنا أن معظم أبناء الملوك كانوا يأخذون عن كبار العلماء وهم يتدربون على القيادة قبل أن يمارسوها... فهم أمراء بالعهد قبل أن يصبحوا ملوكاً بالبيعة على نحو ما كان عليه الأمر أيام الأدارسة والمرابطين والموحدين والمرينيين والوطاسيين والسعديين وطوال الفترة الأولى من عهد العلويين.

وقد شهدنا أيضا هذا بالأمس القريب، عندما فجع المغرب بوفاة الملك محمد الخامس فتحمل ولي عهده (الملك الحسن الثاني المسؤولية بعد البيعة[1]، وكذا كان الأمر عندما اختار الله لجواره الملك الحسن الثاني يوم الجمعة تاسع ربيع الثاني 1420 (23 يوليه 1999) حيث رأينا ولي عهده سيدي محمد يتلقى البيعة ليُمسى الملك محمد السادس في نفس اليوم، ويتحمل عبء المسؤولية كاملاً، بتجلد قوي، وشجاعة نادرة، بين مودعين يتلظون بلوعة فراق الملك الراحل، وبين مستقبلين يتطلعون الى الأمير الواصل الذي يحمل معه آمال الغد !

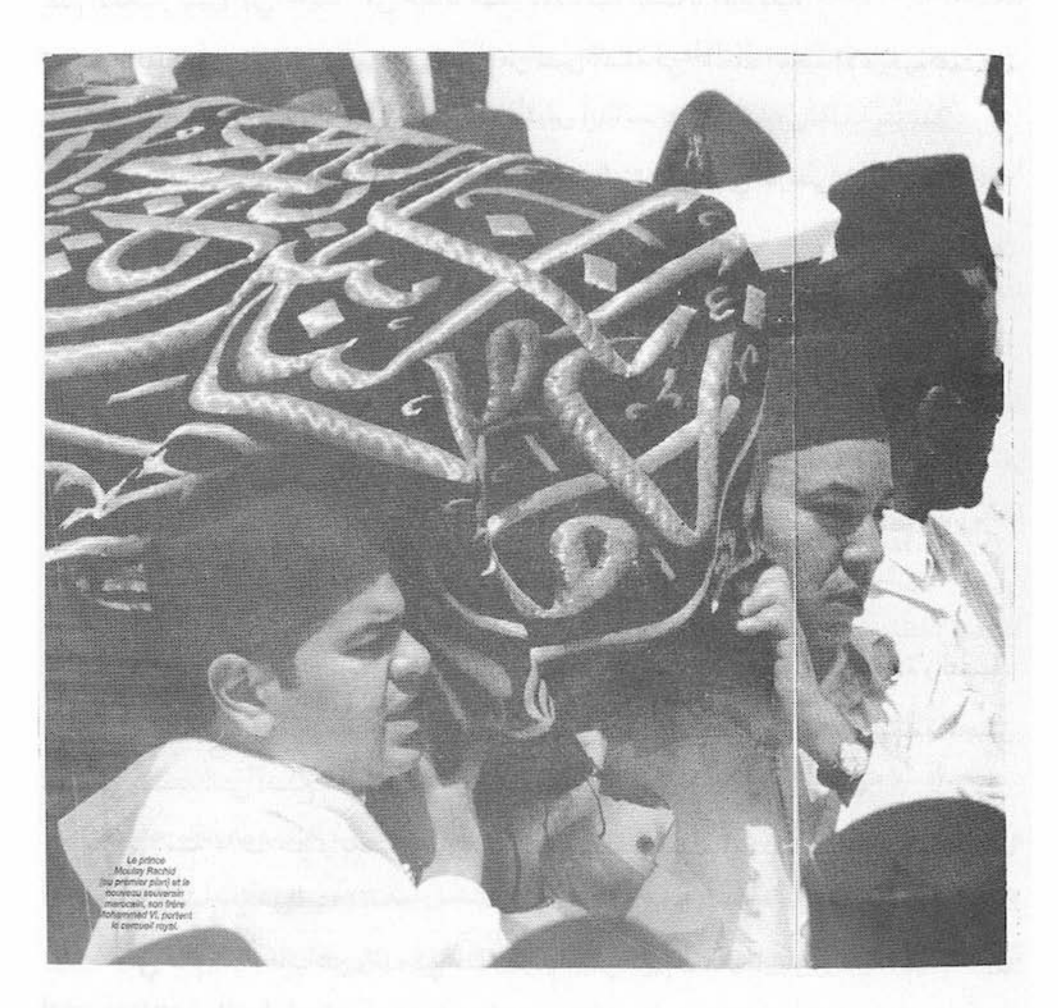
كانت الجنازة الأولى في التاريخ الدولي التي حضرها عن جميع القارات ممثلون لمختلف الحكومات : ملوك وأمراء ورؤساء ووزراء وسفراء. ومرت في نظام وانتظام وتتبعها العالم أجمع من خلال أجهزة الإعلام، فكانت شهادة أخرى على ما كان ينعم به ذلك الرجل العظيم من بعد نظر تمثل في صدر ما تمثل، في إعداد الخلف الذي يضطلع بأعباء سياسة الدّولة.

لقد قام هذا الملك محمد السادس (محمد بن الحسن) بأول مهمة سياسية له منذ أواخر يوليه 1980= 10رمضان 1400 عندما قام بتسليم رسائل ملكية الى عدد من رؤساء الدول الإفريقية الشقيقة والصديقة مرفوقاً بوفد هام من المسؤولين كان لي شرف عضويته[2].

---

1) د. التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج. 10، ص. 271، رقم الإيداع القانوني 1986/25 مطابع فضالة، المحمدية.

2) د. التازي، دفاعاً عن الوحدة الترابية للمملكة المغربية، الطبعة الثانية، نشر دار المعرفة 1420=1999، رقم الإيداع القانوني 1103-1999.



لقطة من توديع الملك العظيم الحسن الثاني رحمه الله
حيث يظهر في مشهد مؤثر الملك محمد السادس يحمل النعش الى جانب شقيقه الأمير مولاي رشيد

وتبعت هذه المهمة مهمات أخرى فشاهدناه يترأس الوفد المغربي في القمة السابعة لدول عدم الانحياز بنيودلهي، حيث ألقى خطاباً مهما تناول فيه القضايا الإفريقية.

ولقد ترأس الوفد المغربي في شتنبر من نفس السنة في أشغال اللجنة الإفريقية المنبثقة عن مهمة الوحدة الإفريقية حول ملف الصحراء بأديس أبابا.

كما ترأس الوفد المغربي في أكتوبر نفس السنة في المؤتمر الإفريقي الفرنسي بفيتل (فرنسا).

وقام في مارس عام 1986 بزيارة رسمية للمملكة العربية السعودية بدعوة من الملك فهد بن عبد العزيز للوقوف على معالمها.

وفي مارس عام 1987 قام بزيارة رسمية لليابان.

وفي نفس السنة مثل والده في القمة العربية الاستثنائي بالأردن.

وفي عام 1989 صحبناه أيضا في زيارة رسمية الى الجمهورية العراقية لحضور العيد الوطني.

وفي عام 1990 قام بزيارة للإمارات العربية المتحدة والكويت والمملكة المتحدة.

وفي عام 1992 ترأس أشغال المؤتمر التاسع لغرف التجارة الدولية.

وفي نفس السنة 1992 مثل والده في أشغال مؤتمر الأمم المتحدة الأول حول البيئة والتنمية.

وفي عام 1993 قام برحلة الى فرنسا... وكانت له محادثات مع رئيس الأركان العامة للجيش الفرنسي بصفته التي أصبح معها مسؤولا بالقيادة العليا للجيش المغربي.

وفي سنة 1994 حضر بجنيف في لقاء المجموعة الاستشارية بمناسبة الإعداد للذكرى الخمسينية لإنشاء الأمم المتحدة.

وفي عام 1995 ناب عن والده في إلقاء خطابه بمقر الأمم المتحدة بنيويورك بمناسبة الذكرى الخمسين لإنشاء المنظمة.

وفي 1996 حضر بباريز ندوة العلاقات بين المغرب وأوروبا...

وفي نفس السنة يتوجه الى الولايات المتحدة استجابة لدعوة من نائب الرئيس الأمريكي السيد ال غور... حيث استقبل بالبيت الأبيض من قبل الرئيس الأمريكي بيل كلينتون...

وفي سنة 1997 يقوم بزيارة رسمية للمملكة الإسبانية.

ونفس السنة يتوجه الى نيويورك لتمثيل والده في اجتماع الدورة الاستثنائية للجمعية العامة للأمم المتحدة حول البيئة.

وفي عام 1998 يحضر المعرض العالمي بليشبونة.

كما يتوجه نفس السنة الى فرنسا في زيارة رسمية حيث كانت له محادثات قمة وحيث يزور المنشآت العسكرية البحرية.

وفي عام 1999 يتوجه الى جنوب افريقيا لتمثيل والده في حفلات تنصيب الرئيس الجديد للجمهورية.

وهكذا فإن المهمة لم تكن غريبة على الآخذ بالزمام ! ومن هنا انطلقت المسيرة الجديدة للعاهل على نفس خطى القائد الراحل، وشاهدنا على الصعيد الدولي - على الخصوص - تحركاً يتميز بالفعالية والمصداقية... وتأكد قادة العالم الذين حضروا بأجمعهم في توديع الملك الحسن الثاني بان وارثه الملك محمد السادس حاضر مع المسيرة العالمية.

ومن ثمت سمعنا عن الحصيلة الثرية للسنة الأولى من حياة الملك الشاب عندما توجه للشعب بخطاب في اليوم الوطني للبلاد يوم الأحد 30 غشت 2000، 27 ربيع الثاني 1421.

شعبي العزيز

إيماناً من جلالتنا بما توفره السياسة الخارجية من فرص التبادل والتعاون والشراكة الكفيلة بجلب موارد إضافية لنجاح استراتيجيتنا التنموية فقد حرصنا في عالم يعرف تحولات متسارعة على التأهيل الشامل لمفاهيم ديبلوماسيتنا وأشكال تنظيمها وأنماط تدبيرها يقينا من جلالتنا بأن المغرب بتاريخه الديبلوماسي العريق وموقعه الاستراتيجي المرموق ومكاسبه الديمقراطية والرصيد الثمين للإشعاع الدولي المعاصر الذي تركه لنا والدنا المنعم قدس الله روحه يتوفر على كل المؤهلات الكفيلة بتعزيز مركزه الدولي كشريك محترم ومسموع في السياسة الدولية متميز بدفاعه عن الشرعية الدولية ونضاله من أجل استتباب السلم والأمن في العالم، ناهيك عن كونه من أكبر دعاة وبناة الوئام والتعاون المثمر بين الشعوب.



صاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله يلقي خطاب العرش 30 يوليه 2000

وتأسيسا على هذه التوجهات فإننا نطمح الى أن نجعل مملكتنا تتمتع بكامل وحدتها الترابية وتتعامل مع محيط جهوي مستقر ومتضامن في ظل الوفاء الصادق لانتماءاتها والتزاماتها الجهوية والدولية.

وباعتبارنا أميراً للمؤمنين فقد أولينا عناية خاصة لنصرة قضايا الإسلام والمسلمين وتصحيح صورة الإسلام لدى الآخر وبيان حقيقته السمحة المعتدلة والسلمية. وبتنسيق مع أخينا الرئيس ياسر عرفات وبصفتنا رئيسا للجنة القدس الشريف فقد ألححنا لدى كل رؤساء الدول والحكومات الذين قابلناهم على ضرورة وقف تهويد هذه المدينة الشهيدة والحفاظ لها على دورها التاريخي كفضاء مقدس لتساكن الديانات السماوية الثلاث. كما سهرنا على الحفاظ لها على طابعها الإسلامي مترئسين في هذا الشأن الاجتماع الأول للمجلس الإداري لوكالة بيت مال القدس الشريف التي لم نفتأ نمدها بكل أشكال الدعم المادي والمعنوي من أجل تمكينها من النهوض بدورها كاملا في هذا المجال.

واستمراراً لعمل والدنا المنعم طيب الله ثراه طوال أزيد من ربع قرن على قيام مصالحة بين أبناء سيدنا ابراهيم عليه السلام والسعي الحثيث لتحويل منطقة مهد الأنبياء لفضاء للتعاون والتنمية والسلام بدل من أن تكون مرتعا للتوتر وطغيان الاحتلال فقد حرصنا على اتخاذ عدة مبادرات بناءة وتشجيع كل الجهود من أجل احلال سلام عادل وشامل ودائم في منطقة الشرق الأوسط يضمن قيام الدولة الفلسطينية المستقلة، وعاصمتها القدس الشريف، وجلاء القوات الاسرائيلية عن كافة الأراضي العربية المحتلة على أساس الشرعية الدولية والالتزامات المتبادلة بين الأطراف المعنية، تلكم الشرعية والالتزامات التي نعتبر أن أي تنكر لها من شأنه الزج بالمنطقة وبشعوبها في التوتر واستمرار المعاناة وتأخير استتباب السلم فيها.

ولأجل الاستجابة لمتطلبات الأمن الاستراتيجي في عالمنا العربي ورفع تحديات عالم بداية القرن الحادي والعشرين فإننا ندعو أشقاءنا العرب الى تجاوز

مخلفات الماضي الأليم واعتماد استراتيجية جماعية عقلانية وتمتين أواصر التضامن بين بلداننا الشقيقة.

وتجسيداً لإيماننا والتزامنا بروابط الأخوة والتضامن المغاربي والعربي والإسلامي فقد سعدنا بمقابلة أشقائنا أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء المملكة العربية السعودية، والإمارات العربية المتحدة، والمملكة الأردنية الهاشمية، ودولة البحرين، وسلطنة بروناي، ومصر، وتونس، وموريتانيا، حيث أتيح لنا العمل سويا معهم على تمتين روابط الأخوة المتينة والتقدير المتبادل والتعامل البناء مع بلدانهم الشقيقة في جميع المجالات.

وتعزيزا منا لأواصر التضامن المغربي مع القارة الإفريقية التي تربطنا بها علاقات تاريخية وروحية عميقة، فقد حرصنا على دعم علاقات الصادقة التقليدية والتعاون المثمر والتضامن الفاعل والتقدير المتبادل مع قادتها وشعوبها سواء خلال الزيارات الرسمية التي قام بها لبلادنا إخواننا رؤساء دول موريتانيا والسينغال ومالي وغينيا الاستوائية أو خلال المقابلات المكثفة التي أجريناها مع عدة رؤساء دول افريقية شقيقة وصديقة خلال زيارات العمل أو الزيارات الخاصة التي قاموا بها لبلادنا كالغابون، وغامبيا، والكونغو، وغينيا، أو خلال قمة القاهرة الإفريقية الأوروبية الأولى. وقد بادرنا خلال هذه القمة التي انعقدت في ظل الاحترام الكامل للشرعية وفي جو من التفاهم المتبادل الى الإعلان عن إلغاء ديون كل الدول الإفريقية الأقل تقدما تجاه المغرب وفتح أسواقنا دون شرط أمام المنتوجات الأساسية لهذه البلدان الشقيقة تفعيلا من جلالتنا لقيم التضامن مع إفريقيا خاصة ومع محور جنوب/جنوب عامة وتجسيداً ملموساً لنوعية العلاقة الاستراتيجية التي ينبغي على أوربا أن تحرص فيها على التنمية المستديمة لقارتنا وعلى استتباب الأمن والاستقرار والتخفيف من آثار الكوارث الطبيعية والآفات الاجتماعية ذلك الحرص الذي جسدناه بإرسال مساعدات إنسانية للموزنبيق وبوتسوانا والاستجابة للنداء الأممي بمساهمة

قواتنا المسلحة الملكيـة الباسلة في توطيد السلم بجمهورية الكونغـو الديمقراطية الشقيقة.

وبنفس السـعادة والحـبور سعـدنا باستـقبـال فخامـة رئيس جمهـورية الصين الشعـبية تفعيلا لمـا يربط المغرب بهـذا البلد الأسيـوي العظيم مع علاقات صداقة وتعاون خاصة.

وبنفس الحرص على توطيد علاقاتنا بكل دول آسيا وأمريكا اللاتينية في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية أوفدنا وزيرنا الأول على رأس وفود هامة الى الدول الصديقة.. الهند والتايلاند والشيلي وكولومبيا والأرجنتين.

وبموازاة مع الحرص على زيادة تمـتين أواصر الأخـوة والصداقـة والتعـاون والتـضـامن مع الدوائر المـغـاربيـة، والعـربيـة الإسـلامـية، والإفـريقـيـة، والأسـيـوية والأمريكية اللاتينية فقد حرصنا على توطيد تفعيل شراكتنا الاستراتيجية مع دولة الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية.

فقد أمكننا خـلال الزيارة الرسمية التي قـمنا بها للولايات المتحـدة الأمريكية بدعوة من صديقنا فخامة الرئيس بيل كلينتون أن نقف على ماتحظى به توجهاتنا نحو ترسيخ دولة الحق والقـانون وإرساء التقدم الاقتـصادي والاجتمـاعي بمملكتنا من تقدير كـبيـر. كما أتاحت لنا أن نعـرض بكل وضوح مـواقفنا من اسـتكمال الوحدة الترابيـة لبلادنا وإقامـة سلام دائم وعـادل وشامل بالشـرق الأوسط والتشـديد على إرادتنا في رفع علاقاتنا السـياسية المتميـزة الى مستوى شراكة متميزة قائمة على القيم المثلى المـشتركة للديمقـراطية والسلم والأمن والتعاون ضمن إطار مـتجدد ومتطور.

وقد شددنا على هذه الإرادة بقوة لدى الاتحاد الأوروبي شريكنا الأول في عدة ميادين والذي تربطنا به علاقات جيو استراتيجية وتاريخية وثقافية عريقة.

وبدخول علاقة المغرب مع الاتحاد الأوربي مرحلةً حاسمةً بفعل الشروع في تنفيذ اتفاقية شراكة المملكة معه ابتداءً من فاتح مارس 2000، فإن بلدنا ينتظر من الاتحاد الأوربي أن ينجز تلكم القفزة النوعية التي من شأنها – في إطار نظام شراكة متقدمة – أن تعيد توجيه شراكتنا صوب محور استراتيجي متجدد تحكمه ضوابط متفق عليها ومسؤولية وتنمية مشتركة في جميع المجالات ذات الاهتمام المشترك. وإننا لنأمل تجسيد الالتزامات الأوربية بتدفق الاستثمارات المباشرة من أجل خلق أكثر ما يمكن من فرص الشغل الكفيلة بالادماج الاجتماعي لشبابنا في وطنهم الأم والقمينة بتوطيد السلم والنماء والتقدم في منطقة شمال غرب افريقيا.

ونود أن نشير بصفة خاصة للزيارات الرسمية التي قمنا بها لفرنسا وإيطاليا، والى لقاءاتنا مع صديقينا الكبيرين صاحب الجلالة الملك خوان كارلوس الأول وفخامة الرئيس الفرنسي جاك شيراك الذي تفضل بدعوتي لأول زيارة دولة خارج الوطن وفخامة الرئيسين البرتغالي والإيطالي وقداسة البابا يوحنا بولس الثاني، تلكم اللقاءات التي مكنتنا من تجديد التأكيد على إرادتنا في بناء علاقات شراكة استراتيجية مع دول الاتحاد الأوربي عامة ومع الدول الأروبية المتوسطية في إطار متجدد لمسلسل برشلونة وحوار أديان مثمر... شراكة حقيقية مبنية على تخويل المغرب مكانة متقدمة في هذا الفضاء الاندماجي والتكاملي لاقتصادياتنا الليبرالية ومجتمعاتنا الديمقراطية.

وقد حرصنا خلال لقائنا بقداسة البابا يوحنا بولس الثاني على تأكيد ارادتنا الراسخة كأمير للمؤمنين في العمل سويا مع قداسته من أجل تعايش الديانات السماوية والحوار المثمر بين الإسلام والمسيحية ضمن كلمة سواء لا نعبد فيها إلا الله وننتصر فيها لقيمهما النبيلة القائمة على الحرية والسلام والعدل والفضيلة.

كما أن اهتمامنا منصبٌّ في مجالات علاقتنا بدول الاتحاد الأوربي على حفظ كرامة رعايانا الأوفياء العاملين بدوله المختلفة وعلى الدفاع على مصالحهم المادية

والمعنوية. وقد أصدرنا تعليماتنا لسفرائنا وقناصلنا في بلاد المهجر كي يكونوا في خدمة رعايانا الأوفياء وأكثر قرباً منهم واستجابة لحاجياتهم خاصة منهم أبناء الجيلين الثاني والثالث الذين نحرص على ارتباطهم بهويتهم الأصيلة وقيمها المقدسة منوهين باسهامات هذه الفئة العزيزة على جلالتنا في تنمية وطنها المغرب بما حباها الله به من كفاءات علمية وقدرات مادية.

وسواء مع أشقائنا العرب والمسلمين والأفارقة وأصدقائنا في دول الجنوب عامة أو مع شركائنا الاستراتيجيين في دول الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية فقد ألححنا على ما لبناء اتحاد مغرب عربي يسوده التضامن والسلام والتكامل والوئام من دور فاعل في بناء تكتل اقتصادي جهوي قوي كفيل بتأهيل بلداننا لرفع تحديات الشراكة مع مجموعات قوية وتحقيق التنمية المستديمة لشعوبنا الشقيقة المرتبطة بأواصر الدين والتاريخ واللغة والمصير المشترك والمتعلقة بقيم الوحدة والتضامن بدل التفرقة وتمزيق كيانات بعضها البعض أو تبديد طاقاتها في معارك مفتعلة.

هكذا تمكنا من إغناء الرصيد الديبلوماسي الثمين الذي تركه والدنا المنعم قدس الله روحه بتوطيد الدعم الديبلوماسي لقضية وحدتنا الترابية المقدسة وترسيخ وتوسيع علاقات الأخوة والصداقة والتعاون والتفاهم والتقدير والشراكة الاستراتيجية التي تربطنا بالدول الشقيقة والصديقة، وإيلاء أهمية كبرى للديبلوماسية الاقتصادية والجمعوية والإعلامية والثقافية والبرلمانية. وسنوالي تكثيف جهودنا ليظل المغرب في توجهه الديبلوماسي وفيا لثوابت سياسته الخارجية التي يمليها عليه تاريخه ا عريق وموقعه الجيواستراتيجي الذي يتوسط العالم وينفتح عليه، ودوره كقطب للاعتدال والتعايش والحوار والسلم وحسن الجوار في إطار من الواقعية واحترام الشرعية وغيرها من القيم والمبادئ التي يعتمدها بلدنا للدفاع عن مصالحه في عالم متغير وللاندماج في نظام دولي نتطلع الى أن يكون متعدد الأقطاب وأكثر انصافا وشفافية.

لقد تعمدنا أن نختم بالنص الكامل لخطاب جلالة الملك محمد السادس لنعرف حصيلة السنة الأولى من جلوسه على العرش، ولنقف على درجة الطموح الذي يتملك العاهل الشاب الذي يتطلع وبعزيمة قوية الى أن يجعل من هذا المغرب دولة قوية عصرية جديرة بماضيها الحافل وجديرة بأبنائها الذين ما انفكوا يعملون بعزم وحزم من أجل إسعاد بلادهم وتقدمها في الوقت الذي يتشبثون فيه بقيمهم الأخلاقية وإرثهم الحضاري الأصيل الثقيل.

عبد الهادي التازي
wwwabdelhaditazi.com

الفهرس

الباب الثامن : القسم الأول : علاقات المغرب على عهد الدولة العلوية

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الباب الثامن : القسم الثاني : العهد الجديد



د. عبد الهادي التازي

- ولد بمدينة فاس يوم الأربعاء 8 شوال 1339-15 يونيه 1921.
- أسهم منذ صغره في الحركة الوطنية فتعرض للنفي والاعتقال.
- تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بفاس، ونال شهادة العالمية من جامعة فاس (القَرويين) بدرجة متفوق جداً (1366-1947) وعين أستاذا بها ابتداءا من 1948/5/1.
- بروڤي فرنسي معهد الدراسات العليا المغربية الرباط (1953).
- انتقل من فاس للرباط بعد استرجاع استقلال المغرب للإشراف على القسم الثقافي بوزارة التربية الوطنية (أكتوبر 1957).
- طمح إلى الإنتساب لجامعة محمد الخامس (العصرية) فنال بها دبلوم الدراسات العليا بميزة حسن جدا (28 يبراير 1963). (أول شهادة دبلوم تمنحها الجامعة المذكورة في حياتها)
- شهادة في الانجليزية من معهد اللغات، بغداد (1966).
- أحرز على دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة الاسكندرية بمرتبة الشرف الأولى سنة 1971.
- نشر منذ صباه (رمضان 1354 دجنبر 1935) عدة مقالات (تفوق 700) عنوان، وترجم عن الفرنسية والانجليزية عددا من الدراسات والمقالات...
- ألف عشرات الكتب (انظر لائحة التآليف)
- مارس الأستاذية والمحاضرة في طائفة من المعاهد والمدارس العليا والكليات بمختلف الجهات، داخل المغرب وخارجه، حول الموضوعات ذات الصلة بتآليفه.
- عين مديرا للمعهد الجامعي للبحث العلمي عام 1974 إلى 1994
- اسهم في تأطير العدد الكبير من طلبة الجامعات المغربية وغيرها.

- عين سفيرا للمملكة المغربية 1963/5/13 لدى الجمهورية العراقية ثم لدى ليبيا (4 يونيو 1967) ثم لدى بغداد مرة ثانية (20 شتنبر 1968) حيث عهد إليه بالسفارة لدى الامارات العربية المتحدة مارس 1971 ثم عين سفيرا لدى الجمهورية الإيرانية الإسلامية (28 أبريل 1979)، ثم عين مكلفاً بمهمة بالديوان الملكي...
- شارك في عشرات المؤتمرات واللقاءات الدولية (ثقافية واجتماعية وسياسية) : منها مؤتمرات للقمة...
- الرئيس المؤسس لنادي الدبلوماسيين المغاربة 1990.
- رئيس المؤتمر العالمي السادس للأسماء الجغرافية (نيويورك)ابتداء من 1992.
- له إلى اليوم 1100 رحلة جوية ...في أكثر من 260 مهمة...
- عضو المجمع العلمي العراقي منذ (1966) ومجمع اللغة العربية بالقاهرة (1976) والمعهد العربي الأرجنتيني (1978) والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ومجمع اللغة العربية (الأردن) مارس 1980 وعضو اللجنة التأسيسية لأكاديمية المملكة المغربية ثم عضو بالأكاديمية (أبريل 1980)، عضو بمجمع اللغة العربية بدمشق 1986، عضو المجلس الاستشاري الدولي لمؤسسة التراث الإسلامي (لندن 1991) عضو المجمع العلمي المصري 1996.
- عضو في عدد آخر من الجمعيات والمؤسسات والمنتديات الإقليمية والدولية.
- وسام العرش (المغرب 1963) من درجة ضابط -الحمالة الكبرى للاستقلال (ليبيا (1968)، وسام الرافدين (العراق 1972) قلادة الكفاءة الفكرية من الدرجة الممتازة (المغرب 1976) - الميدالية الذهبية لأكاديمية المملكة نونبر 1982.

لائحة التآليف المطبوعة

1. تفسير سورة النور (1365-1946) مطبعة فضالة-المحمدية، 1405-1984.
2. آداب لأمية العرب، المطبعة الوطنية - الرباط 1953.
3. أحد عشر قرنا في جامعة القَروين (بالعربية والفرنسية والانجليزية) مطبعة فضالة - 1960.
4. أعراس فاس، مطبعة فضالة - المحمدية 1961.
5. تحقيق (تاريخ المنّ بالإمامة على المستضعفين ...) لابن صاحب الصَّلاة حول تاريخ الأندلس والمغرب على عهد الموحدين، طبعات، بيروت 1964، بغداد 1979، بيروت 1989.
6. جولة في تاريخ المغرب الدبلوماسي، مطبعة فضالة - المحمدية 1967.
7. تاريخ العلاقات المغربية الأمريكية (بالإنجليزية) مطبعة فضالة - المحمدية 1967.
8. لو أبصرتُ ثلاثة أيام، (ترجمة عن الإنجليزية) للكاتبة الأمريكية كيلير هيلين أدامز 1990-1970، دار الرفاعي للنشر والطباعة، الرياض (السعودية).
9. جامع القَرويين المسجد الجامعة بمدينة فاس (ثلاث مجلدات) طبعة أولى بيروت 1972 - طبعة ثانية الرباط 2000.
10. ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقي، مطبعة فضالة - المحمدية 1976.
11. قصر البديع بمراكش من عجائب الدنيا، مطبعة فضالة - المحمدية 1976.
12. في ظلال العقيدة، دار الثقافة، الدار البيضاء 1977-1397.
13. صقلية في مذكرات السفير ابن عثمان، مطبعة فضالة - المحمدية 1977.
14. التعليم في الدول العربية (مطبعة اليونسكو) (باريز) في ثلاث لغات 1977.
15. رسائل مخْزَنية (القسم الأول) مطبعة أكدال - الرباط 1979.
16. العلاقات المغربية الإيرانية، مطبعة أكدال - الرباط 1979.
17. القنْص بالصَّقْر بين المشرق والمغرب، المطبعة العصرية - الرباط 1980.
18. الحماية الفرنسية بدْءها - نهايتها، مطبعة الرشاد الحديثة، الدار البيضاء 1980.
19. أوقاف المغاربة في القدس، مطبعة فضالة - المحمدية 1981.

20. تحقيق (النصوص الظاهرة في إجلاء اليهود الفاجرة لابن أبي الرجال، نشر جامعة صنعاء 1980.

21. العلاقات التاريخية بين المغرب وعُمان، مطبعة سلطنة عمان، مسقط 1981.

22. دفاعاً عن الوحدة الترابية للمملكة المغربية، صاحب السمو الملكي ولي العهد سيدي محمد في أول مهمة سياسية بإفريقيا، طبعة أولى، مطبعة أكدال - الرباط 1982، طبعة ثانية، دار نشر المعرفة، الرباط 1999.

23. الرموز السرية في المراسلات المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1983.

24. تحقيق كتاب الفريد في تقييد الشريد لأبي القاسم الفجيجي، حول القنْص بالصُّقْر، مطبعة النجاح، البيضاء 1983.

25. إيران بين الأمس واليوم، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء 1984.

26. الموجز في تاريخ العلاقات الدُّوَلية للمملكة المغربية (بالعربية والفرنسية والإنجليزية) مطبعة المعارف، الرباط 1985-1405.

27. المغراوي وفكره التربوي، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض (السعودية) 1986.

28. التاريخ الديبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، في اثني عشر مجلداً، مطبعة فضالة، المحمدية 1986-1406.

29. التاريخ الديبلوماسي للمغرب بالأشرطة المرسومة بالاشتراك مع بعض الأساتذة من فاس. رقم الإيداع القانوني 635.90.

30. المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، نشر الفنَك بالدار البيضاء 1992=1413 بمساهمة مؤسسة فريدريش إيبيرت.

31. تحقيق المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف، لابن زيدان، مطبعة إيديال، الدار البيضاء 1993.

32. ابن ماجد والبرتغال، مطبعة رأس الخيمة الوطنية 1996.

33. تحقيق رحلة ابن بطوطة في خمس مجلدات، نشر أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1997-1417.

34. القدس والخليل في الرحلات المغربية، نشْر منظمة الإيسيسكو - الرباط 1997-1413.

35. طه حسين بالمغرب، نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة 2000-1420.

36 تحقيق كتاب الطرثوت في خبر البرغوت، للسيوطي نشر مجمع اللغة العربية دمشق 2000.

37 الطب النبوي بين المشرق والمغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2000-1420.

38 الوسيط في تاريخ العلاقات الدُّوَلية للمغرب في ثلاث مجلدات، دار نشر المعرفة، الرباط 2001-1402.

39 التحليق إلى البيت العتيق رحلة حجازية 1378 = 1959، طبع دارة الملك عبد العزيز- الرياض 2001-1402.

تآليف جاهزة للطبع

40 ملاحق التاريخ الدبلوماسي للمغرب (ثلاث مجلدات).

41 تحقيق (جَنَى الأزهار من روض الدواوين المعطار) لمؤلفٍ مجهول حول تطويق حركة الرق في المغرب ، بداية القرن الثامن عشر.

42 تحقيق (البدْر السافر لهداية المسافر إلى فكاك الأسارى من يد العدو الكافر) رحلة سفارية لابن عثمان المكناسي أواخر القرن الثامن عشر.

43 مُعرَّباتي عن الفرنسية والانجليزية.

44 المعجم الجغرافي الموجز للمغرب.

45 لباب التوقيت في دروس عشر

46 مذكّراتي...